الدبلوماسي

السنة التاسعة والعشرون - العدد 303-304
مايو - يونيو 2021 الثمن 10 جنيهات

فلسطين.. القدس.. الاقصى
حلـم العودة فى ضمير الاجيال

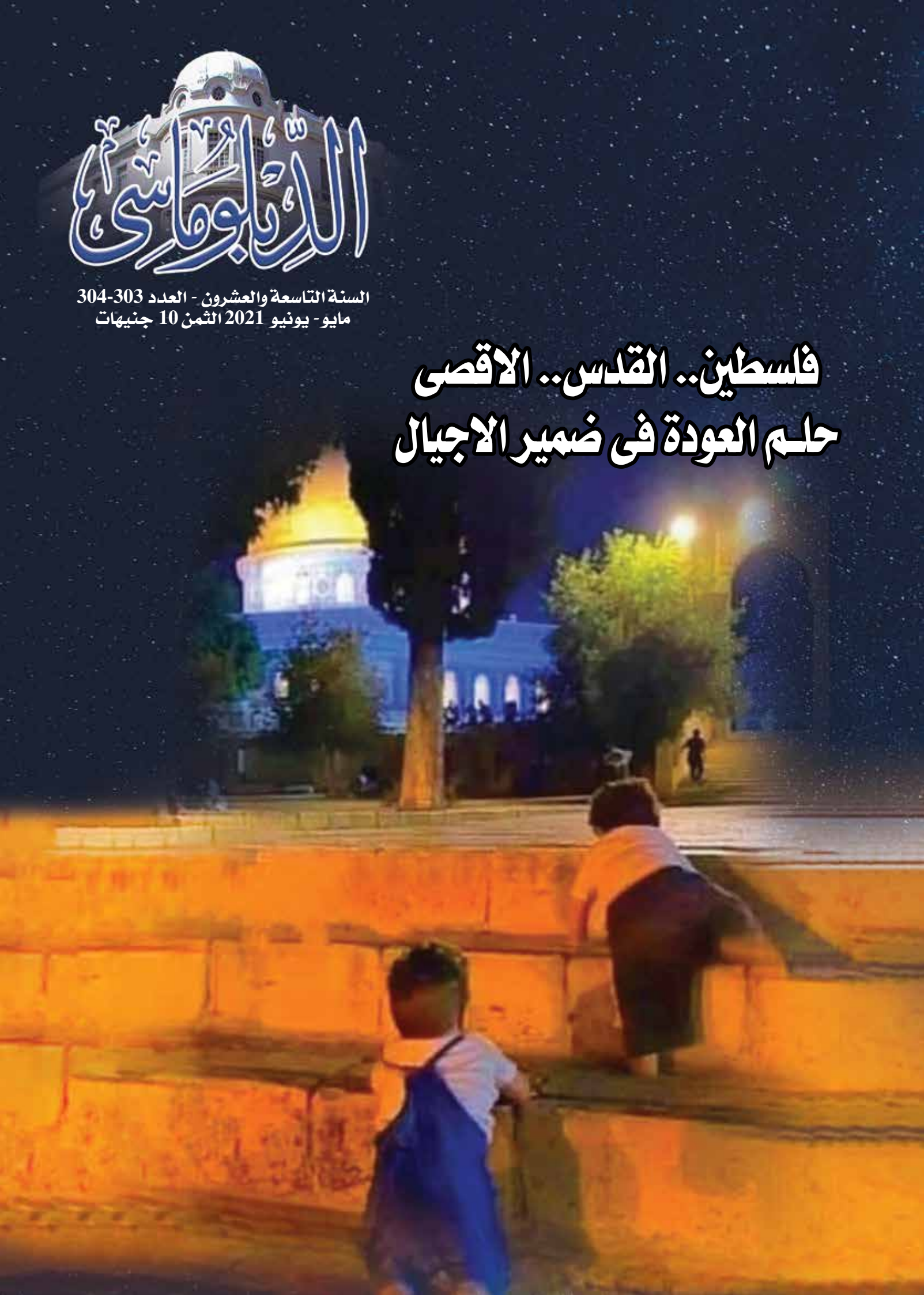

دماء على فستان الزفاف

سفيرة عواطف شلبى

«نسرين فتاة فلسطينية تعيش فى جنوب لبنان، أثناء موكب عرسها سقط العريس على صدرها قتيلاً بسبب غارة مفاجئة».

نسرين والدمع الحزين
والليل والألم الدفين
وسعادة لما تزل تزهو كزهر الياسمين
ولت كأنفاس الصبا وخبت كآهات الحنين

****

نسرين والرأس المهيض على ذراعك يرتمى
يرجو الحياة على يديك ويحتمى
وفستانك الأبيض المقصب قد تضرج بالدم
وأنين وآهات وصرخات لا تهدأ لا تكتمى
لا يا نسرين لا.. لا تصرخى لا تلطمى
كفكفى الدمع، واكتمى الحزن داخل صدرك اكتمى
كم صرخنا، كم بكينا، كم لطمنا الجبين
فأطفأت الدمع نار الحزن فينا
وطغى صوت الصراخ على صلابة مدافعينا
فتقهقرنا ويحيرنا هل نهاجم أم نظل مدافعينا

****

نسرين دماء عريسك على فستان العرس سالت
تقول لنا إن ساعة الحسم الحل قد حانت إن ساعة
الحسم الحل قد حانت
إنا نمد أيدينا بالسلام وقلوبهم ما لانت
فإلى متى نقدم الحب وقلوبهم ما لانت

****

يا أيها العالم الصامت هذه المأساة لن يكون لها آخر
إلا بضمير حى على الحقوق ساهر
برجوع الحق لأصحابه وكل لداره
لنحيا فى أمان دون قتل واعتقال دون غارة
ليعيشوا معنا فى سلام وحدود ألمت دون خوف أو مرارة

فى هذا العدد

الدبلوماسى

diplomat.magazine.egypt/ gmail.com@diplomatmagazine92

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى
أسسها
السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفيرة منال عبد الدايم

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد
سفير أشرف عقل
سفير د. يوسف الشرقاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثان هند منذر

توجه المراسلات إلى
رئيس تحرير مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 202+

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

واحة سيوة ... جوهرة الصحراء ..... بقلم السفير رضا الطايفى	2
الحقيبة الدبلوماسية	6
ترقية اعضاء السلك الدبلوماسى والقنصلى.....	10
السفير محمود سميرأحمد.. «ومعارك المياه المقبلة فى الشرق الأوسط»..... سفير د. السيد أمين شلبي	13
مصر الواثقة بسياستها الخارجية .....سفير جمال الدين البيومي	16
حرب غزة غير المتكافئة ومستقبل عملية السلام ....سفير د. عزت سعد	20
ليبيا ومخاوف من عرقلة المسار إلى الانتخابات... سفير رخا أحمد حسن	24
إفريقيا بين اعتذار المستعمر واستعادة تراثها المنهوب ... سفير هشام الزميتي	27
حكايات من تاريخ العلاقات .....سفير عبد الفتاح عزالدين	30
الحرب الباردة الأمريكية الصينية والوطن العربى إلى أين؟ .....سفير د. يوسف الشرقاوى	33
الإنسان والكون والحياة ..... رجائى عطية	36
الأمن السيبرانى فى الشرق الأوسط (2) ... سفير د. سامح أبو العينين	38
العيش من أجل الوطن والاستشهاد فى سبيله...سفير د. صلاح حليمة	40
إسرائيل والسلام المنقوص.....د.هشام عبد الملك	42
حرب المنصات وقبة إلكترونية من نوع خاص .... ميسا جيوسي	48
وقائع التاريخ بين الحقيقة والأباطيل.... عادل عبد الصمد	51
الاقتصاد السياسى لأزمة فيروس «كورونا» وتداعياتها ... سفير د. وليد محمود عبد الناصر	54
مصر وإثيوبيا بين التاريخ والجغرافيا والسياسة والقانون الدولي .....سفير د .عادل السالوسي	58
أسباب عزوف الشباب عن الالتحاق بوزارة الخارجية ..... سفير أسامة توفيق بدر	63
فى الذكرى المئوية للحزب الشيوعى الصينى.....سفير د. محمد نعمان جلال	64
حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى...سفير يسرى القويضى	67
إمبراطورية القندس.....سفير محمد عبد المنعم الشاذلى	68
بعد موكب المومياوات المصرية فى ابريل 2021.....السفيرة د.عبير بسيونى	70
الملاذ الآمن لسكان كوكب الأرض..... هادية الشربيني	72
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين ...تقدمها نادية الريس	74
كلمات ومعان .....سفير أشرف عقل	76
فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان	78
الضوابط هى التى تصنع الإنسان ..... سفير د. فتحى مرعى	80

افتتاحية العدد

رئيس التحرير

السفير رضا الطايفى

taifyreda@yahoo.com

واحة سيوة ... جوهرة الصحراء

اشـــتهرت مصر وتفردت عـــلى مدار تاريخهـــا بتنوع تضاريســـها وانتشـــار الواحات المتميزة فى صحاريها، وخاصة الصحراء الغربية التى لربما تعد أشـــد مناطق الصحـــراء الغربية جفافـــاً وهى تعد عمومـــاً من أكثر صحارى العالم جفافاً وأكثر قحولة وجدباً، بل إنها لتعتبر النموذج الكامل للصحراء المطلقـــة التامة.. إنها البيداء أكثر مما هى البادية..

وإن كانت تتميـــز بوجود عدد من المنخفضـــات والواحـــات المأهول منها والمهجور. والواحات كما عرفها د. جمال حمدان «عبارة عن بيئة وسط بين بيئة وادى النيـــل وبيئة الصحـــراء، فهى فى الصحراء وليســـت منها، لكنها كالوادى وليســـت مثله، إذ تجمـــع بين نقيضين الاســـتقرار والتنقل أو الثبات والترحل فى كلا الاســـتغلال الزراعـــى والعمران البـــشرى. وهى بالمثل وســـط يقع بين الوفرة النســـبية والصعوبة الدائمة... فهى فى صراع دائم ومستمر مع مشاكل البيئة وفى توقع دائـــم للخطر... ندرة الأرض والمياه ... مشكلة الملوحة... غزو الصحراء الطبيعـــى والبشرى، أو غزو الرمال والرجال... العزلة والتخلف.

وأهـــم هـــذه الواحـــات: الواحات البحريـــة.. الداخلـــة.. الخارجـــة... الفرافـــرة.. أبو منقار.. واحة ســـيوة، وتقع هذه الواحات فى محافظات الجيزة والفيوم ومطروح.

يعد العـــصر الفرعونى بمثابة العـــصر الذهبـــى للواحـــات، حيث انتـــشرت العديد من المعابـــد والهياكل والحصون، مثـــل معبد هيبيس HIBIS وقبوات البجوات فى الواحات الخارجة. ومعبد آمون وقلعة شابى فى واحة سيوة. وقد عرفـــت واحة ســـيوة بأنها «جنة الصحراء» ويطلـــق عليها أيضاً جوهرة الصحراء... واحـــة آمون... واحة الثمار والعيـــون والحصـــون.. أرض النخيل العامـــرة. ونتيجة لبعد واحة ســـيوة وعزلتها فى قلب الصحـــراء، فقد نجح السيويون فى الاحتفاظ بلغتهم السيوية التى تعد مزيجاً مـــن اللغة الأمازيغية والبربريـــة والعربية، والتـــى مازالت تمثل حتى الآن لغة التخاطب الرئيسية بين ســـكان الواحة الذيـــن احتفظوا أيضاً بعاداتهـــم وتقاليدهم الاجتماعية الخاصة مثل عدم الاختلاط بين الجنسين وطقـــوس الأفراح والأطـــراح والزواج المبكر وطقوس حفلات الزواج وجلسات التصالح والفلكلور الســـيوى المتميز، فضلاً على اعتمادهم على طب الأعشاب والعلاج الطبيعى الذى يتوارثون طرقه وأسراره مـــن جيل إلى جيـــل. كما أن واحة سيوة لها طابع معمارى مختلف ومتميز حيث يعتمد البناء على استخدام «القورشيف» وهى مادة خليط من طين طفلى رملى صحراوى جص عالى الملوحة. والقورشـــيف على صلابته بعد الجفاف وعلى مزايـــاه كمادة عازلـــة للحرارة والـــبرودة بما يناســـب منـــاخ الواحة القارى، إلا أنه يذوب من أملاحه فى حالة سقوط الأمطار الغزيرة والمتواصلة مما يعرض المبانى للانهيـــار ومثلما حدث عامى 1930 و 1970. وغالباً ما تكون أسقف المبانى من جذوع وجريد النخيل التى أحيانـــاً ما تتعرض للتآكل فى حالة تواجد وانتشار النمل الأبيض الذى يؤثر أيضاً على زراعات النخيل حيث يتغذى على مادة الســـيلولوز المتوفرة فى جذوع أشجار النخيل.

وقـــد أتيحت لى مؤخـــراً فرصة لزيـــارة واحة ســـيوة والتعرف على طبيعتها وأهم معالمها الطبوغرافية والبيئية والأثرية حيث جاءت زيارتى للواحة بعد مقابلة الســـيد اللواء خالد شـــعيب محافظ مطروح بهدف بحث إمكانيـــة إقامة مكتبة عامـــة فى واحة ســـيوة، لتكون فرعاً لمكتبة مصر العامة

فى مطروح، لتنضم إلى منظومة مكتبات مصر العامة التى يبلغ عدد فروعها 20 مكتبة منتشرة فى أربع عشرة محافظة والتى يرأس مجلس إدارتها متطوعاً وبكل مهنية واقتدار السفير عبدالرءوف الريدى صاحب مبادرة إنشاء «الألف مكتبة» والتى يهدف من خلالها توفير مكتبة عامة واحدة على الأقل لكل مائة ألف من السكان بامتداد حدود وأقاليم الوطن «من سينا إلى سيوة» كرؤية طموحة لتكون المكتبات العامة منارات ثقافية وتنويرية فى محافظات الصعيد ودلتا وادى النيل ومحافظات البحرين الأحمر والمتوسط وغيرها من محافظات ومراكز ومدن وقرى ونجوع مصر ما أمكن إلى ذلك سبيلاً. ولم يحل ضيق الوقت وقلة الجهد دون اغتنام الفرصة لمشاهدة عدد من المقاصد

السياحية والأثرية والبيئية النادرة التى لا تقاوم فى هذه الواحة الفريدة التى لا تملك أمام معالمها المختلفة إلا الانحناء إعجاباً وانبهاراً وفخراً بالثراء الطبيعى والسياحى لمصر.

واحة سيوة وأصلها «سيوخ» اسم أحد آلهة المعابد المحلية القديمة، تقع فى منخفض سيوة على بعد حوالى 750 كم من القاهرة وحوالى 300 كم جنوب غرب مرسى مطروح وتتبع إدارياً محافظة مطروح، وتعد الأكثر بعداً فى اتجاه الغرب من بين الواحات الخمس الرئيسية بالصحراء الغربية فى مصر، حيث تقع على الحافة الشمالية الغربية لبحر الرمال العظيم ويحيط بها عدد من الواحات الصغيرة. وقد ظلت سيوة محطة توقف للقوافل منذ العصور القديمة، وكانت بمثابة نقطة تقاطع ومفترق طرق لشعوب وثقافات مختلفة مثل قدماء المصريين، الرومان، البربر، القرطاجيون، إضافة إلى الأفارقة الذين كانوا يتنقلون عبر بحر الرمال العظيم كما كانت واحة سيوة مقصداً للغزاة والفاتحين بحثاً عن الاستقرار والراحة والاستجمام الجسدى والروحى.

ويرجع أول اتصال بين واحة سيوة ومصر القديمة إلى عهد الأسرة السادسة والعشرين (663-525 ق.م) حيث تم بناء معبد آمون «معبد الوحى» والذى يعد واحداً من أهم معالم العالم القديم، وقد ذاع صيته عند الإغريق بقدرة كهنة المعبد على التنبؤ ببعض الأحداث، حيث كان مزاراً للعديد من الحكام والملوك فى العصور القديمة... أملاً فى التعرف على بعض ملامح مستقبل حكمهم من واقع رؤى وتنبؤات الكهنة. وقد بناه أحمس الثانى حيث توجد نقوش وصور جدارية على الجدار الأيمن من حجرة قدس الأقداس. وقد ظل السيويون – شأنهم فى ذلك شأن قدماء المصريين – يعبدون الآلهة المصرية القديمة وخاصة الإله «آمون» وقد فر إليها عدد من القساوسة والرهبان المسيحيين هرباً من الاضطهاد الدينى الرومانى، إلا أن الدين المسيحى لم ينتشر بين أهل سيوة الذين استمروا فى عبادتهم لآمون حتى الفتح العربى لمصر عام 641م.

وقد تعرضت الواحة لأحداث تاريخية شهيرة أهمها حدثان لكل منهما دلالة خاصة: الأول فى عام 525 ق.م حين حاول قمبيز ملك الفرس غزوها، فسيّر جيشاً قوامه حوالى خمسين ألف مقاتل وفارس بدءاً من طيبة بهدف تحطيم معبد آمون الذى كان يعتقد أن وجود المعبد يهدد عرشه، وتأديب وتهذيب الكهنة الذين تنبأوا له بنهاية درامية، إلا أن هذا الجيش الغازى قد هلك عن آخره ودفن تحت الرمال بفعل عاصفة رملية مروعة عام 524 ق.م.

والثانى: فى سنة 331 ق.م حيث قام الإسكندر الأكبر المقدونى برحلة تاريخية إلى سيوة، وعلى عكس قمبيز لم يكن هدفه التدمير والتخريب، بل كان بهدف التودد إلى المصريين من خلال آمون وكهنة المعبد.

إنه نتيجة لموقعها الخاص وطبيعتها المتفردة، أصبحت واحة سيوة مزاراً يؤمه المصريون والسياح

واحة سيوه ... جوهرة الصحراء

الأجانب، بهدف الاستمتاع بمقاصدها السياحية المتعددة وأهمها:

• **سياحة الآثار:** مثل معبد آمون الذى حظى بشهرة تاريخية وعالمية بعد زيارة الإسكندر الأكبر للمعهد الذى لم يذهب إليه غازياً، بل متطلعاً بأن يحظى بمباركة كهنة المعبد الذين اشتهروا بدقة تنبؤاتهم خلال تلك الحقبة الزمنية. ومعبد أم عبيدة المجاور لمعبد آمون، وجبل الموتى الذى حفر على جوانبه عدد من المقابر، وجبل الدكرور، وقلعة شالى – وتعنى البلدة – التى تعد نموذجاً فريداً لعمارة الصحراء التقليدية، فضلاً عن قاعة تتويج الإسكندر الأكبر فوق صخرة أغو رمى التى دخلها خلال زيارته لواحة سيوة كى يستلهم ويتبارك بالإله آمون.

• **السياحة الطبيعية والبيئية والعلاجية** حيث تتميز واحة سيوة بانتشار العديد من عيون المياه الكبريتية التى تبلغ حوالى 220 عيناً ما بين ساخنة وباردة وعذبة ومالحة، والتى يتوجه إليها السياح من مختلف بقاع العالم للعلاج الطبيعى وقد أدى جفاف الطقس وانتشار العديد من المقاصد العلاجية الطبيعية إلى تحويل سيوة إلى منتجع سياحى عالمى للاستشفاء البيئى، خاصة وأن عيون مياهها الكبريتية والمعدنية ذات تركيب كيميائى فريد يضعها فى مرتبة أعظم العيون المعدنية والكبريتية فى العالم، وخاصة «عين بئر كيفار» التى تصل درجة حرارتها إلى 67 درجة مئوية، ورمال «جبل دكرور» التى تحتوى على إشعاعات علاجية والتى يتم غمر الجسم فيها بغرض العلاج، وهو ما يسمى «الدفن العلاجى فى حمامات الرمال» إضافة إلى عيون مياه الشرب التى حفرت حديثاً والتى تقع على بعد حوالى 1000 متر عمقاً، حيث يوجد من 4 – 5 مصانع لتعبئة المياه من هذه العيون التى تتميز بجودتها العالية. هذا فضلاً عن الرومانية القديمة مثل «عين كليوباترا» و«عين قرشيت» و«عين جوبا»، وكذلك البحيرات والجزر الطبيعية فى قلب الصحراء، ومزارع النخيل وغابات أشجار الزيتون الكثيفة بمناظرها الخضراء وألوانها الساحرة وسط الصحراء والجبال والكثبان الرملية. هذا وتجدر الإشارة أنه لكثرة انتشار العيون والبحيرات فى سيوة، يحرص السيويون على تعليم أبنائهم السباحة منذ نعومة أظافرهم خشية عليهم من الغرق فى مياه العيون والبحيرات، وليس من المبالغة القول بأن كل سكان الواحة بلا استثناء يجيدون رياضة السباحة، مثلهم فى ذلك مثل معظم سكان المناطق الساحلية.

• **سياحة السفارى:** حيث تتميز سيوة بانتشار الكثبان الرملية وبحر الرمال العظيم وطريق الواحات البحرية باتجاه منخفض القطارة مع انتشار العيون المائية الدافئة وأشجار النخيل مما يشجع على إقامة المخيمات والمعسكرات السياحية ومعسكرات الكشافة والسياحة الشبابية.. كما أن طبوغرافيا الواحة مناسبة ومشجعة لتنظيم سباقات السيارات مثل «رالى الفراعنة» فضلاً عن رياضة التزحلق على الرمال فى بحر الرمال العظيم والتى لا تقل إثارة عن رياضة التزحلق على الجليد.

• **وفى ذات السياق،** فقد أتيحت لى فرصة زيارة عدد من القرى السياحية المقامة فى قلب صحراء سيوة، ولفت نظرى من بين هذه القرى بصفة خاصة «**قرية جعفر**» حيث يقام فندق سياحى يحظى بموقع عبقرى فى أحضان جبل جعفر مجهز ومفروش بخامات من واقع البيئة المحلية ويعتمد على المياه المعدنية والإضاءة الطبيعية حيث لا توجد كهرباء للإضاءة، وتحيط به مياه البحيرات من كل جوانبه ويعتمد المنتجع فى احتياجاته الغذائية على مزرعته الخاصة التى تزود

رواده بمـــا يحتاجون من أغذية وفواكه وخـــضراوات، ويعج المنتجـــع برواده من مختلـــف دول العالم وخاصة أولئك الباحثـــين عن الراحة والاســـتجمام فى أحضان الطبيعة ومن بين أشهر من أقام فى هذا المنتجع الأمير تشـــارلز ولى عهد بريطانيا وزوجته الأميرة كاميلا.

• ونظراً لطبيعة مناخها القارى

شـــديد البرودة شتاء وشـــديد الحرارة صيفاً، فإن أنســـب أوقات السياحة فى واحة سيوة هى الفترة من بداية أكتوبر حتى نهاية ديســـمبر وخلال شـــهرى مارس وإبريل من كل عـــام. وارتباطاً بذلك، فإن أهالى واحة ســـيوة يقيمون أهم مناســـباتهم الاحتفالية «مهرجان السياحة والحصاد» خلال شهر أكتوبر أو نوفمبر احتفـــالاً بنضوج البلح الذى يعد محور الاقتصاد الزراعى فى الواحة، فهـــو فى الواحة كالقطـــن فى الوادى – يضاف إليه الزيتون – ويرتبط بحصاده المناسبات الاجتماعية كالزواج، كما كان يحدث فى الوادى عنـــد حصاد القطن. حيـــث يجتمع الرجال – دون النســـاء – فى المرتفعـــات الجبلية على حافة جبل الدكـــرور، وتقام الاحتفـــالات الغنائية والفلكلورية متضمنة معانى التســـامح والشكر لله مع تقديم الأطعمة التقليدية والمشويات التى تشـــتهر بها الواحة فى شكل مائدة جماعية يشارك فى إعدادها الجميع، وهى المناسبة الاجتماعية الأكبر والأشهر فى سيوة وتستمر لمدة ثلاثة أيام.

ختاماً:

فى تقديـــرى أن واحـــة ســـيوة – الواحة العـــذراء – تمثل كنزاً اقتصادياً وســـياحياً، مـــازال يحتـــاج إلى إعادة اكتشـــاف وإلى عملية تنموية شاملة.. حيث مازالت الواحـــة فى مجملها أرضاً بكراً وبيئة عذراء قابلة للتنمية والتطوير والتحديث.. ولعـــل مبادرة حياة كريمة الهادفة إلى تطوير الريف المصرى يمكن أن تمتد بمشروعاتها التنموية لتشـــمل أيضاً المجتمعـــات النائية والصحراوية مثل واحة ســـيوة التى أرى أنها تحتاج إلى إنشـــاء مرافق ومنشـــآت وخدمات وتسهيلات ســـياحية وترفيهية للارتقاء بالمنتج الســـياحى بها، كما أن الطريق الوحيـــد المهـــد الذى يربـــط الواحة بمحافظة مطروح يحتاج إلى توســـعة وتطوير ورفع كفاءة حتى يســـهل من عملية وصـــول الســـائحين إلى الواحة التى تحتـــاج أيضاً إلى مطار مدنى لهذا الغرض، مع الاهتمام بالترويج السياحى الخارجـــى لها ووضعهـــا على خريطة الســـياحة العالمية لما تتميـــز به الواحة من مقاصد ســـياحية نادرة. هذا فضلاً عن الاهتمام بتطويـــر البنية التحتية فى الواحة وإدراجها عـــلى قائمة أولويات جهاز التنســـيق الحضـــارى حتى لا يؤدى الامتداد العمرانى بها إلى الإضرار بالبيئة وما تتمتع بـــه الواحة من تفرد طبيعـــى وجمالى. وجنبـــاً إلى جنب مع عملية التطوير الســـياحى والحضارى، فإنه يمكن التوســـع فى صناعات عصر الزيتون وتســـويقه داخلياً وعالمياً. وكذا تطوير صناعات تعبئة وتغليف التمور وتسهيل تسويقها وفتح أسواق جديدة لتصديرها. مع بحـــث إمكانيات إقامة مشروعات لاستصلاح الأراضى بالواحة خاصة وأن الجزء المســـتغل من أرض الواحة الصالحة للزراعة لا يمثل سوى حوالى ربع المساحة القابلة للاستصلاح والزراعة، ويوجد هنـــاك بالتالى فرصة للتوســـع الزراعى فى ثلاثة أمثال الرقعة المســـتغلة حالياً خاصـــة فى ظل توفر المياه الجوفيـــة. ويمكـــن زراعة هذه الأراضى بالحبوب والخضراوات والفواكه وأصنـــاف جديدة من أشـــجار النخيل والزيتون ذات الجـــودة العالية والوفرة الإنتاجية. كما يمكن وفق ما ورد بدراسة «الواقع الجغرافى لمدينة سيوة» الصادرة عن «الجمعية الجغرافية المصرية»، زراعة أشـــجار التوت وتنمية تربية دود القز لإنتاج الحرير الذى لطالما اشتهرت مصر بإنتاجه على مدار تاريخها، وكذا إقامة مشروعات للاستزراع السمكى وإنشاء مشروعات تكميلية مثل صناعة أعلاف الأســـماك اعتماداً على المخلفات النباتية المتوفرة فى البيئة المحلية. وعلى المستوى الثقافى والاجتماعى فإن الاســـتعدادات تجرى حالياً لافتتاح فرع لمكتبات مصر العامة فى واحة سيوة بهدف تنمية ونشر الوعى الثقافى وتعميـــق ثقافة الانتماء والتواصل بين ســـكان الواحة والوطن الأم وتنمية وتشـــجيع الحرف اليدوية والتراثيـــة وتنظيم معارض لتســـويق منتجاتها فى سائر المحافظات، وذلك فى إطار حرص الدولة على أن تمتد مظلتها التنموية والاجتماعية والثقافية لتغطى كل بقعة من أرض الوطن.

العاهل الأردنى يستقبل وزير الخارجية سامح شكري

استقبل العاهل الأردنى جلالة الملك عبد الله بن الحسين، وزير الخارجية سامح شكرى خلال زيارته إلى عمَّان. وصرح السفير أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية أن الوزير شكرى نقل خلال اللقاء تحيات السيد رئيس الجمهورية إلى أخيه جلالة الملك عبدالله الثانى، كما جدَّد التهنئة بمناسبة الاحتفال بمئوية الدولة الأردنية، مع التأكيد على خصوصية العلاقات المصرية الأردنية فى شتَّى مجالاتها، ومُعربًا عن اعتزاز القاهرة بالمستوى المتميز الذى وصلت إليه العلاقات الثنائية، والتطلع إلى الدفع بها نحو آفاق أرحب بما يُلبى تطلعات الشعبين الشقيقين. هذا، وقد تناول اللقاء مُستجدات القضية الفلسطينية فى أعقاب التطورات الأخيرة، حيث أعرب الوزير شكرى عن تقدير مصر الكامل لدور الأردن فى حماية المُقدسات الإسلامية والمسيحية فى القدس من منطلق الوصاية الهاشمية، مؤكدًا استمرار مصر فى التنسيق والتشاور مع الأشقاء فى الأردن حيال القضية الفلسطينية. كما أشار الوزير شكرى إلى أن الأولوية الحالية تنصب على تثبيت التهدئة بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، وملف إعادة الإعمار على ضوء المُبادرة التى أعلن عنها السيد رئيس الجمهورية.

سامح شكرى يزور مدينة رام الله

صرح السفير أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن وزير الخارجية سامح شكرى، قام بزيارة لمدينة رام الله حيث استقبله الرئيس الفلسطينى محمود عباس بمقر الرئاسة الفلسطينية، وقد أوضح فى مُستهل اللقاء أن الزيارة تأتى فى إطار توجيهات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى بمواصلة دعم الأشقاء فى فلسطين والاستمرار فى الجهود الحالية لتثبيت وقف إطلاق النار فى قطاع غزة والبناء عليه من أجل تحقيق التهدئة الشاملة والمستدامة، جنبًا إلى جنب مع مواصلة المساعى اللازمة لإعادة الانخراط فى عملية السلام باعتبارها السبيل الوحيد للتوصل لحل الدولتين وتحقيق السلام والاستقرار المنشودين؛ فضلاً عن التشاور مع القيادة الفلسطينية بشأن الجهود ذات الصلة بإعادة الإعمار فى قطاع غزة وتوفير الدعم التنموى لسائر الأراضى الفلسطينية.

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

وزير الخارجية يبحث التطورات فى الأراضى الفلسطينية مع وزير خارجية الولايات المتحدة

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى اتصالاً من وزير خارجية الولايات المتحدة أنتونى بلينكن بحثا خلاله تطورات الوضع المتأزم فى الأراضى الفلسطينية. وقد ثمّن الوزير الأمريكى جهود مصر والاتصالات التى تضطلع بها مع طرفى الصراع فى محاولة للتوصل إلى وقف للأعمال العدائية.

وقد اتفق الوزيران على أهمية العمل فى إطار من التعاون والتنسيق بين مصر والولايات المتحدة على إقرار السلام والاستقرار فى المنطقة.

سامح شكرى يجرى اتصالاً هاتفياً مع نظيره الأردنى

أجرى وزير الخارجية سامح شكرى اتصالاً هاتفياً، مع وزير الخارجية الأردنى أيمن الصفدى، كما تناول الوزيران أيضاً الأفكار المطروحة بشأن عملية إعادة إعمار غزة، وتوافق الوزيران على استمرار التواصل بين البلدين فى هذا الصدد بالتنسيق مع السلطة الوطنية الفلسطينية. وأكد الوزيران على أهمية مواصلة مساعى البلدين الرامية إلى دعم السلطة الوطنية الفلسطينية، وتحسين الظروف المعيشية للمواطنين الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك بالتعاون مع الشركاء الدوليين. وصرح السفير أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الاتصال الهاتفى بين الوزيرين تناول أهمية وجود أفق سياسى يسمح باستئناف المسار التفاوضى .

سامح شكرى يستقبل وزير خارجية قبرص

بمقر وزارة الخارجية فى القاهرة، استقبل وزير الخارجية سامح شكرى، وزير خارجية قبرص «نيكوس خريستودوليدس»، بهدف تبادل الرؤى حول كيفية دفع علاقات التعاون بين البلدين والتنسيق بشأن عدد من القضايا الإقليمية المهمة للدولتين.

وفى تصريح للسفير أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، ذكر أن الوزير «خريستودوليدس» استمع لعرض الوزير شكرى حول ما قامت به مصر من تحركات لوقف التصعيد العسكرى بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، حيث أوضح شكرى أن مصر حرصت على العمل بشكل مكثف من أجل استعادة الهدوء وتعمل حالياً على تثبيت وقف إطلاق النار بين الجانبين، مؤكداً، فى ذات الوقت، أن غياب أى أفق حقيقى لعملية السلام قد يؤدى لاستمرار تجدد الصراع بين الطرفين، وهو ما يتطلب تكثيف الجهود الدولية من أجل إعادة إطلاق مسار المفاوضات فى أقرب وقت.

استقبل الوزير شكرى نظيره "دندياس" للتشاور حول العلاقات الثنائية وعدد من الملفات الإقليمية

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية، وزير خارجية اليونان «نيكوس دندياس»، حيث تناولا مجمل ملفات التعاون بين الدولتين وسُبل تطويرها، وكذا القضايا الإقليمية التى تمثل أولوية بالنسبة للبلدين.

وصرّح السفير أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزيرين أشادا بقوة ومتانة العلاقات المصرية اليونانية، وأواصر الصداقة التى تجمع بين حكومتى وشعبى وقيادتى البلدين، وكذلك التعاون والتنسيق المستمرين على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية والتجارية، كما أكدا على أهمية تعزيز التعاون الثنائى فى مجال الطاقة، خاصةً نقل الغاز الطبيعى والربط الكهربائى.

وأضاف المُتحدث الرسمى أن الوزير شكرى استعرض التطورات المتسارعة الجارية فى الأراضى الفلسطينية، وكذا موقف مصر فى هذا الصدد، حيث أشار إلى التحرك المصرى لوقف التصعيد العسكرى، والجهود والاتصالات المكثفة التى تُبذل من أجل تحقيق التهدئة بشكل عاجل.

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى اتصالاً هاتفياً من وزير خارجية كندا "مارك جارنو"

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً من وزير خارجية كندا «مارك جارنو»، حيث تناول الجانبان سُبل دفع وتطوير علاقات التعاون بين مصر وكندا فى العديد من المجالات، فضلاً عن آخر التطورات على الساحة الفلسطينية.

وصرح السفير أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزيرين أشارا خلال الاتصال إلى التحسن المُستمر فى العلاقات التجارية والاقتصادية بين الدولتين، حيث أعرب الوزير شكرى عن تطلع مصر لاستمرار تطوير تلك العلاقات وخاصةً فى المجال الأكاديمى والتكنولوجى، فضلاً عن تعزيز دخول الشركات والاستثمارات الكندية للسوق المصرى لتشارك فى تنفيذ المشروعات الكبرى المختلفة.

وزير الخارجية يُجرى اتصالاً بوزير خارجية روسيا

فى إطار تكثيف الاتصالات حول الهجوم الإسرائيلى على الأراضى الفلسطينية، أجرى وزير الخارجية سامح شكرى اتصالاً، بسيرجى لافروف وزير خارجية روسيا، إذ اتفق الوزيران على ضرورة أن تتوقف إسرائيل عن مهاجمة قطاع غزة، لكى يتوقف نزيف الدم الذى بدأ فى أعقاب تطورات الوضع فى القدس والمسجد الأقصى الشريف، وضرورة وقف إطلاق النار الكامل حفاظاً على الأرواح وإفساحاً للمجال للجهود السياسية، إذ شدّد الوزيران على أن ما يجرى يُثبت ويؤكد أن التحرك السياسى هو أمر لا غنى ولا بديل عنه، وأنه من المهم أن يتحرك المجتمع الدولى ليطرح بجدية التقدم نحو السلام الحقيقى والعادل المؤدى إلى تحقيق العدالة فى هذه القضية.

نشاط السفارات

وارسو

منح الرئيس البولندى «إندجيه دودا»، السفير حسام القاويش وسام الاستحقاق برتبة «قائد» تقديراً للجهود الدؤوبة التى بذلها خلال فترة عمله سفيراً لمصر فى وارسو، والتى أحرزت تقدماً مهماً فى إطار تعزيز ودعم العلاقات الثنائية فى كافة المجالات ذات الاهتمام المُشترك.

وقد أقام السفير البولندى بالقاهرة حفل استقبال بمقر السفارة لتقديم الوسام للسفير المصرى، حيث جدد اعتزاز الجانب البولندى بما قام به القاويش من جهود إيجابية أثمرت عن تعزيز العلاقات فى مجالات عديدة حققت المصالح الوطنية للبلدين.

من جانبه، أعرب السفير حسام القاويش عن بالغ الامتنان والشكر للرئاسة البولندية على ذلك التقدير المهم للإنجازات التى تحققت.

فيينا

فى إطار تعزيز العلاقات الاقتصادية والتبادل التجارى بين مصر والنمسا، التقى السفير محمد الملا، سفير مصر فى فيينا، Margarete Schramböck وزيرة النمسا للاقتصاد والتحول الرقمى، حيث تم استعراض الروابط الاقتصادية التاريخية بين البلدين، وكذلك التطور الاقتصادى الهائل الذى شهدته مصر خلال السنوات الماضية، والذى يرجع إلى الإصلاحات الاقتصادية والجهود التى تبذلها الدولة المصرية لتحقيق التنمية المستدامة وجذب الاستثمارات وخلق فرص عمل جديدة، والتى من ضمنها المشروعات القومية العملاقة.

هذا، وقد تطرق الاجتماع إلى النجاح المصرى فى إنهاء موقف السفينة الجانحة فى قناة السويس، وكذا أهمية هذا المجرى الملاحى الحيوى بالنسبة لحركة التجارة العالمية.

لاهاى

التقى سفير جمهورية مصر العربية فى لاهاى السفير حاتم عبد القادر، Ankei Broekers-knol وزيرة الدولة للهجرة بوزارة العدل والأمن الهولندية، حيث تناولت المقابلة آفاق التعاون المصرى الهولندى فى مجال الهجرة وسُبل تعزيز العلاقات بين البلدين فى هذا الخصوص.

وقد استعرض السفير عبد القادر خلال المقابلة الجهود الوطنية المبذولة على الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والأمنية لمواجهة ظاهرة الهجرة غير الشرعية خلال السنوات الماضية، فضلاً عن الإجراءات المعنية باستضافة اللاجئين.

بكين

استضافت سفارة جمهورية مصر العربية فى بكين الاحتفالية السنوية لـ«يوم إفريقيا» والذكرى الثالثة والستين لتأسيس منظمة الوحدة الإفريقية، وذلك بمشاركة كافة سفراء ورؤساء بعثات الدول الإفريقية المعتمدين لدى الصين وكبار المسئولين بوزارة الخارجية الصينية. وقد ألقى السفير د. محمد البدرى سفير مصر فى الصين كلمة أكد فيها على اعتزاز مصر بانتمائها الإفريقى الراسخ، مشيراً إلى أن مصر قد أخذت على عاتقها دائماً أن تحمل الشواغل الإفريقية إلى العالم وأن تحمى المصالح والحقوق الإفريقية فى كل محفل دولى أو إقليمى، ومبرزاً حرص السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى على الحضور فى كافة القمم الإفريقية وتعزيزه لجهود التنمية المصرية فى إفريقيا خلال السنوات الماضية، مختتماً كلمته بالإعراب عن تهنئته للحاضرين ولكل إفريقى بما حققته إفريقيا على مدار العقود الماضية.

بلجراد

التقى سفير مصر فى بلجراد «عمرو الجويلي» بكل من وزيرة التجارة والسياحة والاتصالات الصربية، «تاتيانا ماتيتش»، ووزيرة الاقتصاد «أنجيلكا أتانسكوفيتش»، فى لقائين مستقلين لبحث تعزيز التعاون الثنائى فى المجالات الاقتصادية بين البلدين، وزيادة معدلات التبادل التجارى وتعزيز التعاون فى مجالات السياحة، والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، والمشروعات الصغيرة والمتوسطة، وقطاع الأعمال العام، والاستثمار.

وصرح «الجويلى» بأن اللقاء مع وزيرة التجارة والسياحة والاتصالات تناول جهود تعزيز دور مجلس الأعمال المصري-الصربى المشترك فى تنمية العلاقات بين البلدين، والترتيب لعقد اجتماع مرئى بين الجانبين بهدف الاتفاق على برنامج عمل للمجلس يتم اعتماده خلال الاجتماع الأول والمقرر عقده على هامش الدورة القادمة للجنة المشتركة للتعاون الاقتصادى والعلمى والفنى بين البلدين المقرر عقدها فى القاهرة.

رام الله

التقى السفير طارق طايل رئيس بعثة جمهورية مصر العربية فى رام الله، مع رئيس الوزراء الفلسطينى د. محمد اشتيه، حيث نقل خلال اللقاء رسالة تضامُن من مصر، حكومةً وشعباً، للأشقاء الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

واستعرض السفير المصرى خلال اللقاء جهود القاهرة الحثيثة مع الأطراف المختلفة والمجتمع الدولى للتهدئة ووقف الاعتداءات الإسرائيلية فى قطاع غزة، وكذلك الحيلولة دون تكرار المواجهات فى القدس والضفة الغربية.

استعرض طايل كذلك الترتيبات المصرية على المستويّن الحكومى والمجتمع المدنى لتقديم الدعم الإنسانى للفلسطينيين بقطاع غزة وتخفيف معاناتهم. كما أوضح طايل أن الأحداث الحالية إنما تثبت أن القضية الفلسطينية تظل القضية الرئيسية بالشرق الأوسط.

سول

التقى الدكتور حازم فهمى، سفير جمهورية مصر العربية بكوريا الجنوبية، كل من هوانج هيى، وزير الرياضة والثقافة والسياحة الكورى، وتشونجوون تشو، رئيس الاتحاد الدولى للتايكوندو بالعاصمة سول حيث تسلم نوط الرياضة من الدرجة الأولى الممنوح من الرئيس الكورى مون جى إن تكريماً لاسم الراحل اللواء أحمد محمد فولى التى شملت مسيرته الرياضية تبوأ مناصب نائب رئيس الاتحاد الدولى للتايكوندو، ورئيس الاتحاد الإفريقى، ونائب رئيس اللجنة الأوليمبية المصرية.

ذكر السفير حازم فهمى فى هذا السياق أن رياضة التايكوندو تحت رئاسة اللواء الفولى للاتحاد الإفريقى انتشرت فى ربوع القارة لتشمل اثنتين وخمسين دولة إفريقية من إجمالى أربع وخمسين دولة، حيث صنفت كأكبر قارة من ضمن القارات الخمس من حيث عضوية الدول بالاتحاد الدولى للتايكوندو. كما توجت جهود الراحل اللواء أحمد فولى بتحقيق إفريقيا خمس ميداليات أوليمبية فى دورة أوليمبياد ريو عام ٢٠١٦ حصلت عليها كل من مصر، وساحل العاج، والنيجر، وتونس.

الخرطوم

قابل السفير حسام عيسى، سفير جمهورية مصر العربية بالخرطوم، الدكتور «الهادى إدريس» عضو مجلس السيادة السودانى، حيث تباحث الجانبان حول مختلف أبعاد العلاقات الثنائية والإستراتيجية بين البلدين الشقيقين والموضوعات الإقليمية محل الاهتمام المشترك.

وصرح السفير المصرى أن المقابلة تناولت متابعة تطورات ملف السلام فى السودان وجهود مصر فى دعم المرحلة الانتقالية وتحقيق السلام والاستقرار فى السودان الشقيق، وأكد فى هذا الخصوص أن استقرار السودان يعد جزءًا لا يتجزأ من استقرار مصر، وهو ما ينعكس على ما تشهده العلاقات الثنائية بين البلدين من تطورات متلاحقة.

ترقية اعضاء السلك الدبلوماسى والقنصلى

قرار
المادة الاولى
يعين فى وظيفة سفير من الفئه الممتازة كل من الساده السفراء

- عمرو محمود عباس عبد الهادي
- عمر أحمد رمضان
- رضا حبيب ابراهيم زكي
- أحمد إيهاب عبد الاحد جمال الدين
- أمل عبد القادر المرسى سلامة
- هويدا عصام عبد الرحمن
- خالد فتحى على يوسف
- خالد إبراهيم السعيد عمارة
- ياسر مصطفى كمال عثمان
- مؤيد فتح الله محمد الضلعي
- محمد عبد الستار محمد البدري
- عادل حسن محمد الالفي

المادة الثانية
يعين فى وظيفة سفير كل من السادة الوزراء المفوضين:-

- عبير محمد إسماعيل علم الدين
- محمد صفوت رمضان عطا
- أحمد حمدى بكر محمد محمد
- هيثم محمود جلال أحمد
- نهى حمدى أحمد الجبالى
- محمد إبراهيم عبد الخالق الشناوى
- خالد أحمد فاروق نظمى
- كريم محمد السادات عبد الكريم
- عماد مجدى حنا كامل
- أحمد عبد المجيد حمدنا الله ابراهيم
- حازم حسن حنفى حسنين
- شريف محمد مختار ربيع
- هيثم محمود عبد الغنى غباشى
- ياسر عبدالرحمن على سرور
- أشرف أحمد محمود الديب
- محمد سمير محمد حلمى مرزوق
- أشرف محمد نبهان سويلم
- أحمد نهاد إبراهيم عبد اللطيف
- خالد محمد سامح انيس
- وائل إبراهيم على بدوى الشيخ
- محمد منير محمد لطفى
- أمل محمد عبد الحميد عفيفى
- علاء السيد حسين عبد العزيز
- محمود السيد السيد عمر
- حاتم محمد جبر الألفى

المادة الثالثة
يعين فى وظيفة وزير مفوض كل من السادة المستشارين

- داليا محمد عبد الفتاح عبد الوهاب
- ايمان محمد سعيد زكى البنهاوى
- وليد محمد كامل التابعى
- رامية شوقى عبد السلام
- حسن صلاح حسن النشار
- محمد عمر حسين عزمى
- رشا سليمان محيى الدين سليمان
- احمد حسين احمد خفاجى
- عمرو احمد محمد الرشيدى
- تميم هانى عبد المنعم خلاف
- محمد محمد فواد عبد الله أحمد
- تامر محمد الحفنى محمود
- باسم يحيى حسن قاسم
- ناجى نبيل بشارة غابه
- عمرو محمد يوسف السيد

الدبلوماسى

قرار رئيس جمهورية مصر العربية
رقم 230 لسنه 2021
رئيس الجمهورية
بعد الاطلاع على الدستور

- وعلى قانون نظام السلك الدبلوماسى والقنصلى الصدر بالقانون رقم 45 لسنه 1982 والمعدل بالقانونين رقمى 69 لسنه 2009 و 26 لسنه 2018.

- وعلى لائحة شروط الخدمة فى الخارجية الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم 146 لسنة 1958 والقرارات المعدلة له .

وعلى قرارات وزارة الخارجية أرقام 4014 لسنه 2009 و 149 لسنه 2010 و 5488 لسنه 2011 و 3958 لسنه 2018 بتعديل بعض أحكام اللائحة التنفيذية للقانون رقم 69 لسنة 2009.

- وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم 389 لسنه 20 بترقية بعض اعضاء السلك الدبلوماسى والقنصلى الى الوظائف الاعلى.

وبناء على ما عرضه وزير الخارجية.

-ضياء الدين عيسوى عبدالرحيم حماد
- وليد فهمى على الفقى
- رشا حمدى احمد حسين
- شريف محمد عبد اللطيف الجمال
نادر سعد عبد النبى عبيده
احمد محمد عبد الحميد طايع
- وليد عثمان كرم الدين على
- احمد محمد فريد احمد مرسى
- محمد حسن رفعت على حسن
- طارق محمد السعيد يوسف
- تامر فتحى عبد السلام حماد
- ريم زينهم عنتر زهران
- محمد مصطفى قطب الجمال
- ميادة عصام عبد الرحمن محمد
- هيثم محمد صفى الدين محمد
- عبد اللطيف عبد السلام عبده اللايح
- ساتى سربانه حبيب سربانه
-محمد شحات محمد حسين الحلوانى

- يمنى عبد الفتاح محمد عثمان
- مروى فؤاد محمد محمد
- نادر نبيل زكى مرقس
- ايمان سامى فتح الله ياقوت
- باسم محمد محمود صابر

المادة الرابعة
يعين فى وظيفة مستشار
كل من السادة السكرتيرين الأوائل

- رامى على محمود المبيض
- محمد ابراهيم متولى مصطفى نعيم
- محمد عبدالله سمير برهان
- السيد عيد السيد غنام
- كريم محمد حجازى محمد
- محمد كمال على أحمد الحمصانى
- احمد صبحى على السيد سليمان
- محمد عاطف فريد الحسينى
- هشام محمد السعيد احمد
- رانيا احمد ابراهيم حميد
- شريف على شحاته اسماعيل عيسى
- مها عبد الرحمن محمد عبد السلام
- مروة محمد جمال عبد اللطيف شعير
- محمد مصطفى الهادى عبد المجيد مسعد
احمد عبد الفتاح صالح على شريف
أبو بكر محمود سامى محمد عبد العزيز الأشرفى
شيم حامد عبد الحميد الجرف
مريم محمد فاضل يعقوب
مروة عبد العال محمود عبد العال
تامر محمد توفيق محمد
- ابراهيم سعيد عبد الرحيم ابراهيم

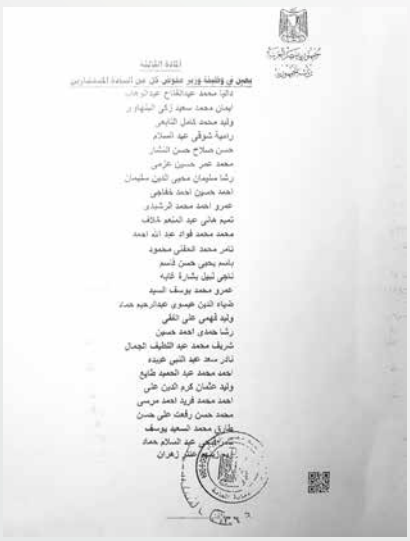

- أسامة محمود شكرى محجوب
- محمود محمد محمود العشماوى
- احمد عبد العزيز أحمد محمد
- أمجد أحمد رزق محمد
- نوران حلمى احمد ابو الوفا
- مشيرة عباس رشدى العمارى
- عمر ابراهيم عارف محمد عارف
- حسام عبد الله نور الدين على كمال الدين
- شريف رافت رشدى يوسف
- طارق احمد محفوظ احمد محفوظ محمد امين
- نيفين محمد عيسى احمد السعيد عيسى
- فاطمة الزهراء حسن عبد العزيز عبد القوى
- عمرو محمد يسرى محمد مرسى
- شيماء نبيل أمين درويش
- نورا عبد المهدى عبد المنعم محمد
- ياسمين محمد منير عمر التونى
- مها رشيد عالى محمود بركه
- محمد رمضان محمود رمضان

المادة الخامسة
يعين فى وظيفة سكرتير أول
كل من السادة السكرتيرين الثوانى:-

- عمرو عز الدين فهمى محمود
- إيهاب محمد محمود محمد عرفان
- كريم عصام صالح عواد
- كريم عبد العزيز عبد الحميد السيد
- خالد مرسى إسماعيل عطا الله
- هايدى طه العربى عبد الباسط حسونه
- مينا نشات باسيلى عبد الملك
- مصطفى محروس محمد عبد المعبود
- أمين شعبان أمين عبد النبى
- أحمد محمد فريد منيب
- إيمان بالله محمد نبيل غتورى
- حسام محمد بشارى على
- محمد مصطفى علوى محمد سيف
- مؤمن محمد رجب محمد الشهاوى
- أحمد أبو زيد محمد هلال شعيب
- ساره محمود محمد عطية
- عمر سيد أبو زيد عمر
- عمر حامد أحمد شكرى
- عمرو عبد الوهاب محى الدين أبو أحمد
- هانى عبد المنعم عبد الرازق التلبانى

- هايدى بشير فكرى بشير فرج
- يحيى محمد سعيد عبد الحميد
- تامر عادل ربيع غيث
- شيرين جلال عبد الله معوض
- ريم محمود عبد العزيز الدهشان
- أميرة محمد محمود يسرى القرمانى
- أميرة السيد لبيب خفاجه
- محمد حسن إبراهيم عيد
- محمد أحمد محمد كاسب
- مينا رزق عطيه رزق

المادة السادسة

يعين فى وظيفة سكرتير ثان كل من السادة السكرتيرين الثوالث:-

- طارق إسماعيل عبد الرحمن غنيم
- ريهام عبد البارى حسين عبد البارى
- أحمد مصطفى زكى عبد الله
- نادر شبل وهبه الجندى
- محمد الحسين محمد عبد المنعم السيد
- هدير ماجد حسن محمود أنس القطان
- دينا السيد فتحى محمد محمد زغلول
- محمد صبرى أحمد السيد
- وائل عصام الدين أحمد طه شيحه
- حبيب مدحت حبيب عياد
- ماهيتاب عبد الحميد ناصر محمد حمزاوى
- أحمد عصام سيد محمد شديد
- نهى محمد سعيد عبدا لعزيز باشا
- خالد عصام محمد مختار زاهر
- محمد صلاح الدين عبد الفتاح العلقامى
- أحمد سامح جابر خليل
- سارة محمود محمد محمود
- محمد شحاته سيد كامل
- محمد أحمد الصغير عبده
- وائل عبد المنعم محمد محمد
- أحمد رأفت عبد الرحيم إبراهيم حنفى
- أحمد توفيق محمد الهادى عليان
- محمود أحمد محمد بيومى
- هند مهيار محمد أحمد
- أسماء سمير محمد السيد أحمد
- كريم محمد عادل حسن العسال
- أحمد نبيل محمد شاش
- إبراهيم ممدوح السيد السيد فوده
- أحمد طارق مصطفى إبراهيم
- مصطفى محمد ضياء الدين السيد محمد

المادة السابعة

يعين فى وظيفة سكرتير ثالث كل من السادة الملحقين:-

- يوسف صابر حنا يوسف حسب الله
- ماريز منير حبيب مرقص
- مى عادل شافعى محمد عثمان
- أحمد محمد هانى شفيق الرافعى
- مريم عادل عبد اللطيف الباسوسى
- عبد الرحمن أحمد على إبراهيم
- أحمد زينهم عبد الحميد عيسى مرزوق
- رانده محمود جميل الديب
- أميره سامى عبد المحسن الباجورى
- مارى صلاح عطا الله سليمان سعيد
- عبير فيصل محمد عبد الحميد بكر
- شريف محمود بشير على حسين

المادة الثامنة

-على وزير الخارجية تنفيذ هذا القرار

- صدر برئاسة الجمهورية في 25 شوال سنة 1442 هـ

- الموافق 6 يونيه سنة 2021 م

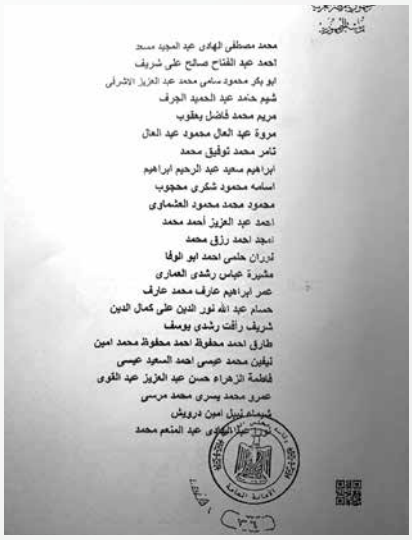

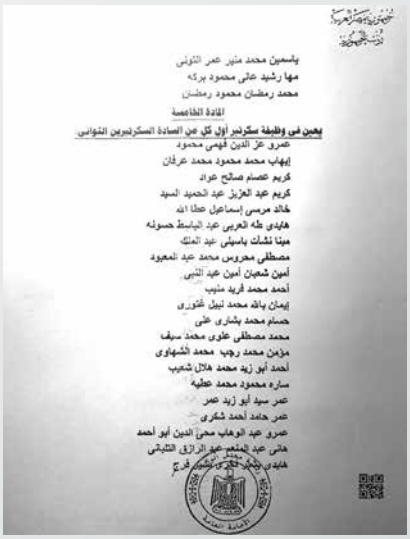

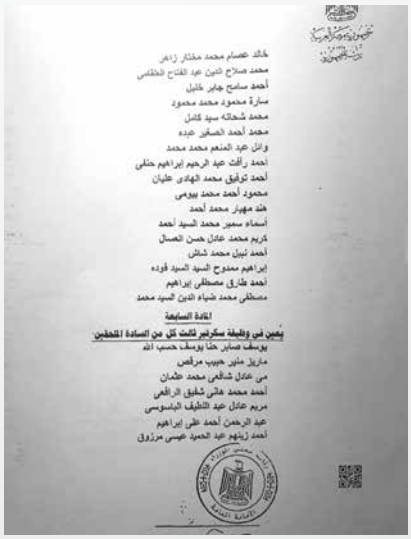

السفير محمود سمير أحمد

«ومعارك المياه المقبلة فى الشرق الأوسط»

فى هذا الوقت الذى تمر به مصر ومعها السودان، فى أزمة «وجودية، وتتعلق بمصالحها المائية، ونتيجة للتعنت الإثيوبى، الذى أفشل سنوات وجولات من التفاوض كانت من المفترض أن تنتهى بتوافق واتفاق يرضى أطراف شركاء النهر، خلال هذه الســـنوات ومنذ أن بدأ مشروع سد النهضة يتبلور بتحقيق على الأرض ظهرت العديد من الدراسات والأبحاث التى تعالج الجوانب الفنية والقانونية والسياسية لهذه الأزمة .

غير أن هذا لا ينفى اســـتعادتنا لعمل ورؤيـــة مبكرة لدبلومـــاسى مصرى هو السفير د. محمود سمير أحمد، حين أصدر عام 1991 كتابه المنذر عن «معارك المياه المقبلة فى الشرق الأوسط» (دار المستقبل العربي) وقد قوبـــل الكتاب عند صدوره بترحيب من المراكـــز والدوريات العربية. وحيث يخصص الكتاب بابه الأول «مصر ودول حوض النيل» يخصص الباب الثانى لمشكلات المياه لدول العالم العربى: مصر ومشـــاكل العالم العربى شرق السويس، إسرائيل والمياه وعلاقتها بالعالم العربى، مشاكل المياه بين تركيا وسوريا والعراق، مشاكل المياه بين مصر وإسرائيل وليبيا، التجربة الرائدة فى المملكة العربية السعودية فى توفير المياه ذاتياً.

غير أن الأزمة الحاليـــة مع إثيوبيا جعلـــت المجلـــس العربـــى للمياه فى اجتماعاتـــه التى انتهـــت فى 21/ 4/ 2021 يحذر على لســـان د. محمود أبو زيد، وزير الرى الأسبق ورئيس المجلس العربى للميـــاه، من اندلاع حرب قادمة للمياه ســـتكون نتائجها وخيمة كارثية للمنطقة بأثرهـــا، يهمنا أن نتوقف عند ما تضمنه الباب الأول من كتاب السفير ســـمير أحمد من مواقف أهم دول أعالى النيل من توزيع مياهـــه، وفى مقدمتها طبعاً إثيوبيا ثم رؤيته لدبلوماسية نيلية مصرية.

ويعتمد السفير سمير أحمد فى تتبعه لتاريخ المخططات والسياسات الإثيوبية حول مياه النيل على المؤتمر الذى عقده مركز الدراســـات الشرقية والإفريقية فى لندن، مايو 1999 والـــذى تحدث فيه الدكتور زيـــورى اباتى مدير عام هيئة وأساس تنمية الورديان فى إثيوبياً، والذى حدد فيه موقف بلاده على الوجه الآتى:

1 – فى حـــين أن مصر والســـودان لاتسهمان فى زيادة إيراد مياه النيل فهما الدولتان الوحيدتان حتـــى الآن اللتان

سفير د. السيد أمين شلبي
sams_maadi@yahoo.com

تســـتغلان مياهه بكثافة فى مشروعات الرى.. وقد اقتســـم البلـــدان بموجب اتفاقية ســـنة 1959، 84 مليار م3 من إيرادات النهر فيما أســـمياه (الاستثمار الكامـــل لميـــاه النيـــل) دون أن يعنيا بمجرد التشاور مع إثيوبيا وبقية دول أعالى النيل التى تسهم أكبر مساهمة فى إيرادات النهر.. وقامت مصر ببناء السد العالى دون أن تتشـــاور مع إثيوبيا أو تعنى بمجرد إخطارها.

2 – من المفارقـــات أن إثيوبيا التى تســـهم 86٪ من مياه النيل لا تستخدم منه أكثر مـــن 0.06 مليـــار م3 (أى 600 مليون م3) رغم تعرضها لموجات كاسحة من الجفاف فى مناطق متفرقة من إثيوبيا تـــؤدى إلى حدوث المجاعات بها.. ومن ثم فهى ليست ملزمة بقبول القسمة الجائرة بين مصر والسودان بل لإثيوبيا كل الحق فى مياه النيل الجارية بها وأن الدول الست الأخرى التى يجرى النيل فى أراضيها لا تستخدم سوى 0.05 مليار م3 (500 مليـــون م3) من مياه النيل فيما بينها حتى الآن أولا يحق لها هى الأخرى نيل حصة من مياه النيل؟

وأضاف دكتـــور ابانى قائلاً فإذا ما أســـفرت المفاوضات القادمة بين دول النيل عن مغانم إضافيـــة للبعض مع الإضرار بصالح وحقوق الآخرين فى الآونة نفسها فإن مبدأ التعويض العادل يجب أن يكون الحكم بينهم فالدول المستفيدة يجب أن تعوض الدول الخاسرة ويجب أن يكون التعويض نقداً وعلى أســـاس احتساب مقدار خسارة الخاسرين.

3 – هناك كثـــير من التحديات التى تواجه دول حوض النيل مما يجعل أمر التعاون فيما بينها أمـــراً حيوياً.. فكل هذه الدول عرضة لمشـــكلات بيئية أمراً حيوياً.. فكل هذه الدول عرضة لمشكلات بيئية عديدة منها التصحر وتآكل التربة والجفاف والقحط أحياناً والفيضانات المدمرة أحياناً أخرى وكذا المياه الراكدة فى مناطق المستنقعات وأمراض المناطق الاستوائية الوبائية ناهيك بمشاكل الفقر وعدم وجود الـــكادرات الفنية وزيادة السكان زيادة سريعة.

4 – ومن ثمّ تحتاج هذه الدول النيلية إلى «جهد مشترك ومنسق لاستغلال مياه النيل الاستغلال الأمثل» باعتبار حوض النيل كياناً بيئياً يجب أن تشـــارك فيه الدول التســـع الواقعة فى حوضه جميعاً وبشـــكل عادل فى توزيع واســـتهلاك واستغلال موارده المائية من أجل النفع المشترك ورخاء سكان الحوض.

يجب على الـــدول التســـع توحيد جهودها إذن لحماية البيئة ومنع الكوارث الطبيعية.. ولن يتسنى هذا إلا عن طريق إستراتيجية شاملة وخطة للعمل يكون قد تم تصورها ويتم تنفيذها كجزء من مخطط شامل متكامل بين الدول التسع عن طريق هيئات تنميـــة الموارد المائية بكل منها.

ويعقب الســـفير ســـمير أحمد على حديث خبير المياه الإثيوبى بأنه لم يفصح عن تفاصيل مشروعات بلاده لاستغلال مياه النيل، إلا أن البروفيســـور روبرت كولينز الأمريكى عـــدّد هذه المشروعات التى ســـبق أن أعدها مكتب استصلاح

السفير محمود سمير احمد «ومعارك المياه المقبله فى الشرق الاوسط»

الأراضى فى الولايـــات المتحـــدة، ما بين الخمسينيات والستينيات بناء على طلب حكومة الإمبراطور هيلا سيلاسى حليف الولايات المتحـــدة آنذاك تلك المشروعات بناء أربعة سدود كبرى على مجرى النيل الأزرق لتخزين مـــاء مجموعه 51.00 مليار م3 ســـنوياً (وهو ما يعادل الحد الأدنى لإيراد نهر النيل الأزرق ســـنوياً) ويـــؤدى إلى تخفيض إيراد النيل الأزرق بنسبة 8.5٪ وإلى توليد طاقة كهربائية لإثيوبيا تفوق طاقة الســـد العالى ثلاث مرات وتؤدى هذه المشروعات إلى زيادة نسبة الأراضى المزروعة فى إثيوبيا بنسبة 17٪ باســـتعمال إثيوبيا لستة مليارات م3 من المياه سنوياً، وأضاف البروفيسور كولينز إن إثيوبيا الحالية لن تتمكن من اســـتخدام مياه النيل إلى الحد المجزى قبل عشريـــن عاماً (أى بحلول ســـنة 2010) وأشـــار إلى أن احتمالات إقامة إثيوبيا لســـد (فينشا) قد تكون محاولة إثيوبيا الأولى لتغيير مجرى النيل الأزرق وتنفيذ مشروع متواضع نسبياً عن بقية المشروعات الأمريكية سالفة الذكر.. وقد تردد أن البنك الدولى للإنشـــاء والتعمير لم يقبل تمويل المشروع (فينشا) بسبب اعتراض مصر عليه عـــلى الرغم أن بنك التنمية الإفريقى قد وافق من حيث المبدأ على الإســـهام فى مشروع سد (فينشا) حيث إن البنـــك الإفريقى لا يخضع لمثل القيود التى يخضع لها البنك الدولى.

كما استعرض الأستاذ كولينز مواقف إثيوبيا الرسمية من مياه النيل فيما يلى:

أ - 6 / 2 / 1956 أعلنت إثيوبيا فى صحيفتها الرســـمية «إثيوبيان هيرالد» احتفاظ إثيوبيا بحقها فى استغلال مياه النيل الجاريـــة فى أراضيها (86٪ من إيراد نهر النيل).

ب - بعد شـــهور تقدمـــت إثيوبيا بمذكرات رسمية إلى السفارات المعتمدة فى القاهرة أكدت فيها حقها فى استعمال ميـــاه النيل لصالح الشـــعب الإثيوبى بغض النظر عن درجة اســـتغلال دول نيلية أخرى لمياه النيل.

أما الأســـتاذ تونى لان فقد أبدى أن مشروعات استغلال مياه النيل فى إثيوبيا حتى وإن كان ليس من المتوقع إتمامها

قبل عشرين عاماً، إلا أنها من حيث المبدأ تفوق فى تأثيرها على مصر والســـودان بكثير مشروعات الدول النيلية الأخرى فى أعالى النيل مثل كينيا وتنزانيا وأوغنده.. ذلك لأن مياه النيـــل الأزرق تمثل 86٪ من مجموعة إيراد النهر (ومن المحتمل أن ينقـــص إيراد النيل الأزرق بنســـبة 8.5٪ على أكثر تقديـــر من جراء هذه المشروعـــات) فى حين أن إيـــراد النيل الأبيض وهضبة البحيرات لا يتعدى 20٪ من إيراد نهر النيل ســـلباً بأكمله بحيث إن مشروعات كينيـــا وتنزانيا وأوغنده المكنة لن تؤثر سلباً بالقدر المحسوس على ما يصل مصر والســـودان من المياه خاصة وأن 19 مليار م3 من المياه يضيع على أية حال فى منطقة السدود.

وكان مـــن المتوقع مـــن دبلوماسى وباحـــث مصرى مثل الســـفير محمود سمير أحمد، فى انشـــغاله بأزمات المياه بالنسبة لمصر فى نطاق دول حوض النيل، أن تكون له رؤية لسياسة مصرية ذاتية رشيدة للتعامل مع أزمات المياه المتوقعة، فى هذا يعود الســـفير ســـمير أحمد إلى مداولات مؤتمر لندن ويعتبر أنها لم تكن تدعو للتفاؤل حـــول إمكانيات التعاون المســـتقبلى بين دول وشـــعوب حوض النيل.. فقد تشكك الأســـتاذ تونى آلان البريطانى فى تلك الندوة فى مدى اهتمام دول المنبـــع أو المنابع ببحث مشـــاكل التنمية المشـــتركة مع دول المصب كما تشـــكك فى أن ما تملكه مصر والسودان من ثقل اقتصادى أو سياسى أو عسكرى حيـــال دول المنابع قد يســـمح لمصر والسودان بالتأثير على دول أعالى النيل.

ويرى تونى آلان أنه إذا تأثر مجرى النيل بانخفاض محسوس ومستمر فى منسوب المياه كما حدث خلال الثمانينيات (حين لم ينقذ مصر مـــن الجفاف إلا المخزون الإستراتيجى للســـد العالي) فقد يصبح من المتعـــذر الوصول إلى اتفاقيات ودية بين دول المنبع أو المصب.

وفى تفصيلة لسياسة مصرية مائية مستقبلية فإنه يرتكز إلى النتائج المعلنة للندوة المهمة التى أقامتها جامعة القاهرة يومى 24، 25 مارس ســـنة 1990 عن أزمة المياه وتحديات التسعينيات والتى اشـــترك فيها أكثر من مائة وثلاثين من مهندسى المياه والدبلوماسية وأصحاب الخبرات العملية الطويلة المتصلة بمياه النيل من الولايات المتحـــدة وبريطانيا والـــدول النيليـــة ومنها أكـــبر خبراء مصر بطبيعة الحـــال. وقد انتهت ندوة الخبراء إلى الاســـتخلاصات التالية حول الصعوبات الفنية والتحديات السياسية التى تعـــوق أو تعطل التعاون المرغوب بين دول أعـــالى النيل ودول المصب وما يجب على مصر عمله فى هذا الميدان.

1 - صعوبـــة أو اســـتحالة إضافة موارد مالية من ميـــاه النيل من خارج حدود مصر فى المدى المنظور (حتى سنة 2000) لما تتطلبه مشروعات أعالى النيل وخاصة الهضبة الاســـتوائية من وقت طويل بافتراض اتفاق الدول المعنية وهو فى حد ذاته ليس قريب الاحتمال.

2 - ضرورة صياغة مصر لدبلوماسية نيلية قائمة على تحقيق المنافع المتبادلة مع دول حوض النيل ووجوب التوصل إلى صياغة أفضل أشكال التعاون المثمر الذى يحول الـــصراع المرتقب إلى تعاون يفيد كافة الأطراف.

3 - وجوب نشاط هذه الدبلوماسية على ثلاثة محاور هى الإفريقية والعربية والدولية لضمان كسب تأييد الرأى العام العربـــى والإفريقى والعالمى لمســـاندة حقوق مصر المشروعة فى مياه النيل.

أما بالنســـبة لسياسة مصرية مائية رشيدة فقد توصلت ندوة جامعة القاهرة إلى توصيف الداء واقتراح الدواء بالمثل.

1 - تتجســـد أزمة المياه فى مصر فى التناقص الحاد فى نصيب الفرد فى مصر من المياه من نحو 1700م3 سنة 1969 إلى نحو 1000 م3 ســـنة 1990 وتوقع اســـتمرار انخفاض النســـبة إلى نحو 790م3 عـــام 2000 وهو ما دون خط الفقر المائى الـــذى لا يجب أن يقل عن 1000م3 للفرد سنوياً.

2 - من شأن هذا الانخفاض التأثير

السلبى على إمكانيات التوسع الأفقى فى الزراعة، كما أنه يحول دون توفير المياه اللازمة للصناعة والطاقة والاستخدام المنزلى، ويشكل قيداً هائلاً على إمكانيات النمو والتنمية فى مصر.

3 - فى ضوء صعوبة أو استحالة إضافة موارد مائية من مياه النيل فلابد من توخى حلين آخرين هما:

أ - الترشيد فى استخدام المياه فى مصر وبخاصة فى الزراعة.

ب - التنمية وتحسين استخدام مصادر المياه غير النيلية (المياه الجوفية ومياه الأمطار على الساحل الشمالى وسيناء).

4 - تحتاج مشروعات ترشيد استخدام مياه النيل (أى تطوير نظام الرى إلى نظام أكثر فاعلية وأقل إهداراً لموارد النيل) إلى 30 ملياراً من الجنيهات بأسعار عام 1990 وسوف يزداد هذا الرقم حتماً مع كل تأخير.

5 - ويحتاج الأمر بخلاف توفير هذه الاعتمادات إلى تثقيف وتنمية رأى عام مسئول حيث اعتماد الرأى العام فى مصر الاعتقاد بأن المياه فى مصر بلا حدود وبلا ثمن كما تتمثل أبشع مظاهر ومخاطر الإهدار فى استمرار زيادة تلوث مياه النيل والمجارى المائية والمصارف إلى الحد الذى يزيد من صعوبة الاستفادة من المصارف فى الرى.

6 - توصلت الندوة إلى الرأى بأن أزمة المياه فى مصر ستتجاوز التسعينيات لتمتد إلى المدى غير المنظور فى القرن الواحد والعشرين وأنها تشكل واحدة من أهم تحديات المستقبل أمام مصر.

7 - وقد توصلت الندوة فى ضوء مداولاتها ومناقشاتها إلى توصيف سياسة مصرية مائية رشيدة للمستقبل لمجابهة أخطر التحديات القادمة.

أ - ضرورة تخصيص وزيادة الاستثمارات اللازمة لتطوير نظام الرى فى مصر لتجاوز الاستثمارات الهزيلة الحالية والتى لا تتناسب وحجم الأزمة المقبلة.

ب - وضع سياسة زراعية جديدة تحد من إهدار المياه بتعديل التركيب المحصولى ففى الزراعة مثلاً تم فى الماضى التوسع فى زراعة محاصيل معروفة باستهلاكها الهائل للمياه مثل قصب السكر والأرز ورغم أن هذين المحصولين يمثلان 11٪ من المساحة المنزرعة فى مصر لكنهما يستهلكان وحدهما 3٪ من المياه المخصصة للرى.. ويمكن استبدال قصب السكر بالبنجر الذى يستهلك خمس كمية المياه التى يحتاجها قصب السكر .. هكذا.

ج - صيانة الأراضى وتسويتها وزيادة التجميع الزراعى بدلاً من التفكك الحالى، وزيادة العمل التعاونى فى مجالات الرى فإنها كلها من شأنها إقلال إهدار استهلاك المياه.

د - إنتاج وتعميم الأصناف الأقصر مكوثاً فى الأرض والأقل استهلاكاً للمياه والأكثر مقاومة للجفاف والتى تستخدم نوعيات مياه أكثر ملوحة أى البعد عن القصب والأرز على سبيل المثال.

هـ - ضرورة الربط ما بين ندوة المياه المتوقعة، وضرورة تبنى تكنولوجيات صناعية متطورة تحتاج إلى كميات أقل من المياه وضرورة تحسين شبكات التوزيع لإقلال الفاقد والحد من الاستهلاك المنزلى بتثقيف الشعب فى وجوب الحد من الاستهلاك بتبصيره بأبعاد الأزمة.

و - تعميم طرق الرى الأقل (استهلاكاً للمياه: الرش والتنقيط والرى السطحى المتطور وتحتاج كلها إلى استثمارات ذات بال يجب على الحكومات المتعاقبة تدبيرها.

ومهما كانت آراء ندوتى جامعة لندن وجامعة القاهرة متفقة فى مضمونها العام ومن حيث بعدها عن التفاؤل بشأن إمكانيات قيام التعاون المشترك المثمر بين دول المصب ودول المنبع فى حوض النيل فى المستقبل المنظور، ومع ضرورة وحتمية تبنى مصر للسياسة المائية الترشيدية التى توصلت إليها ندوة جامعة القاهرة، إلا أنها لا تغنى عن حتمية تبنى مصر فى الآونة ذاتها للدبلوماسية النيلية الموصى بها أيضاً فى ندوة جامعة القاهرة والتى زدناها تفصيلاً وأضفنا إليها تصوراً جديداً عملياً فى هذا الفصل من الكتاب.

فلا يسع مصر أن تقف حائرة أو عاجزة أو مكتوفة اليدين أمام ما يمثل واحدة من أهم التحديات التى تواجه أمن مصر القومى وسلامتها ورخائها ناهيك بتحدى دبلوماسيتها الإفريقية.

ويحتاج الأمر، مثلما تحتاج أبعاد الأزمة المقبلة، إلى اتباع مصر للسبيلين فى نفس الآونة أى السياسة المائية الداخلية الرشيدة والدبلوماسية النيلية الشجاعة ذات الرؤية البعيدة والمتفائلة.

إذا كنّا قد عدنا إلى المساهمة العملية المبكرة فى توقع أزمات المياه بين دول حوض النيل، ورغم أن كتاب السفير سمير أحمد يعود إلى عام 1990، إلا أن ما تضمنه من تفصيل لرؤية إثيوبيا ومشروعاتها المبكرة لاستغلال مياه النيل، يجعل هذه التفاصيل تظهر أن مواقف إثيوبيا الحالية لها خلفياتها التى تعود إلى الخمسينيات من القرن الماضى، ومن أن الخبراء الذين ناقشوا هذه القضية فى التسعينيات قد شككوا فى النوايا والسياسات الإثيوبية وتوقعوا أن مفاوضات تجرى مع إثيوبيا حول التوزيع العادل لمياه النيل سوف تكون صعبة.

لذلك فإن إعادة قراءة كتاب السفير سمير أحمد بما فيه من رؤية لسياسة مصرية مائية، تصبح واجبة ومفيدة فى ما تواجهه مصر، ومعها السودان من تهديدات لمصالحها المائية. ويدفعنا استدعاؤنا للاهتمام المبكر لدبلوماسى وباحث مصرى بارز هو السفير الدكتور محمد سمير أحمد، فإنه يدفعنا أيضاً إلى مساهمة المجلس المصرى للشئون الخارجية فى منافشة هذه الأزمة، فقد عقد فى ديسمبر 2010 حين بدأت الأزمة تتجدد، مؤتمره السنوى حول «الأمن المائى المصرى، الواقع والمستقبل» فى هذا المؤتمر جرت مناقشات وقدمت أوراق متعمقة ومتخصصة عن حقيقة المواقف المائية فى حوض النيل، وما هى القوى الإقليمية والدولية المؤثرة على التفاعلات المائية فى ذلك الحوض؟ وما هى الأطر القانونية الحاكمة فيه؟ وكيف يمكن إدارة الموارد المائية فى حوض النيل؟ وهل يمكن أن يكون النيل مدخلاً للتكامل الإقليمي؟ وقد شارك فى هذا المؤتمر مجموعة من المتخصصين فى الشأن المائى فى مصر من مختلف التخصصات السياسية الاقتصادية والقانونية، والجغرافية والجيولوجية والهيدروليكية والدبلوماسية.

ومثلما دعونا إلى إعادة قراءة كتاب السفير د. محمود سمير أحمد، فإننا كذلك ندعو إلى قراءه الكتاب الذى صدر عن مؤتمر المجلس المصرى للشئون الخارجية، والذى حرره الخبير فى شئون الأمن المائى والإفريقى وأستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، الدكتور محمد سالمان طايع والكتاب متاح فى مكتبة المجلس المصرى للشئون الخارجية.

مصر الواثقة بسياستها الخارجية

أطلقت أجهزة السياسة الخارجية المصرية - فى السنوات الأخيرة - أدواتها ومدت أذرعها وأجنحتها لأبعد مدى، ووظفت كل وسائلها من أجل الحفاظ على مصالحها وأمنها وأمن المنطقة وسلام العالم والحفاظ على مكتسبات جهود التنمية لصالح شعبها وكل شعوب العالم.

تمتلك الدبلوماسية أدوات ووسائل عديدة للعمل تبدأ عند مستوى السفارات والسفراء والدبلوماسيين فى المقدمة، صعوداً للمستويات الوزارية حتى بلوغ قمة الوسائل عند مستوى الرئاسة ودبلوماسية المطارات. وتلك الأخيرة حرمنا منها طوال العشرين سنة السابقة على ثورة يناير 2011 نتيجة لجريمة محاولة الاعتداء على رئيس مصر فى أديس أبابا بتدبير خسيس من نظام ينتمى لدولة عربية فضلاً عن التقدم فى السن وتراجع حيوية الحركة الرئاسية.

وفى تقرير نهاية مهمتى سفيراً فى إفريقيا أثرت موضوع توقف الاتصالات والزيارات الرئاسية وتأثيره على سير علاقات ومصالح مصر وبخاصة مع دول القارة الإفريقية. ولما تحدثت مرة مع مسئول كبير - فى ذلك الوقت - لإيجاد حل للموضوع كان انطباعه هو أن السفراء يسعون لدعوة رؤساء الدول كى يصاحبوهم فى أجازة مريحة فى مصر. غير أن الدبلوماسية وعلاقات مصر الخارجية استعادت قدراتها - والحمد لله - وبرز الفارق الكبير فى الأداء. فتمثيل مصر فى الخارج والتمثيل الدبلوماسى بالقاهرة هو من أفضل ما نأمل ويعكس اهتمام دول العالم كلها بالعلاقات مع مصر. ولهذا سنجد أن من بين أكثر السفارات الأجنبية كثافة سنجد تلك التى تستضيفها القاهرة.

ومن يتابع أداء السياسة الخارجية المصرية عبر التاريخ، سوف يصل لنفس الاستنتاج. فقد مارست مصر سياسة خارجية نشطة منذ أكثر من ألفى سنة قبل الميلاد. عندما خرج «أحمس» ملك مصر ليطرد «الهكسوس من فلسطين، وخرج صلاح الدين الأيوبى لطرد الصليبيين بقيادة «ريتشارد قلب الأسد»، كما خرج إبراهيم باشا بجيش مصر ليدافع عن مجالها الإقليمى والحيوى، من الشام إلى المكسيك، ومن جزر اليونان حتى أعالى النيل.

سفير جمال الدين البيومي
gbayoumi@hotmail.com

تعاملت الدبلوماسية المصرية بكفاءة ومرونة كاملة مع المتغيرات الدولية فى مختلف حقب التاريخ التى شهدت صراعات وانقسامات واندماجات بين دول وسكان العالم من جانب، وبين الصراعات بين دول القارات المختلفة من جانب آخر عندما امتدت النزاعات والحروب الكبرى لمئات السنين. وانفضت إمبراطوريات وممالك بالانقسام لتستقر فى كيانات أصغر. فقد انقسمت الإمبراطورية الفرانكوجرمانية وراء حدود تفصل بين أولئك الذين يتكلمون الألمانية فيما سمى بألمانيا، وهؤلاء الذين يتكلمون الفرنسية وكونوا مملكة فرنسا. ثم فرضت الحربين العالميتين تقسيم ألمانيا بين شرق شيوعى وغرب رأسمالى، وفقدانها لأراض لها فى الشرق لصالح بولندا وروسيا وفى الغرب لصالح فرنسا بما يصل لنحو 23٪ من مساحتها. ويعيش جانب من الشعب الألمانى – للآن - تحت علم فرنسا ويحمل جنسيتها. كذلك انقسمت كل من النمسا والمجر، والنرويج والدنمارك. وتفككت مؤخراً دول البلقان وانقسمت تشيكوسلوفاكيا إلى دولتى التشيك والسلاف. واقتطعت أجزاء من رومانيا لحساب روسيا مقابل أجزاء من المجر لحساب رومانيا. وأجزاء من الصين شمالاً لحساب روسيا. وأجزاء من الهند لحساب الصين. وانقسمت الهند إلى دولتين وخرجت بنجلاديش من ضلع باكستان وظل إقليم كشمير متنازع على سيادته. ولم تكن مصر والمنطقة العربية بعيدة عن هذه الممارسات فنالها الكثير من حركات التوحيد والانقسام. وتعرضت كغيرها لحقب من الاستعمار والسطو على الموارد. ودخلت فى حروب فرضت عليها ولم تسع لها.

وفى واحد من أهم التطورات العالمية والأوروبية الحديثة سقطت الشيوعية بسقوط حائط برلين سنة 1989 ومعه ما كان يعرف بحلف وارسو. وتفكك الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية واستقلت دول منه لتنضم لاحقاً إلى الاتحاد الأوروبى بل وانضم بعضها كبولندا إلى حلف الأطلنطى الذي - بالمفارقة - عقد إحدى قممه فى وارسو التى كانت مقر «حلف وارسو» المعادى.

ولحقب طويلة ظلت أوروبا غازية أو ساعية لغزو البلاد الأخرى والاستيلاء على ثرواتها ومقدراتها وطرق مواصلاتها الحيوية. فى أكبر عملية «سطو» شهدها التاريخ من أقصى الشرق فى ماليزيا والصين والهند، إلى أقصى الغرب فى الأمريكتين الشمالية واللاتينية حيث طورد السكان الأصليون. وجنوباً فى إفريقيا وفى قلب الشرق الأوسط فى حقبة ظهور المعادن النفيسة والبترول الذى تم السطو عليه بنحو دولارين للبرميل. ومع ازدياد الأهمية الإستراتيجية لقناة السويس كأهم معبر مائى عالمى توالى على احتلال مصر كل من فرنسا وبريطانيا ووصلت ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية إلى مدينة العلمين.

بعد أن سقطت الشيوعية كنظام اقتصادى سعت روسيا (الشيوعية) للانضمام لعالم الاقتصاد الحر بدءاً من منظمة التجارة العالمية WTO سنة 2013 وبعد أن انضمت مصر لها بنحو 43 سنة. ثم انضمت روسيا إلى مجموعة الدول السبعة الصناعية الكبرى G7 (أمريكا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وكندا واليابان) لتصبح G8. ثم جمدت باقى الدول الأعضاء عضوية

الرئيس عبد الفتاح السيسى

روسيا بسبب ممارساتها السلبية تجاه دول معسكرها القديم. وأخذت الصين (الشيوعية) بنظام اقتصادى مزدوج يتيح اقتصاداً حراً فى هونج كونج ويسمح بقطاع خاص فى أرض الصين نتج عنه 130 مليون مواطن من ذوى الدخل الذى يتجاوز 30 مليون دولار سنوياً للفرد و130 مليوناً آخرين يعيشون تحت خط الفقر. وظلت الصين «فرموزا/ تايوان» بمعزل عن كل ذلك.

وجدت ألمانيا ملاذها من نتائج الهزيمة فى الحرب العالمية الثانية بحل الدولتين والقبول باقتطاع أجزاء من أراضيها والتركيز على بناء قدراتها الذاتية الاقتصادية أولاً ثم العسكرية. حتى صارت أكبر قوة اقتصادية فى أوروبا. واحتلت مركز أكبر دولة مصدرة فى العالم حتى سنة 2009. ورغم قبولها بتحديد قدراتها العسكرية الهجومية وامتناعها عن صناعة الأسلحة الهجومية من الطائرات والصواريخ، فقد نجحت فى بناء أكبر قوة عسكرية تقليدية فى أوروبا وأكبر اقتصاد جعلها أكبر مساهم صاف فى ميزانية الاتحاد الأوروبى وفى تكلفة حلف الأطلنطى. وعندما دعتنى وزارة الاقتصاد الألمانية لأحاضر خبراءها فى مدينة «جورليتس Gorlitz» على الحدود الألمانية مع بولندا، فسر لى مرافقى الألمانى كيف استفادت ألمانيا من الوحدة الأوروبية لتعويض فقدان الأراضى الألمانية. فصارت تستطيع الوصول لكل أراضيها وسكانها دون نزاع أو عناء.

لما خرج الاستعمار الأوروبى من المنطقة العربية نفذ فكرة «نابليون بونابرت» فى زرع كيان غريب فى فلسطين، ودعوة يهود أوروبا لاحتلالها والاستيطان فيها تحت مسمى إسرائيل وذلك بهدف فصل المشرق العربى عن مغربه ومنع اتصال مصر بالشام وأيضاً – وبالمرة – التخلص من يهود أوروبا بشكل قانونى. وأيدت أوروبا الكيان الجديد بل وشاركته بريطانيا وفرنسا فى عدوان ثلاثى على مصر سنة 1956 توقف بإنذار روسى وبضغط أمريكى.

تعاملت مصر مع كل هذه «المتغيرات» وأخذت جانب حلفاء الغرب فى الحرب العالمية الثانية. غير أن هؤلاء الحلفاء – ممثلين فى بريطانيا – ظلوا يحتلون ثكنات قصر النيل بالقاهرة (ميدان التحرير حالياً) ومنطقة قناة السويس حتى قامت ثورة 1952 وطردت الاحتلال بعد معركة العدوان سنة 1956. ولما تخلى الغرب عن تمويل بناء السد العالى فتحت مصر الباب لروسيا والاتحاد السوفيتى ودول شرق أوروبا للتعاون وللتسليح. وبالعكس عندما غير الاتحاد السوفيتى موقفه من مصر بعد هزيمة 1967 وبدأ يتلكأ فى الاستجابة لطلبات السلاح فإن الرئيس جمال عبدالناصر هو الذى قرر – وهو فى موسكو 1969 – قبول مبادرة وزير الخارجية الأمريكية «وليم روجرز» للسلام. بل إن الرئيس كلف وزير الخارجية محمود رياض الذى كان يرأس اللجنة العليا للعلاقات الاقتصادية الخارجية بدراسة موضوع «الآثار الاقتصادية لإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل» وقد صاغ مذكرة بهذا العنوان أستاذى ومعلمى سعادة السفير صلاح العبد أمين عام اللجنة ومدير الإدارة الاقتصادية بالوزارة وقتها، رحمه الله.

ولا يعلم كثيرون أن الرئيس جمال عبدالناصر هو من بدأ عملية «انفتاح الاقتصاد المصرى» عندما قرر سنة 1968 انضمام مصر للاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات GATT التى نشأت سنة 1947، وورثتها لاحقاً منظمة التجارة العالمية WTO سنة 1995، وتتيح تيسير التبادل التجارى بين أعضائها (164 دولة) على أسس ومزايا مبادئ الشفافية والمساواة فى المعاملة، والدولة الأولى بالرعاية وتثبيت الرسوم الجمركية. ولقد عاتبه الروس وقتها على الانضمام لمؤسسة رأسمالية يتحكم فيها الغرب. فإذا بالروس ينضمون لاحقاً لمنظمة التجارة العالمية وريثة الجات سنة 2013، وبعد مصر بنحو 43 سنة.

وعندما حققت مصر/ أنور السادات انتصارات أكتوبر التاريخية وتحرير الأرض سنة 1973، بدأت فى تحقيق إنجازات غير مسبوقة مستخدمة دبلوماسية التفاوض والسلام لتحرير باقى الأرض. ووقتها تخلى عن مصر «البعض» من العرب و«البعض» من الأصدقاء ومنهم الحلفاء الروس رغم أن مصر استعادت كل شبر من أراضيها بالنفس الطويل وبأدوات دبلوماسية أقدم دولة فى التاريخ. ونراجع الآن الموقف على أرض مصر الحرة، وعلى أراضى من عارضوها وعادوها، وتسببوا فى بقاء أراضيهم محتلة وأمنهم مهدد. وأين انتهت «لا دبلوماسية» صدام والأسد وصالح ومعمر، ببلدانهم.

أما أمريكا التى وقفت موقفاً معادياً لمصر لاعتراف «ناصر» بالصين الشعبية سنة 1956، وبثورة «فيديل كاسترو» فى كوبا، فهى التى أوصلت الصين لتصبح الشريك التجارى الأول لها وثانى أكبر اقتصاد وأكبر مصدر فى العالم. ثم يزور كوبا الرئيس الأمريكى «باراك أوباما» ليمد لها يد الصداقة والمصالحة.

ويقع بعضنا فى مصيدة المقارنة والتفرقة بين الرئيسين جمال عبد الناصر وأنور السادات، غير منتبهين إلى أن كليهما كان امتداداً لسياسة ودبلوماسية مصرية وطنية واحدة اختلفت أدواتها باختلاف المواقف. فالرئيس عبدالناصر هو الذى شن حرب الاستنزاف، وقبل بعدها مبادرة «روجرز» للسلام. والرئيس السادات هو صاحب قرار الحرب الشجاع رغم تحذيرات الروس المحبطة. وهو الذى تفاوض سلماً لاستعادة أرض مصر، وبدأ أكبر عملية لتحرير الاقتصاد والتنمية. فمصر غيرت وسائلها وتحالفاتها وفقاً لمصالحها. ويعكس ذلك ما لمسته بشكل عملى عندما وجه لى قائد المدمرة الفرنسية «جان دارك 2» الدعوة للعشاء وهى راسية فى ميناء ريو دى جانيرو سنة 1974 وكان أحد محاور الحديث على العشاء موضوع «المتغيرات الدولية»

فقلت لمضيّفى إن عشاءنا الآن فوق ظهر «جـــان دارك2» المملوكة لدولة صديقة لمصر، هو نتاج واضح للمتغيرات الدولية لأن «جـــان دارك1» دمرتهـــا البحرية المصرية أمام الشواطئ المصرية فى حرب 1956 واستشـــهد فى الهجوم صديق لى وهو الضابط البحرى الســـورى «جول جمال» الذى سكنا سويا فى نفس النزل وقت دراســـته بالكلية البحرية المصرية ودراستى بتجارة الإسكندرية.

وعندما وقعت مصر معاهدة السلام مع إسرائيل واعترفت بها «اعتراف الأمر الواقـــع» - وليس اعترافاً قانونياً - كان على الدبلوماسيين والدبلوماسية المصرية مواءمة مواقفهما وتعلم أساليب الحوار والتفاوض مع «عدو ســـابق» بأسلوب الدبلوماسى المحترف الواثق من قضيته والعارف بكل دقائقهـــا. وتزاملت مع أكثر من ســـفير لإسرائيل وحافظت على لغة التخاطب والحوار اللازمة وحرصت على متابعة تعليمـــات «الديوان العام» واستشارته. وتخطيت بنجاح كثيراً من المواقف. ومثال ذلك عندما وجه لنا سفير إسرائيل - فى دولـــة إفريقية - الدعوة للغداء فى يوم أحد، فقد فاجأنا فى نهاية الحفـــل بخطاب قال فيه إن مناســـبة الدعوة هى «إحياء ذكرى مغادرة اليهود مع ســـيدنا موسى لأرض وادى النيل». وأدهشـــنى أننى لم أكـــن الوحيد الذى اســـتفزه هذا الحديث «الجريء» فقد همس لى كل من وزيـــر خارجية البلد وكنت أجلس إلى يمينه، وســـفير دولة كبرى كان يجلس بجانبى. وطلب كلاهما أن أرد على «جرأة» الســـفير. فقلت له - لما دعانى للحديث - أننى أشـــعر نحوه بالامتنـــان، إذ يكلف خاطـــره ليحتفل بذكرى مصرية حدثت منذ آلاف السنين قبل نشـــأة دولته. خاصة وأن ســـيدنا موسى عليه السلام ومن غادروا معه هم من المصريين «أهل مصر» وهم أجدادى أنا. بينما هو من بولندا ومستشـــارته من روســـيا ولا أظـــن أن أى من أجداد أجدادهما لهم أدنـــى علاقة بمصر ولا باليهـــود المصريين. فبهـــت الذى كفر. وأظن أن هذه الواقعة وغيرها رشحتنى لدى وزير الخارجية كى يكلفنى بعمل

وقعت مصر معاهدة السلام مع إسرائيل

إدارة إسرائيل سنتى 1994 و1995.

مرت بنا عشرات المناسبات التى كنا نمارس فيها مقارعـــة الحجج والجدل مع إسرائيل بالتى هى أحســـن. ونتيجة التجربة نجحت مـــصر وقتها - إلى حد بعيـــد - فى التعامل مـــع قطاعات من الإسرائيليين وأقنعتهم أن خيار الســـلام مع مصر ونتائجه هـــو البديل الأفضل. وكان من متعتى المهنية أن أراقب الحوار «الســـاخن» بين الوزيـــر عمرو موسى وشخصيات مثل «شـــيمون بيريز» فى حضور العملاق الدكتور أســـامة الباز رحمه الله. لكن الأمـــور تراجعت كثيراً منذ ذلك الوقت فى الجبهات الأخرى بعد اغتيال رئيس الوزراء «اســـحق رابين» ووفاة الرئيس السورى حافظ الأسد. فقد توقفت كل وعود السلام وأقدمت إسرائيل على ضم الجولان والتوسع فى الاستيطان غير المشروع فى الأراضى الفلســـطينية وضم القـــدس. وهو ما عارضه المجتمع الدولى، عدا أمريـــكا/ ترامب. وظهرت قـــوة المعارضـــة لســـلوك إسرائيل فى تصويـــت 149 دولة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ضد هذا الإجراء.

مصر الصامدة وسياس طول النفس

واضح الآن أن مصر تحت رئاســـة الرئيس عبدالفتاح السيسى عادت لتثق فيما تفعل وتبنى خطواتها وفقاً لتاريخ ممتد لآلاف السنين. ولديها من عناصر القـــوة ومن «طول النفـــس» ما يبلغها مرادهـــا فى كل تحـــد تواجهه. ومصر تعرف قوتها وقدراتها، لكنها لا تستخدم هذه القـــوة دون ضوابط. لأن لديها من الوسائل السياســـية والدبلوماسية ما يمكنها من تحقيـــق مصالحها. فمثلاً إذا استوعبنا الأبعاد الفنية لسد النهضة ســـندرك أن الحقائـــق تصب فى صالح مصر. فالهضبة الإثيوبية غارقة فى مياه الأمطار (1600 مليار متر مكعب نحتاج منها 55) ولا تستخدم مياه النيل الأزرق فى الرى. كما أن الســـد مقام فى شمال البلاد. والمياه لا تتجه نحو الجنوب. لكن تبقى مشكلتان. الأولى سلامة بناء السد والخشـــية من انهياره. والثانية طول مدة ملء السد بما قد يؤثر على إمدادات المياه. وواضح أننا نعـــد لهذا الاحتمال دون «ضجيج». ولهـــذا تحاصر مصر الأمر تفاوضياً ودبلوماسياً على المستوى الثنائى مع إثيوبيـــا ودول القارة، وكل الـــدول والتجمعات المؤثرة. وسياســـة طول النفس كفيلة بتجنيب مصر الكثير من العناء.

كذلك أدارت مصر ملفى ليبيا وغاز شرق المتوسط بهدوء وأقامت تحالفات مع أعضـــاء فى الاتحاد الأوروبى وحلف الأطلنطـــى، بـــدءاً باليونـــان وقبرص والتوســـع باتجـــاه فرنســـا وإيطاليا وأسبانيا وغيرها. فوقف الاتحاد والحلف فى جانبنا. ثم أطلق الرئيس رسالة تحذير واضحة. وحدد «خطاً أحمر» غرب مصر لا يســـمح لأحد أن يتخطـــاه. وفهمت الرسالة بوضوح فاستقبلنا نائب وزير خارجية تركيا فى زيارة أعلن أن هدفها اســـتعادة العلاقات لوضعها الطبيعى. وبهـــذا حافظنا على أحـــد أهم ملفات

جمال عبد الناصر

محمود رياض

الثـــروة الاقتصادية المصريـــة. فدوائر السياسة الخارجية تبدأ بمحيط الجوار الليبى السودانى الفلسطينى، وبالوطن العربى، فالبعد الإفريقى، والإســـلامى، فالمتوسطى، والعالم النامى، وبما يشمل القوى العظمى.

أخيراً تصدت مـــصر لأقرب وأقدم قضايانـــا العربية، قضية فلســـطين والقدس الشريـــف أولى القبلتين وثانى الحرمين، فسخرت قدراتها على الاتصال بكفاءة تامة مـــع كل الأطراف بسرعة فائقة احتوت الموقـــف وأوقفت القتال حقناً للدماء واتجهـــت لقلب الموضوع مبـــاشرة بحثاً عن حل يصـــل إلى دولة فلسطين المســـتقلة وعاصمتها القدس. واســـتنطق الموقف المصرى النشـــط الأصـــوات الناصحة لإسرائيل لتحذيرها من أن حـــل الدولتين هو الضمان المتاح لأمنها وانكشـــف موقف رئيس وزرائها المستفيد من القتال الذى يمكنه من البقاء على الكرسى الذى يوفر له الحصانة من المحاكمة.

أما مصر فتســـتند قوة موقفها إلى تاريخها الممتد والـــذى يمكنها من أن تنظر للمنطقة بعد ثلاثين أو خمســـين سنة فلا تجـــد فيها مصيراً لدولة تبنى نفســـها على العـــداء فى الداخل وتهديد أمنها من كل جيرانها. وســـيظل الزمان فى صالح مصر وسياسة النفس الطويل القوية والواثقة مما تفعل. وتحدد موقف وحركة مصر المحددات التالية:

1 - القيام بدور نشـــط مســـاعد لعملية السلام على المســـتويين الثنائى والمتعدد الأطراف وتقريب وجهات النظر للوصول إلى تسوية شاملة. والتأكد من أن الســـلام والتنمية والديمقراطية هى الخيارات الأفضل للجميع.

2 - استمرار دور مصر العربى وفى الدول النامية، لدعم العلاقات الاقتصادية الدولية ومســـاندة النظم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

3 - الفصل بـــين المصالح الثنائية المصرية الأمريكية المباشرة، وبين المواقف الممكن الاختلاف حولها بالنسبة لقضايا تتعلق بأطراف أخرى. مع حفاظ مصر عـــلى القواعد الأساســـية للعلاقات مع إسرائيل رغم مـــا تواجهه من ضغوط الخـــلاف حـــول تحقيق الســـلام على المسارات الأخرى.

4 - ممارســـة أســـلوب إعلامى متوازن لا يغفل دور القوى التى تساند مصر وتدعـــم قدراتهـــا الاقتصادية، حتى وإن حـــدث خلاف معها فى بعض الجزئيـــات أو تجاه قضايـــا لا تمس العلاقات والمصالح المبـــاشرة. وإقناع الولايات المتحدة وغيرها بأن مساعداتها لمصر تحقـــق للمانـــح والمتلقى أفضل اختيـــار بالمعيار الاقتصـــادى لتكلفة الفرصة البديلة، مقارنة بالوضع فيما لو امتنع الطرف المانح عن المساعدة.

5 - الأخذ بزمام المبادرة فى علاقات مصر بإسرائيل. وتجنب الاكتفاء بموقف القبول أو الرفض لمـــا تطرحه إسرائيل من مبادرات، خاصة فى مجالى العلاقات الثنائية والتعاون الإقليمى. بحيث تصنع مصر ســـيناريوهات علاقات المستقبل بنفســـها ولا تكتفى بردود الأفعال بل تقوم «بشـــن» موجات مـــن مبادرات السلام.

6 - إشراك الـــدول العربيـــة فى توجهات مـــصر ومبادراتها، وإطلاعها المبكر على نتائج تلك التحركات. وتعظيم التحرك المصرى القائم فى الإطار العربى العام. أخذاً فى الاعتبـــار أن دور مصر العربى يحقـــق أفضل الخيارات لجميع الأطراف.

تمر عملية الســـلام حالياً بأكبر تحدٍ تشـــهده منذ توقيع اتفاقيات السلام فى واشنطن وأوســـلو ووادى عربة، وتكاد مسارات التســـوية أن تستعيد نشاطها مؤخراً. ولابد مـــن توفر شروط محددة لإمكان التوصل إلى أية تسوية حقيقية، من بينها:

1 - التأكد من رغبـــة الأطراف فى التوصل للتسوية والتغلب على الخلافات. وتطوير عملية الســـلام بمـــا يؤدى إلى تقليص ادعـــاء المخاطـــر الأمنية التى ترددهـــا إسرائيـــل، وإفهامها أن الأمن مطلوب لجميع الأطراف.

2 - بسط الســـلطة الفلسطينية لســـيطرتها عـــلى الموقـــف فى المناطق الفلسطينية وعلى التنظيمات التى لا تقبل بمجريات المفاوضـــات الراهنة وتراهن على عدم خضـــوع إسرائيل لمبدأ الأرض مقابل الســـلام. والموازنة بين قيام دولة فلســـطينية، وبين ضمان حجم الأراضى المحررة لحســـاب هذه الدولة وهو الأمر الأجدر بالأولوية.

3 - توقف أمـــور كثيرة على نجاح حكومة إسرائيل فى اســـتيعاب القيادات المتطرفة وإخلاء المستوطنين من الضفة والقطاع والجولان.

والواضـــح أنه فى حـــين أن هدف الفلسطينيين هو إقامة دولتهم فى الضفة والقدس الشرقيـــة والقطاع. فإن هدف إسرائيل من التسوية لا يزال غير واضح، خاصة فى مسألة المستوطنات. واحتلال أراضى جيرانها. وهـــو موقف لا يبشر «بمستقبل باهر» لإسرائيل.

حرب غزة غير المتكافئة ومستقبل عملية السلام

قادت إجراءات إسرائيل بحصار الفلسطينيين ومنعهم من الصلاة فى الحرم القدسى خلال شهر رمضان المبارك، ومنع دخولهم إلى باب العمود ومواصلة طرد عائلات فلسطينية من منازلها بذريعة ملكيتها لمستوطنين واقتحام الشرطة الإسرائيلية للحرم القدسى وتفرقة المتظاهرين بالقوة، إلى انتفاضة القدس الأخيرة ووحدة الشعب الفلسطينى وتجلى هويته الوطنية أمام العالم، الأمر الذى أحدث تحولاً مهماً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، التى عادت إلى صدارة الأحداث والاهتمام العالمى كقضية تحرير وطنى، يحمل عبئها شعب مؤمن بعدالة قضيته ويثق فى قدرته على الانتصار مهما طال الزمن وزادت التضحيات.

سفير د. عزت سعد
saad.ezzat@gmail.com

فى المقابل أثبتت هذه المقاومة الفلسطينية مدى سذاجة قوة الاحتلال المدعومة من الإدارات الأمريكية المتعاقبة بأنه لا حاجة لحل عادل ودائم للقضية الفلسطينية وأن الضغوط من أجل المزيد من التطبيع مع إسرائيل قد يؤدى إلى حل المشكلة من تلقاء نفسها.

وكما كان حال كل حروب الفلسطينيين ضد قوة الاحتلال، فقد اتسمت حرب غزة الأخيرة، والتى بدأت فى 10 وانتهت فى 21 مايو الماضى، بعدم التكافؤ ولم يحكمها ميزان قوة، على النحو المتعارف عليه فى الحروب التقليدية.

ولقد كان الدور المصرى حيوياً وأساسياً، حيث انخرطت القاهرة فى جهود دبلوماسية مكثفة للتوصل لوقف إطلاق النار وبلورة توافق سياسى يحمل إمكانية إعادة التسوية على أساس الدولتين. وفى هذا السياق جرت زيارات أمنية مصرية عديدة إلى غزة، ولقاء بين السيد سامح شكرى وزير الخارجية والرئيس محمود عباس، واستقبال وزير خارجية إسرائيل فى القاهرة فى زيارة هى الأولى من نوعها منذ 13 سنة، وقبلها زيارتان مصريتان على الأقل إلى إسرائيل خلال الحرب، بجانب التنسيق الوثيق مع الأردن. وجرى اتصالان هاتفيان بين الرئيسين الأمريكى جو بايدن والرئيس عبدالفتاح السيسى، أعرب خلالهما الرئيس الأمريكى عن تقديره لجهود مصر لوقف إطلاق النار واعتزام إدارته التنسيق الوثيق مع القاهرة حول الملف. وبالفعل استقبلت القاهرة وزير الخارجية الأمريكى أنتونى بلينكن – ضمن جولة له فى المنطقة – فى أواخر مايو الماضى، بهدف ترسيخ التهدئة، وتشجيع الجهود لبلورة مخطط إعادة إعمار قطاع غزة، كما أكد على حل الدولتين كسياسة أمريكية، وأن إدارة بايدن ستعيد فتح قنصليتها فى القدس الشرقية، التى أغلقها ترامب عام 2019.

وقد بدأت مصر مؤخراً إرسال طواقم فنية وهندسية لرفع أنقاض المبانى السكنية والمصانع المدنية التى دمرتها قوات الاحتلال فى قطاع غزة توطئة لإعادة إعمار القطاع حيث تلعب مصر دوراً قيادياً، تحت مظلة أممية، فى عقد مؤتمر لهذا الغرض، وفرت له مصر نصف مليار دولار أمريكى، مع بذل جهود لإقناع جميع الأطراف لتقديم الدعم عبر هذه المنصة. والجدير بالذكر هنا أن الرئيس بايدن أعلن «أن الولايات المتحدة ملتزمة بالعمل مع الأمم المتحدة، وسنظل ملتزمين بالعمل معها ومع الأطراف المعنية الدولية الأخرى لتقديم المساعدة الإنسانية السريعة وحشد الدعم الدولى لسكان غزة وجهود إعادة إعمارها».

ورغم أولوية إعمار غزة والحماس الأمريكى للمساعدة فى ذلك من خلال عمل متعدد الأطراف، إلا أن السوابق، والشواهد الحالية، لا تبعث على التفاؤل فى إمكانية أن تنتقل إدارة بايدن من مسألة «الهدنة الطويلة» التى تم التوصل إليها فى غزة، والتى ستكون محور جهود واشنطن فى المرحلة القادمة، إلى عملية سياسية شاملة تضع نهاية للاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية على

أســـاس حل الدولتين. إن هذا التشاؤم إزاء إمكانيـــة حدوث اخـــتراق فى الملف الفلســـطينى يجد أساسه ليس فقط فى تجاهل إدارة بايدن التام للممارســـات الإسرائيلية الإجرامية فى الأراضى المحتلة منذ يناير الماضى، والتى قادت إلى تفجر الموقف كما نتابعه الآن، بل واستناداً إلى موقف الديمقراطيين فى الماضى القريب إبـــان حكم أوباما/ بايـــدن (2009 – 2016).

وبادئ ذى بـــدء، فقد فوجئت إدارة بايدن بعملية «حارس الأسوار» (المسمى الذى أطلقتـــه إسرائيل عـــلى عمليتها العدوانية على غزة)، ذلك أنه بعد دخول بايدن البيت الأبيـــض، تجاهلت إدارته تعيين ســـفير لدى إسرائيل وقنصل عام فى القدس، كما لـــم تعيّن مبعوثاً خاصاً عنها للصراع، مكتفية بتكليف مسئولين مـــن وزارة الخارجية، المغلقة على مدى أربع ســـنوات هى فترة ولايـــة ترامب، بمتابعـــة الموضوع. وفضـــلاً عن ذلك، ووفقـــاً لتقديرات أمريكيـــة عديدة، لا يبدو أن هذه الإدارة مستعدة لاستثمار مـــوارد وجهود سياســـية جدية فى هذا المجال خلال الفترة القادمة، حيث تبعث برسائل مفادها أنها فى حاجة إلى بعض الوقت لترتيب البيت من الداخل وتشكيل الطاقم الذى ستوكل إليه مهمة معالجة هذه القضية بمنظور إســـتراتيجى، فى الوقت الذى تتخبط فيه إسرائيل بأزمتها السياســـية الداخلية، حيث باتت رهينة فى أيدى اليمين العنصرى المتطرف الذى لا تعنيه عملية السلام أساساً. وعادة ما تشـــير التقديرات إلى أنه فى إدارة بايدن ذاتهـــا هناك عدد كبير من المســـئولين السياسيين الذين شغلوا مواقع مختلفة فى إدارة الرئيس بـــاراك أوباما وكانوا ضالعين فى تناول الملف، وأنهم يعرفون تفاصيلـــه جيداً. كما يعرفـــون، أيضاً، جميع الإخفاقات التى منيت بها مبادرات الوساطة المختلفة التى أطلقت خلال تلك الفترة، ابتداء من جورج ميتشل وحتى جون كيرى، ولذلك فهم لا يرغبون الآن فى تشـــجيع الرئيس بايدن على خوض مغامـــرة أخرى جديـــدة دون تحضير واســـتعداد كافيين. هذا بجانب انشغال الإدارة بمسألة المشروع النووى الإيرانى والعودة للاتفـــاق الخاص بذلك، والذى انسحب منه ترامب فى مايو عام 2018، باعتبارها القضية الأكثر إلحاحاً، وذلك من خلال اتصالات وحـــوارات تجريها مـــع إسرائيل بمعزل تـــام عن القضية الفلسطينية.

ورغـــم الممارســـات الإسرائيليـــة الإجراميـــة فى الأراضى المحتلة منذ يناير الماضى وحتى الآن، والتى قادت إلى تفجر الموقف كما نتابعـــه الآن، وبدلاً من أن يدفع كل ذلـــك إدارة بايدن إلى تكثيف تدخلها وقبل تفجر الموقف، سار بايدن على خطى أســـلافه، لاعتبارات انتخابية وانتهازية بحتـــة، حيث آثر الامتناع عن الوقـــوع مرة أخرى فى أزمـــة حادة فى العلاقات الثنائيـــة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، مثلما حدث بين إدارة أوباما وحكومة نتنياهو.

وللأســـف الشـــديد لا يبشر سجل بايدن، عندما كان نائباً للرئيس الأسبق أوباما بأى خير. فبعد فشـــل محادثات الســـلام خلال فترة ولايته الأولى، أولت إدارة أوبامـــا اهتمامها الأكبر لمعارضة أى عمل فلسطينى على الساحة الدولية عندما كان الهدف الرئيسى من مثل هذا العمل هو تعزيز حل الدولتين ومعايير السلام المعترف بها دولياً. كما قام أوباما بممارســـة ضغوط على الرئيس عباس لتأجيل التصويت فى مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنســـان للمصادقة على تقرير المنظمة العالميـــة لتقصى الحقائق الذى يوثق جرائم الحـــرب والجرائم المحتملة ضد الإنســـانية التى ارتكبتها إسرائيل وحماس خلال القصف الإسرائيلى لغزة (2008 / 2009). وفى عام 2011، وفى الوقت الذى ألقت فيه إدارة أوباما بثقلها لدعم ثورات الربيـــع العربى، عارضت الإدارة محاولـــة فلســـطين الحصول على عضوية الأمم المتحـــدة، والتى كان من شـــأنها تعزيز الموقـــف التفاوضى الفلســـطينى وإنقاذ رؤية حل الدولتين التى كانت بمثابة سياســـة رســـمية أمريكية.

ومـــع تعيين جـــون كـــيرى وزيراً للخارجية فى فترة ولايـــة أوباما الثانية، عمل كـــيرى مباشرة مـــع الإسرائيليين على وضع معايير لاســـتئناف المحادثات دون أى تشـــاور مع الفلســـطينيين. وبعد تســـعة أشهر من المفاوضات التى لم تسترشـــد بمرجعيات متفق عليها، انتهت المحادثات. وقد أنهت إدارة أوباما محاولتهـــا لصنع الســـلام الإسرائيلى الفلســـطينى مع إعلان كيرى عن دعم الولايات المتحدة لسلام بمضامين جديدة أبرزها الشرط الخاص بضرورة اعتراف الفلسطينيين بإسرائيل كدولة يهودية، مع ما يرتبه ذلك مـــن آثار كارثية على عودة اللاجئين. ورغـــم العداء الصريح الذى تابعـــه العالم كله بين إدارة أوباما ورئيس الـــوزراء الإسرائيـــلى، ارتباطاً بالمفاوضات حـــول الاتفاق النووى مع إيران عام 2015، وخطاب نتنياهو أمام الكونجرس، وقّـــع أوباما مذكرة تفاهم مدتها عشر ســـنوات بقيمـــة 38 مليار دولار كمساعدات عسكرية لإسرائيل، هى

الأكبر فى تاريخ الولايات المتحدة.

ومع كل الانتقادات الأمريكية لبناء المستوطنات الجديدة باعتبارها «غير شرعية»، لم تستطع الولايات المتحدة سوى أن تمتنع عن التصويت على قرار لمجلس الأمن (القرار رقم 2334/ 2016) يؤكد مجدداً عدم شرعية النشاط الاستيطانى فى الأراضى المحتلة بما فيها القدس الشرقية.

أما الكونجرس، فله موقف مخز وغير أخلاقى من القضية، سواء كانوا أعضاء جمهوريين أو ديمقراطيين. فنشاط إسرائيل المحموم لبناء المستوطنات لم يكن فى أى وقت محل تعليق من الكونجرس. وظل تركيز هذا الأخير على منع المصالحة بين فتح وحماس من خلال حجب الدعم الاقتصادى لأية حكومة وحدة وطنية فلسطينية، وأقر الكونجرس العديد من القوانين التى تعاقب منظمة التحرير الفلسطينية على التدابير التى اتخذتها الأمم المتحدة، بما فى ذلك الحصول على العضوية الكاملة، و«أى إجراء» تم اتخاذه فى المحكمة الجنائية الدولية.

وعلى غرار القوانين السابقة التى تقيد منظمة التحرير الفلسطينية، قدم الكونجرس تنازلاً رئاسياً يقضى بأن يشهد وزير الخارجية بأن منظمة التحرير الفلسطينية أعادت المشاركة فى «محادثات جادة» مع إسرائيل. وهكذا، أصبحت شرعية المنظمة فى الولايات المتحدة مرهونة باستمرارها فى عملية سلام فاشلة.

وإذا كانت إدارة بايدن قد أعلنت عن اعتزامها استئناف المساعدات للفلسطينيين، إلا أن هذه المساعدات ستتأثر سلباً فى ضوء تشريعين جديدين أقرهما الكونجرس الجمهورى فى عهد ترامب. وفى هذا الصدد، يدعو قانون قوة تايلور "Taylor Force Act" إلى وقف جميع المساعدات لمنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية طالما أنها مستمرة فى تقديم مدفوعات الرعاية

ترحيب بالاطقم الهندسية المصرية فى غزة

الاجتماعية لعائلات من هم فى السجن أو استشهدوا أثناء ارتكاب العنف السياسى ضد إسرائيل أو أشخاص أمريكيين. ويجبر قانون «توضيح مكافحة الإرهاب "The Anti – Terrorism Clarification Act"، لعام 2018، منظمة التحرير الفلسطينية/ السلطة الفلسطينية، على رفض جميع المساعدات الأمريكية فى أى حال. وبموجب قانون المساعدة فى مجال الأمن الغذائى، إذا قبل الفلسطينيون أى دعم اقتصادى للمساعدة الأمنية، فسوف يعرضون أنفسهم لما يزيد على 600 مليون دولار تعويضات عن أضرار لعائلات ضحايا العنف السياسى لمنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية.

إن تاريخ الانخراط الأمريكى فى التعامل مع الملف الفلسطينى/ الإسرائيلى اتسم دائماً بالانحياز الكامل لإسرائيل وعدم وجود أية إرادة سياسية للتخفيف من المواقف التفاوضية غير المتكافئة بين المحتل وقوة الاحتلال. ولقد رفضت الولايات المتحدة دائماً الاعتراف بالحقوق التاريخية للفلسطينيين والأساس القانونى لمطالبهم، مطالبة – بدلاً من ذلك – بأن تخضع المعايير المتعلقة بمسائل مثل الحدود واللاجئين والقدس لمفاوضات ثنائية، وبالتالى استخدام إسرائيل لحق النقض. وعندما تحدثت الولايات المتحدة عن مسألة معايير السلام، كان ذلك لدعم المواقف الإسرائيلية والدعوة إلى المزيد من التنازلات الفلسطينية.

وتسئل الولايات المتحدة الأمريكية عن فشل كافة الجهود المتعددة الأطراف، ابتداء بالممثل الخاص للتوسط بين إسرائيل والدول العربية، عملاً بقرار مجلس الأمن الدولى رقم (242) والذى لم تستغرق جهوده سوى عام واحد، ومجموعة الرباعية الدولية التى أنشئت عام 2002 بمبادرة من الأمين العام للأمم المتحدة بهدف دعم المفاوضات الثنائية والعمل كوسيط، إلا أن واشنطن تولت دور قيادة وتوجيه المجموعة لخدمة أجندتها السياسية الخاصة التى عكست المصالح الإسرائيلية إلى حد كبير. وفى هذا السياق يقدر البعض أن الرباعية الدولية هى «من الناحية العملية، مجموعة من أصدقاء الولايات المتحدة، ولا تشعر هذه الأخيرة بالحاجة إلى التشاور بشكل وثيق مع المجموعة، إلا عندما يكون ذلك مناسباً لها». وفى هذا السياق، أعادت الولايات المتحدة تفسير خارطة الطريق لتشترط أن يتم الامتثال الفلسطينى قبل امتثال إسرائيل ومطالبة الجانب الفلسطينى بإنهاء العنف وإقامة الحكم الرشيد والمؤسسات الموثوق فيها... إلخ، كل ذلك يعنى أن الرباعية كمجموعة لم تهتم بقضايا الوضع النهائى، وإنما بإدارة الشئون الداخلية الفلسطينية.

وفى كل الأحوال، لا يجب المبالغة فى الرهان على بايدن والقفز على

حقيقة أن رؤساء الحزب الديمقراطى يدعمون اللاءات الإسرائيلية المعروفة: لا عودة إلى حدود عام 1967، القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل وتبنى الرواية التاريخية للحركة الصهيونية والدفاع عن حق إسرائيل فى الوجود بوصفها دولة «يهودية» ورفض حق اللاجئين فى العودة، واعتبار الأرض والاستيطان وكل شيء مسألة نزاع تحل بالتفاوض. ويعطى كل ذلك قوة الاحتلال، المسيطرة على الأرض، ميزة خلق الوقائع التى تناسبها، والتى تصادر مضمون المفاوضات وتضعها فى النهاية أمام ما تريده إسرائيل.

والخلاصة هى أنه بالرغم مما هو متوقع من صعوبات ستواجهها إدارة بايدن، بسبب الاعتبارات السابق الإشارة إليها بما فيها التشريعات التى تقيد قدرتها على مساعدة الفلسطينيين والنفوذ الإسرائيلى على الكونجرس ومراكز صنع القرار فى الولايات المتحدة، وبالتالى سيكون تركيز الإدارة على بلورة مخطط يسمح بتثبيت الوضع فى غزة بهدف منع تجدد أعمال العنف، إلا أن حرب غزة الأخيرة والاستخدام المفرط للقوة العسكرية من قبل إسرائيل وما أحدثه ذلك من دمار هائل فى القطاع، قد لفت انتباه المجتمع الدولى، بما فى ذلك أوساط الرأى العام الأوروبى وقطاعات لا يستهان بها داخل الولايات المتحدة، إلى القضية الفلسطينية وممارسات إسرائيل العنصرية والاستيطانية التى باتت محل إدانة واسعة بمعايير الشرعية الدولية والإنسانية والأخلاقية. وتكفى الإشارة فى هذا الصدد إلى عدد صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية فى 26 مايو الماضى الذى تضمن فى صدر صفحاته أسماء وقصص الأطفال الفلسطينيين الذين قتلتهم آلة الحرب الإسرائيلية فى عدوانها الأخير على غزة وبلغ عددهم 66 طفلاً وطفلة. وأفردت الصحيفة لذلك مساحة كبيرة على خلفية سوداء حداداً عليهم، تحت عنوان عميق الدلالة: «لقد كانوا مجرد أطفال». وبجانب ذلك عمت المظاهرات الشعبية مدناً عديدة فى أوروبا وأمريكا الشمالية تندد بالممارسات الإسرائيلية، كما شارك قادة رأى ومشاهير وفنانون فى اتخاذ الموقف ذاته عبر مواقع التواصل الاجتماعى وغيرها، إضافة لمواقف مماثلة لأعضاء برلمان ومجالس منتخبة فى دول أوروبا وأمريكا. أيضاً كان لافتاً قيام 500 ناشط أمريكى من الحملة الانتخابية لبايدن ومن اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطى بالتوقيع على رسالة تدعو الرئيس الأمريكى إلى معاقبة الحكومة الإسرائيلية على جرائمها بحق الفلسطينيين.

والخلاصة هى أنه يتعين على الدول العربية بقيادة مصر أن تنسق الجهود مع كتلة عالمية تتزايد باطراد تطالب بوقف الاستثناء الإسرائيلى المعمول به أمريكياً وأوروبياً، وبضرورة محاسبة إسرائيل ووقف ممارساتها العدوانية. ويجب أن تنصرف هذه الجهود إلى مجموعات داخل المجتمع الأمريكى ذاته، بما فيها التيار التقدمى الليبرالى من الحزب الديمقراطى الذى يطالب بربط جزء من المساعدات الأمريكية لإسرائيل باحترامها حقوق الإنسان، كما توجد منظمات ومؤسسات أمريكية غير حكومية عديدة مثل «هيومن رايتس واتش» و«كارنيجي» تصف ما تقوم به إسرائيل الآن بالأبرتهايد. والمؤسف هنا أنه لا يبدو أن الانتفاضة المفاجئة التى جرت داخل الأراضى المحتلة وحول العالم قد غيرت كثيراً من سلوك إسرائيل التى تبدو راضية تماماً عن نفسها على مدى سنوات حكم نتنياهو حتى الآن، كما اعتقد البعض أن ما يسمى بالاتفاقيات «الإبراهيمية» الأخيرة والتى بموجبها أقامت إسرائيل علاقات دبلوماسية مع أربع دول عربية، قد كشفت عن تراجع واختفاء القضية الفلسطينية، أما الآن فعلى الجميع مراجعة موقفه ليس فقط فى ضوء اهتزاز التعايش الهش بين العرب واليهود داخل إسرائيل، بل وأيضاً قدرة الحركة الوطنية الفلسطينية على الصمود، رغم غطرسة إسرائيل وبطشها منذ استيلائها على القدس الشرقية والأقصى والضفة عام 1967، وهو ما يستحق الدعم العربى ليس بالوسائل التقليدية، كالشجب والإدانات، وإنما بأفعال حاسمة تشعر معها إسرائيل والولايات المتحدة بأن مصالحها مع الدول العربية باتت على المحك، دون أن يعنى ذلك بالضرورة الإضرار بالعلاقات الدبلوماسية بين الدول العربية وهاتين الدولتين.

ليبيا ومخاوف من عرقلة المسار إلى الانتخابات

منذ أن تشكلت السلطة التنفيذية الليبية الانتقالية المكونة من المجلس الرئاسى، وحكومة الوحدة الانتقالية، بناء على مخرجات الاتفاق الذى تم التوصل إليه من خلال الملتقى السياسى الليبى، طفت على السطح عدة مطالب عاجلة يتطلب إنجازها، أو على الأقل إنجاز معظمها، حتى يتيسر تحقيق أحد الأهداف الرئيسية والبالغة الأهمية للاتفاق السياسى الليبى، وهو إجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية فى 24 ديسمبر 2021 باعتبار أنها سترسى أساساً ديمقراطيًا على قاعدة انتخابات حرة ونزيهة للسلطة والشرعية وفقًا للإرادة الشعبية الليبية.

سفير رخا أحمد حسن
rakhahassan@yahoo.com

ومن أهم المطالب العاجلة هو إخراج جميع القوات الأجنبية وجماعات المرتزقة المسلحة من ليبيا وذلك لتهيئة مناخ حر وخال من الضغوط التى قد تنتج عن وجود هذه القوات بما يؤثر على نتائج الانتخابات أو يعطل مسيرتها أو يهدد إجراءها. وقد أيد مجلس الأمن للأمم المتحدة هذا المطلب واعتبره أمرًا عاجلاً واجب التنفيذ. كما أن وزيرة الخارجية الليبية فى حكومة الوحدة الانتقالية نجلاء المنقوش، طالبت فى مؤتمر صحفى مشترك مع وزير خارجية تركيا أثناء زيارته طرابلس، بضرورة خروج كل القوات الأجنبية والمرتزقة المسلحين من ليبيا، وناشدت الأمم المتحدة، والدول الداعمة لمسيرة السلام فى ليبيا، المساعدة لإنجاز هذا المطلب.

ولكن قوبلت تصريحات الوزيرة من بعض الأطراف الليبية بانتقادات شديدة خاصة فى غرب ليبيا، لدرجة المطالبة بإقالتها من منصبها واعتبار أن مطلبها يهدد بعدم الاستقرار فى ليبيا فى المرحلة الانتقالية. أما تركيا فقد أكدت أن وجودها فى ليبيا يستند إلى مذكرة التعاون الأمنى والعسكرى التى وقعتها فى نوفمبر 2019 مع حكومة الوفاق الليبية برئاسة فايز السراج، وأن القوات التركية تساهم فى تدريب قوات ليبية وتأهيلها، كما أنها تدعم حكومة الوحدة الليبية الانتقالية من أجل إنجاز الاتفاق السياسى وإجراء الانتخابات فى موعدها.

وقد سبق أن صرح رئيس حكومة الوحدة الليبية عبدالحميد الدبيبة بأن حكومته غير مختصة بمذكرتى التفاهم بين تركيا وحكومة الوفاق الليبية السابقة، وأنه سيعمل بهاتين المذكرتين إلى أن تتخذ السلطات الليبية المختصة قرارًا بشأنهما. وأكد على أواصر العلاقات القوية والتعاون فى كافة المجالات مع تركيا سواء فى المرحلة الانتقالية أو ترتيبات عملية إعادة الإعمار.

وأبدت أغلبية الأطراف الضالعة فى الأزمة الليبية اهتمامًا كبيرًا بضرورة خروج القوات الأجنبية والمرتزقة من ليبيا فى أقرب وقت وقبل إجراء الانتخابات الليبية بوقت مناسب، وهو ما أكدته الولايات المتحدة، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، ومصر، وغيرها من الدول، ولكن الوضع عمليًا لم يتغير. وكانت تركيا قد أخرجت دفعة محدودة من المرتزقة السوريين الذين أحضرتهم إلى ليبيا فى مارس 2021، ولكنها عادت من جديد بإحلال مجموعة أخرى محلهم وتجديد المجموعات التى تنتهى مدة عملها فى ليبيا. كما تفيد تقارير المرصد السورى فى لندن، وتربط بعض الأطراف بين وجود القوات التركية والمرتزقة السوريين فى غرب ليبيا، وبين وجود قوات شركة فاجنر الروسية، وجماعة الجنجويد السودانية، وجماعات من تشاد وإفريقيا فى شرق ليبيا، وتطالب بأن يطبق الانسحاب من ليبيا على الجميع بلا استثناء.

ومن المطالب المهمة والملحة مطلب بتحقيق المصالحة الوطنية الليبية، وترميم ومعالجة الشروخ والجراح التى أحدثت انقسامات على عدة مستويات فى المجتمع الليبى بسبب الحرب والعنف المتبادل بين الطوائف والعشائر خاصة فى مناطق غرب ليبيا وجنوبها. وقد تستغرق عملية المصالحة وقتًا يتعدى تاريخ إجراء الانتخابات فى نهاية هذا العام، ولكن البداية وبأسرع ما يمكن مطلوبة. وقد أعلن المجلس الرئاسى الليبى تدشين الملتقى التأسيسى للمفوضية العليا للمصالحة الوطنية فى 30 مايو 2021 وأعلن المجلس الرئاسى أن المفوضية ستنظم ملتقيات تعقد على خمسة مسارات بمشاركة كل الفاعلين فى المصالحة الوطنية، مع مراعاة التنوع الثقافى والجغرافى وفئات الشباب والمرأة، ومؤسسات المجتمع المدنى، ورجال الدين، والمجالس البلدية. وذلك بهدف وضع تصورات ومفاهيم ومقترحات تساعد فى هيكلة مفوضية المصالحة الوطنية، واتخاذ القرار المناسب بشأن قيادتها، وباعتبار أن المرحلة القادمة تتطلب العمل على إنجاح ملف المصالحة على نحو يمهد الطريق لإجراء الاستحقاق الانتخابى فى موعده. وستوزع المسارات الخمسة جغرافيًا على كل المدن الليبية دون إقصاء لمنطقة دون أخرى، وأن المجلس الرئاسى سيحترم كل مبادرات المصالحة الوطنية السابقة والعمل على الاستفادة من التجارب الناجحة منها.

مطلب آخر أكثر إلحاحًا وهو تعيين القيادات فى المناصب السيادية، وكان البرلمان الليبى شكل لجنة لتسلم وقبول وفرز ملفات المرشحين لهذه المناصب، وقد أنهت اللجنة عملها فى نهاية شهر إبريل 2021، وأحالت الملفات التى تم فرزها وقبولها إلى مجلس الدولة. وقد حث رئيس البرلمان عقيلة صالح مجلس الدولة على سرعة إنهاء هذا الموضوع وإعادته إلى مجلس النواب للبت فى التعيينات فى أقرب وقت ممكن، وكان ذلك خلال اجتماع صالح مع أعضاء من مجلس الدولة فى 30/ 5/ 2021. وتقع مسئولية توحيد مؤسسات الدولة على عاتق السلطة التنفيذية بشقيها المجلس الرئاسى، وحكومة الوحدة الانتقالية، والبرلمان. ولكن ثمة موضوع بالغ الأهمية وهو توحيد القوات المسلحة والأمنية فى سلطة مركزية لها أفرع تابعة لها فى الأقاليم الليبية حتى يمكن إحكام السيطرة الأمنية خاصة على الحدود

الجنوبية والبحرية، والتحكم فى الهجرة غير المشروعة، والجريمة المنظمة، وعمليات الاتجار بالبشر، وكلها بنود تثير قلق الدول الأوروبية، ويثير الزعماء الأوروبيين الذين التقوا برئيس المجلس الرئاسى، ورئيس حكومة الوحدة الليبية، خاصة إيطاليا وفرنسا وألمانيا واليونان وإسبانيا، وهم الأكثر عرضة لتوجه اللاجئين والهجرة غير المشروعة وعمليات التهريب إليهم وما تحدثه من مشكلات وأعمال إرهابية فى بعض الحالات كما فى فرنسا.

ولعل من أهم وأصعب المهام توحيد القوات المسلحة والأمنية فى ليبيا وقد ظهرت بقوة مع قرار المشير خليفة حفتر إجراء أكبر عرض عسكرى فى بنغازى للجيش الوطنى الليبى الذى يتولى قيادته يوم 29 مايو 2021، ووجه دعوة لحضور العرض إلى كل من محمد المنفى رئيس المجلس الرئاسى، وعبدالحميد الدبيبة رئيس حكومة الوحدة، ولكنهما لم يحضرا حيث كان كل منهما فى زيارة خارج ليبيا فى نفس الوقت، وقد وجه المجلس الرئاسى انتقادات علنية رسمية لإقامة العرض العسكرى، ودعا إلى تجنب ما وصفه «التصرفات الأحادية» ذات الطابع العسكرى على غرار الاستعراضات العسكرية دون إذن مسبق، وحذر فى بيان له يوم 28 / 5 / 2021 من أى تصرفات قد تؤدى إلى عرقلة العملية السياسية، وطالب بالوقف الفورى لكل ما من شأنه المساس بما تحقق عبر المسار السياسى. ودعا بعثة الأمم المتحدة فى ليبيا، والدول الراعية لاتفاق السلام الليبى للقيام بدور نشط لتفادى أى تطورات تهدد ما تم إنجازه.

وتجدر الإشارة إلى أن محمد المنفى رئيس المجلس الرئاسى هو القائد الأعلى للجيش الوطنى، وأن عبدالحميد الدبيبة، رئيس حكومة الوحدة الانتقالية هو فى نفس الوقت يتولى منصب وزير الدفاع ويلفت الانتباه أنه رغم ذلك لم يلتق مع المشير خليفة حفتر منذ تولى الحكومة الحالية السلطة حتى الآن.

وقد أوضح اللواء المسمارى، المتحدث باسم المشير خليفة حفتر، أن ليبيا على حافة أحداث تاريخية مهمة، يظهر فيها الشعب الليبى رغبة قوية فى تحقيق السلام، ومصالحة وطنية تجبر الضرر، وتحقق مبادئ التسامح والعفو، وبناء ليبيا جديدة ينعم فيها الشعب بالأمن والأمان فى دولة مزدهرة ومستقرة. وأن الهدف هو إجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية، إلا أن هناك من لا يريد المصالحة وانتقال السلطات

نجلاء المنقوش وزيرة خارجية ليبيا

المشير خليفة حفتر

سلميًا، بل يريد الفوضى الأمنية والهيمنة على مراكز القرار وعلى مقدرات الشعب الليبى ونشر الإرهاب والجريمة، وأن هؤلاء «الخونة» - على حد قوله - لا يطلقون النار بالسلاح فقط، بل يشعلون نار الفتنة بالكلمة والتضليل الإعلامى ونشر خطاب الكراهية، وأن محاولة تشويه سمعة الجيش الوطنى محكوم عليها بالفشل والسقوط، وأنه تم رصد عشرات المنشورات الكاذبة والاستفزازية، والأخبار المزيفة يوميًا فى فضاء المعلومات وعلى القنوات المرئية بهدف زرع الخوف وعدم الثقة لتشويه سمعة الجيش الوطنى الليبى.

وأكد المسمارى أن هدف العرض العسكرى السلام وليس تهديد أحد كما يحاول البعض الترويج له، وأن الجيش يحمى البلاد، وأنه مازال فى حالة حرب مستمرة ضد الجريمة والإرهاب على كافة الأراضى الليبية وهى حرب دولية وليست فى ليبيا فقط، وأن حدة الإرهاب خفت بفضل ضربات الجيش.

وقد لوح المشير حفتر فى كلمته خلال العرض العسكرى بأن قواته لن تتردد فى خوض المعارك من جديد لفرض السلام بالقوة إذا تمت عرقلة التسوية السياسية المتفق عليها. وأنه قد آن الأوان للتصالح والتسامح لبناء ليبيا الجديدة. ودعا إلى حل المجموعات المسلحة فى طرابلس والتوجه دون مماطلة نحو الانتخابات، وقال إن تقدم قواته نحو طرابلس والتى كانت على وشك تحريرها، قد أدى إلى عقد عدة مؤتمرات دولية واعتماد المسار السياسى، وأدى إلى خروج حكومة الوفاق، وأكد أنه لا سلام مع الاحتلال، ولا مع المرتزقة.

وقد اعتبر كثيرون العرض العسكرى بمثابة تحدٍ للسلطة الانتقالية الجديدة فى ليبيا، وأن المشير أشرف بنفسه على العرض وحضره لينفى إشاعة أنه متوعك صحيًا. وقد بحث المبعوث الأمريكى إلى ليبيا ريتشارد نورلاند فى مقابلة له مع رئيس المجلس الرئاسى الليبى يوم 30 / 5 / 2021 - أى بعد العرض العسكرى مباشرة - كيفية توحيد المؤسسة العسكرية فى ليبيا. كما أشارت الدول الأوروبية إلى ضرورة ضم المشير خليفة حفتر إلى المسار السياسى الليبى لإدراكهم أنه أحد الفاعلين على الساحة الليبية الذين أصبح من الصعب للغاية، بل من المخاطرة الكبيرة عدم ضمه للعملية السياسية.

ثمة مطلب آخر مهم وعاجل وهو إقرار القاعدة الدستورية التى ستجرى بموجبها الانتخابات البرلمانية والرئاسية فى ديسمبر 2021. وقد عقد ملتقى الحوار السياسى الليبى اجتماعات افتراضية يومى 27 و28 مايو 2021. وقد أوضحت مداخلات المشاركين تغيرات فى مواقفهم السابقة بشأن الاستفتاء على مشروع الدستور، وكيفية انتخاب رئيس البلاد القادم. فقد سبق الاتفاق على إجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية معاً فى الموعد المحدد. ولكن تغير رأى بعض أعضاء الملتقى السياسى حيث يرون إجراء انتخابات نيابية فى 24 ديسمبر 2021، على أن يتولى مجلس النواب الجديد والسلطة التنفيذية الحالية الإعداد لانتخابات رئاسية فى موعد أقصاه يونيو 2022، إذا لم يتم التوافق على آلية انتخاب الرئيس قبل الموعد المتفق عليه. ويرى آخرون إمكانية إجراء انتخابات مزدوجة على الدستور والبرلمان معاً على أن يناط بالبرلمان الإعداد للانتخابات الرئاسية وفقاً لما تنتهى إليه

ليبيا ومخاوف من عرقلة المسار إلى الانتخابات

نتيجة الاستفتاء على الدستور.

ويرى بعض الليبيين أن ثمة محاولة للانقلاب على خريطة الطريق التى اتفق عليها الملتقى السياسى الليبى. ويرى آخرون أن هناك قلة من القابضين على السلطة والثروة فى ليبيا يعملون على إقصاء كل الليبيين وحرمانهم حق انتخاب الرئيس الذى يحكمهم فى المرحلة القادمة عن طريق الانتخاب الحر المباشر، ويرفض البعض الدعوة إلى فرض عقوبات دولية على من يوصفون بالمعرقلين للمسار السياسى.

ويؤكد بعض الليبيين أن الانتخابات الرئاسية دون دستور ستؤدى إلى الانقسام وستعمق الأزمة الليبية بينما يرى البعض أن الانتخابات المباشرة لرئيس الدولة قد تعود بليبيا إلى ما كانت عليه من قبل فى عهد الرئيس القذافى. ويرى آخرون أن أغلبية المسئولين الذين تولوا شئون ليبيا منذ إسقاط نظام القذافى، جاءوا من قبل دعم بعض الدول أو بدعم من الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الأممية، ويرى آخرون عدم الجرى وراء نظرية المؤامرة لأن كل الأشياء السيئة والمريبة والمعرقلة فى رأيهم اقترحها ليبيون أعضاء فى الحوار الليبى ولم يعرضها أحد من الخارج.

وإزاء عدم اتفاق الآراء بين المشاركين فى الملتقى السياسى الليبى فى اجتماعاته الأخيرة، فإن المبعوث الأممى للأزمة الليبية يان كوبيش قرر أن يدعو إلى اجتماع آخر للملتقى فى النصف الثانى من يونيو 2021 يركز على مناقشة الموضوعات المطلوبة وليس طرح كل مشكلات السنوات العشر الماضية.

ومن الواضح أن ليبيا مازالت تواجه عدة تحديات على عدة جبهات داخلية وتسعى السلطة التنفيذية الانتقالية سواء المجلس الرئاسى أو حكومة الوحدة، لدى كل الدول والمنظمات الدولية والإقليمية لدعمها ومساعدتها على إنجاز الاتفاق السياسى الذى أقره الملتقى السياسى الليبى، وسط خلافات قديمة وأخرى جديدة وحالة أمنية هادئة ولكنها متوترة، ومطالب شعبية أساسية حياتية يومية من مياه نقية وكهرباء وطاقة بترول وغاز وحاجة ملحة إلى إعادة تشغيل الحياة الاقتصادية واستيعاب البطالة، ومطالب أوروبية متكررة بضرورة السيطرة على الحدود والسيطرة على الهجرة غير الشرعية، والجريمة المنظمة، وعمليات التهريب وربما لم تأخذ الدول الأوروبية تهديد المشير خليفة حفتر باستئناف القتال إذا تعطل المسار السياسى ببساطة واعتبرته بمثابة تهديد جدير بالاعتبار والحذر الشديد، كما لمست أن ثمة اتجاهات لا يستهان بها جديرة بأن تعرقل إجراء الانتخابات أو تعمل على تأجيلها بكل الوسائل. وقد جدد مجلس الأمن للأمم المتحدة بالإجماع لمدة سنة التفويض الممنوح للدول الأعضاء والتى تعمل مباشرة أو من خلال منظمات إقليمية مثل مهمة «إيرينى» الأوروبية من أجل تفتيش السفن فى أعالى البحار قبالة السواحل الليبية أو الآتية منها فى حال توفر ما يفيد أن هذه السفن تنتهك حظر الأسلحة المفروض على ليبيا وينتهى هذا التجديد للتفويض فى 5 يونيو 2022. ورغم حظر الأسلحة هذا فإنه لم يمكن وقف تدفق الأسلحة إلى عدة أطراف ليبية متصارعة وهو ما يمثل تهديداً لوقف إطلاق النار إلى جانب عدم توحيد القوات المسلحة الليبية ونزع أسلحة الميليشيات ودمجها إما فى الجيش أو الأجهزة الأمنية، وإخراج المرتزقة المسلحين من ليبيا.

وإزاء كل هذه الأوضاع المتوترة والمتشابكة على الساحة الليبية، واستنجاد السلطة التنفيذية الانتقالية بالقوى الإقليمية والدولية والأمم المتحدة لمساعدتها على إنجاز مستحقات الاتفاق السياسى الليبى، وخاصة إجراء الانتخابات فى موعدها وظهور بوادر لعرقلتها أو لتغيير ما سبق الاتفاق عليه، فقد سارعت ألمانيا والأمم المتحدة إلى توجيه دعوات بعقد مؤتمر برلين الثانى بشأن الأزمة الليبية فى برلين فى 23 يونيو 2021 بمشاركة جميع الدول والمنظمات والهيئات التى سبق أن شاركت فى مؤتمر برلين الأول والذى عقد فى يناير 2020 بالإضافة إلى دعوة السلطة التنفيذية الانتقالية الليبية للحضور رسمياً هذه المرة وليس على هامش المؤتمر كما حدث فى المؤتمر الأول. ويبحث المؤتمر الثانى تطورات المسار السياسى الليبى فى المجالات الثلاثة، السياسى والعسكرى والاقتصادى، والمحافظة على وقف إطلاق النار، ودعم السلطة التنفيذية الانتقالية والتأكيد على إخراج القوات الأجنبية المرتزقة وتوحيد القوات المسلحة والأمنية الليبية، وإجراء الانتخابات فى الموعد المقرر فى 24 ديسمبر 2021.

إن ليبيا فى حاجة ماسة إلى البناء على ما تم إنجازه منذ تشكيل السلطة التنفيذية الانتقالية الجديدة بالمحافظة على وقف إطلاق النار، والمضى قدماً فى توحيد مؤسسات الدولة وخاصة القوات المسلحة والأمنية وتحقيق والالتزام بحد أدنى من التوافق بين كافة الأطياف الليبية إلى أن تتم المصالحة الحقيقية التى قد تستغرق بعض الوقت، وإخراج القوات الأجنبية والمرتزقة وهو أمر مرتبط إلى حد كبير بتوحيد القوات المسلحة والأمنية الليبية وضرورة الالتزام بإجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية فى موعدها المتفق عليه والتى أعلنت المفوضية العليا للانتخابات فى ليبيا أنها ستعلن فى أول يوليو 2021 بدء إجراء هذه الانتخابات، وهى بلا شك إذا تمت ستمثل مرحلة مهمة على طريق تأكيد الشرعية ووحدة ليبيا والمساعدة على استكمال المصالحة الوطنية الليبية.

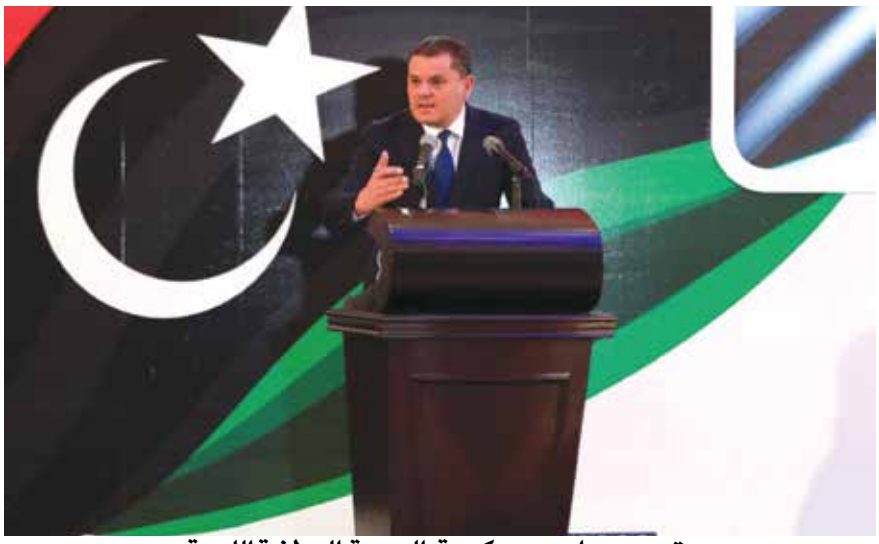

ترحيب واسع بحكومة الوحدة الوطنيةالليبية

إفريقيا بين اعتذار المستعمر واستعادة تراثها المنهوب

تابع الأفارقة باهتمام زيارة الرئيس الفرنسى ماكرون إلى كيجالى يوم 27 مايو 2021 حيث ألقى خطابًا، يعتبر تاريخيًا، أمام نصب ضحايا الإبادة الجماعية التى شهدتها رواندا عام 1994، وذلك فى إطار المساعى الفرنسية لتصفية آلام الإرث التاريخى مع مستعمراتها السابقة، ومنها الجزائر، وفتح صفحة جديدة لتحسين العلاقات وبناء الأولويات على أسس وقيم يؤمن بها الجانبان.

سفير هشام الزميتي
hisham_elzimaity@yahoo.com

فرنسا تعترف ولا تعتذر

وقد اعترف الرئيس ماكرون بمسئولية فرنسا عن مجازر رواندا، إلا أنه تمسك بأن باريس لم تكن شريكة أو متواطئة، مضيفًا أنه من الأفضل الاعتراف بالوقائع وليس تقديم الاعتذار، ومشيرًا إلى أن القيادة الفرنسية فى ذلك الوقت «الرئيس ميتران» لم تستمع جيدًا للتحذيرات التى وردت إليها «من الأمم المتحدة» بأن هناك استعدادات تجرى فى الخفاء تحضيرًا لعمل كبير. وقد رد الرئيس الرواندى كاجامى على نظيره الفرنسى بأن الحقيقة التى عبر عنها ماكرون بشجاعة أهم من الاعتذار.

وبعد أن مرّ أكثر من ربع قرن على مذابح رواندا، فقد ظهرت حقائق كثيرة حول تلك الفترة المؤسفة من تاريخ قارتنا، ولعل أهم تلك الحقائق على الإطلاق هى الاعتراف بأن الأمم المتحدة وسكرتيرها العام د. بطرس غالى حذروا مجلس الأمن والمجتمع الدولى مرارًا، ومنذ يناير 1994، أى قبل وقوع الإبادة الجماعية بثلاثة أشهر، من أن العدد الضئيل للقوات الدولية المتواجدة فى رواندا لا يمكنها من التحرك بفاعلية، وأنه ينبغى مضاعفتها بشكل فورى، إلا أن القوى الكبرى وبصفة خاصة الولايات المتحدة وفرنسا لم تعر نداءات السكرتير العام الاهتمام الذى تستحقه؛ بل إن بلجيكا سارعت بسحب قواتها من رواندا دون تنسيق مع إدارة عمليات حفظ السلام فى نيويورك مما ضاعف من حجم المشكلة وفتح الطريق أمام الكارثة.

تبرئة ساحة الأمم المتحدة

وكان اللواء Romeo Dellaire القائد الكندى لبعثة الأمم المتحدة فى رواندا قد أرسل برقية عاجلة فى 11 يناير 1994 إلى كوفى عنان وكيل السكرتير العام لعمليات حفظ السلام ذكر فيها أن أحد «المصادر» من الروانديين الهوتو أبلغه أنه صدرت تعليمات بإعداد قوائم لتسجيل جميع التوتسى فى العاصمة بهدف القضاء عليهم فور صدور الأوامر بذلك، وأن المصدر أكد أن رجاله بإمكانهم قتل ألف من التوتسى خلال عشرين دقيقة.

وأوضح اللواء ديلير فى برقيته أن المسألة لم تعد احتمال نشوب حرب أهلية وإنما تتجه الأمور نحو مذابح جماعية، واقترح أن تبادر بعثة الأمم المتحدة بالسيطرة على مخازن السلاح المتناثرة فى عدة مواقع فى كيجالى رغم علمه أن مثل هذه الخطوة تتعارض مع ولاية البعثة كما حددها مجلس الأمن، وأنه ليس بإمكانها تنفيذها لقلة عددها.

ومساء 11 يناير 1994 تدارس المسئولون فى إدارة عمليات حفظ السلام فى نيويورك، وكان من بينهم إقبال رضا «باكستانى» السكرتير العام المساعد لحفظ السلام، والجنرال موريس باريل المستشار العسكرى «كندى»، وهادى عنابى «تونسى» مدير قسم إفريقيا بإدارة عمليات حفظ السلام حيث شكك بعضهم فى مدى دقة معلومات «المصدر» الهوتو. وفضلاً عن ذلك، فلم تكن لدى الأمم المتحدة الوسيلة للحصول على معلومات استخباراتية مدققة ولا إمكانية لجمع معلومات من الميدان حيث تعتمد أساسًا على ما تمدها به الدول الكبرى من معلومات.

رواندا ليست أولوية

أضف إلى ذلك أنه فى ذلك الحين لم تكن رواندا تمثل أية أهمية للجانب الأمريكى، بل إن الصحفية والدبلوماسية الأمريكية سامانتا باور «المندوبة الأمريكية الدائمة لدى الأمم المتحدة لاحقًا من 2013 إلى 2017، وحاليًا رئيسة وكالة المعونة الأمريكية» والتى تولت تحليل الموقف الأمريكى من المذابح ذكرت أن رواندا كانت تمثل أولوية منخفضة جدًا لواشنطن، وأنه حين اقترح جيمس وودز مسئول إفريقيا بوزارة الدفاع إدراج رواندا وبوروندى ضمن البؤر المتوترة، جاءه الرد من أعلى بالرفض، وأن الأمن القومى الأمريكى ليس معنيًا، وأنه ليس ممكنًا إدراج المسائل الإنسانية السخيفة Silly Humanitarian issues على قوائم الأولوية، وفسرت باور ذلك الموقف بأن بعثة الأمم المتحدة فى رواندا تم إنشاؤها بعد يومين فقط من سحل «19» من قوات المارينز الأمريكية فى مقديشيو،

الرئيس ماكرون فى النصب التذكارى لضحايا رواندا

سكرتير عام الأمم المتحدة د بطرس غالى فى كيجالي

سيف القائد السنغالى الحاج عمر تال

رئيس وزراء فرنسا يسلم السيف التاريخى للرئيس ماكى سال فى داكار

أفريقيا بين إعتذار المستعمر واستعادة تراثها المنهوب

على يد قوات محمد فرح عيديد أمير الحرب الصومالى المعروف. وهكذا اتضحت الصورة حيث تم تحويل الأمم المتحدة لكبش فداء وتنصلت القوى الكبرى من مسئولياتها بموجب الميثاق، ولكن تظهر الحقيقة ولو بعد حين، وإن طال.

السيف التاريخى بين باريس وداكار

وإذا اتجهنا غربًا، نجد أنه فى 17 نوفمبر 2019 أعاد إدوار فيليب رئيس وزراء فرنسا إلى الرئيس السنغالى ماكى سال السيف التاريخى الخاص بالزعيم السنغالى الحاج عمر تال مؤسس إمبراطورية توكولير على نهر السنغال والتى وضع الاحتلال الفرنسى نهاية لها عام 1893، ليعرض السيف فى السنغال لمدة خمس سنوات حتى 2024.

وكان الجنرال الفرنسى لويس أرشينارد قد استولى على السيف بعد موقعة باندياجارا فى إبريل 1893، ثم تم حفظه فى متحف الجيش بباريس من 1909 إلى 1998 حيث أعير للسنغال لمدة عام ثم أعيد مرة أخرى لفرنسا حتى عام 2008 حيث أعير مرة ثانية بمناسبة افتتاح المتحف الوطنى، ثم أعيد مرة ثالثة إلى داكار بمناسبة افتتاح متحف الحضارات الإفريقية عام 2018، ثم أخيرًا تم التوقيع على اتفاق تحصل بمقتضاه السنغال على السيف التاريخى لمدة خمس سنوات انتظارًا لصدور قانون فرنسى يسمح بإعادته نهائيًا للسنغال.

ألمانيا تقر بالمذابح الدموية

وإذا انتقلنا جنوبًا نحو ناميبيا، نجد أن هيكوماس وزير خارجية ألمانيا قد أقر، لأول مرة، يوم 28 مايو 2021 بارتكاب المستوطنين الألمان لمذابح ضد قبيلتى Herero وNama خلال استعمار ألمانيا لناميبيا «1884 إلى 1915». وقد استخدم

سوء معاملة الألمان للمرأة الناميبية

سوء معاملة الألمان للمرأة الناميبية

مقارنة عنصرية لجماجم الافارقة بجماجم البيض لإثبات تفوق جنس على آخر

إستعادة بعض جماجم الضحايا من ألمانيا

هيكوماس لفظ Genocide فى البيان الذى ألقاه بمناسبة التوصل لاتفاق مع ناميبيا بعد خمس سنوات من المفاوضات الصعبة حول اعتراف ألمانيا بمسئوليتها عن آلاف الضحايا، إذ قتل المحتلون الألمان أكثر من ستين ألفاً من قبيلة هيريرو وعشرة آلاف من قبيلة ناما من خلال النفى فى صحراء كالاهارى القاسية حتى ماتوا عطشًا أو السجن فى معسكرات سيئة السمعة للاعتقال على جزيرة شارك Shark.

بل إن الألمان قد أرسلوا أكثر من «300» جمجمة وبعض عظام الضحايا إلى ألمانيا حيث تولى فحصها وإجراء الأبحاث عليها طبيب عنصرى يسمى Eugen Fischer وتأثر أدولف هتلر بكتاباته عن تفوق الجنس الأبيض، وحيث كان ذلك الطبيب يروج لانحطاط الجنس الأسود مما انعكس فى فكر هتلر زعيم النازية البغيضة.

ومعروف أنه بعد أن كانت قبائل هيريرو تمثل 40٪ من سكان ناميبيا أضحت اليوم لا تعادل إلا 7٪ فقط من التعداد، فقد كان الجنرال لوتارفون تروتا Lothar Von Trotha، وقد أمر بالقضاء على تلك القبائل بشكل كامل بعد استيلاء الألمان على أراضيهم ومواشيهم وما يملكون.

وكانت ألمانيا قد أعادت فى 29 أغسطس 2018، أى بعد قرن من تلك المذابح، تسع عشرة جمجمة وبعض العظام، كانت قد سبقتها فى 2011 و2016 دفعات كانت معروضة فى إحدى جامعات برلين، وتم ذلك دون تقديم أى اعتذار من جانب ألمانيا.

لماذا هو فى أوروبا؟

تحفة قيمة من تراثنا الإفريقي

تعويض بالملاليم للأحفاد

وقد أعلن وزير الخارجية الألمانى عن تخصيص مبلغ 1.1 مليار يورو تسدد على ثلاثين سنة من خلال برنامج تمويلى للتنمية وإعادة البناء لصالح أحفاد ضحايا تلك المذابح موضحًا أن هذا المبلغ ليس تعويضًا ولا يفتح الباب أمام أية مطالبة قانونية لاحقة للتعويض.. وقد علق ألفريدو هنجارى المتحدث باسم الرئاسة الناميبية أن الخطوة الألمانية فى مايو 2021 بالاعتراف بارتكابها للمذابح هى خطوة أولى فقط لابد أن يعقبها تقديم الاعتذار ثم تعويض أحفاد ضحايا الجرائم العنصرية الدنيئة والمذابح غير الإنسانية خلال الحقبة الاستعمارية.

هذا، وجدير بالذكر أن الرئيس الفرنسى ماكرون كان قد أعلن فى 28 نوفمبر 2017 خلال زيارته لواجادوجو عن إعادة تأسيس الشراكة الثقافية بين فرنسا وإفريقيا، بما يشمله ذلك من إعادة بعض القطع الأثرية إلى أصحابها، ومن ذلك إعادة 26 قطعة تخص مملكة داهومى إلى بنين، فى حين أعلنت مونيكا جروترز وزيرة الدولة الألمانية للثقافة فى 29 إبريل 2021 عن توجههم نحو إعادة مجموعة تماثيل ولوحات إلى نيجيريا خلال عام 2022 المعروفة باسم «برونز بنين» وتعود إلى القرن السادس عشر تم نهبها من جنوب غرب نيجيريا.

ويظل السؤال: متى يعود تمثال الملكة نفرتيتى الذى خرج من مصر تدليسًا وبالخديعة باعتراف الألمان ذاتهم فى فبراير 1913 وتم إخفاؤه لدى د. هنرى جيمس سيمون حتى عام 1923 حين قرر إهداءه إلى متحف برلين. هل يتكرر سيناريو السيف التاريخى السنغالى مع تمثال نفرتيتى بحيث نستعيره لفترة زمنية لعرضه على عشاقها من المصريين فى المتحف المصرى الكبير؟

هل يعود التراث الافريقى لأصحابه؟

متى تعود ملكتنا نفرتيتى ليشاهدها المصريون !

56 عاما على العلاقات الدبلوماسية المصرية الصينية

احتفلت مصر والصين يوم 30 مايو بمرور 56 عاماً على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وكانت مصر أول دولة عربية وإفريقية تقيم علاقات دبلوماسية مع جمهورية الصين الشعبية فى عام 1956، ومنذ ذلك الوقت تنمو علاقات التعاون والصداقة وتنمو، وفى الحقيقة تمتد علاقات الاتصال والتبادل بين البلدين إلى فترات متعددة فى التاريخ الذى يجب أن ندرسه دائماً.

سفير عبدالفتاح عزالدين
afmecairo@gmail.com

الساحة الدولية

يتشكل الآن نظام عالمى جديد أهم ملامحه صعود قوى أخرى إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية أهم هذه القوى الصاعدة: الصين وروسيا والاتحاد الأوروبى واليابان والهند. لم تعد الولايات المتحدة قادرة على الانفراد بالقرارات الدولية كما اعتادت خلال العقود الثلاثة الماضية، بل أصبح للقوى الصاعدة دور مساعد أو معرقل وفقاً للمصالح عند اتخاذ القرارات الدولية.

وتعتبر الولايات المتحدة كلاً من الصين وروسيا منافسين أساسيين لها، وإن كانت تعتقد مطمئنة إلى إمكانية تغيير السياسة الروسية سواء بالتأثير عليها أو بانتظار تغييرها من الداخل الروسى.

بينما تعتبر الولايات المتحدة أن الصين منافس طويل الأمد بسبب اختلاف النظم السياسية، وبسبب صعود الصين السريع فى مجالات عديدة أهمها الاقتصاد والتكنولوجيا.

وقد اقترح البروفيسور الأمريكى ريتشارد هاس وزميله كابو شنسكى فى مقال مهم لهما بمجلة السياسة الدولية الشهر الماضى استيحاء من سياسة الوفاق فى القرن التاسع عشر بين القوى الأوروبية، أنه بدلاً من المواجهة خاصة مع الصين، أن تنخرط الولايات المتحدة فى إقامة وفاق يضم الدول الست الكبرى لإدارة شئون العالم بطريقة توافقية «وقد عرض الدكتور عبدالمنعم سعيد لهذا المقال أيضاً».

السياسة الخارجية المصرية

مصر من الدول المؤسسة لحركة عدم الانحياز وملتزمة بمبادئها. ورغم تراجع دور الحركة على الساحة الدولية إلا أنه من المتوقع مع تعدد الأقطاب الدولية أن يعاد تنشيط سياسة عدم الانحياز بعد تطوير مبادئها لتتلاءم مع التغيرات الدولية الحادثة والمتوقعة «دعا السيد عمرو موسى فى مقال له منذ شهور قليلة إلى إحياء دور مصر الريادى فيها».

ومنذ عام 2013 تتبع مصر سياسة خارجية تقوم على «التوازن» «فى جوهرها هى تطبيق لسياسة عدم الانحياز» من أجل تحقيق المصالح المصرية فى ظل التنافس الدولى الذى لا يقتصر على الدول الكبرى بل امتد إلى القوى الإقليمية حيث يسعى الجميع إلى تنظيم الفوائد وزيادة تأثيره ووزنه الدولى، مما جعل المسرح الدولى فى حالة شبه هلامية لم تستقر بعد.

وقد نجحت السياسة الخارجية المصرية حتى الآن بالمساعدة فى توفير متطلبات التنمية الاقتصادية المستدامة، والإسهام فى إقرار السلام خاصة فى منطقتنا. وتلتزم مصر بمبادئ القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة وهذا واضح فى مواقفها وسلوكها إزاء مشاكل ملحة وحيوية مثل سد النهضة والحرب فى غزة.

السياسة الخارجية الصينية

تعلن الصين دائماً التزامها بالعمل من خلال الأمم المتحدة والتزامها بالقانون الدولى، وتتمسك بمبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول، ولم تشن أية حروب عسكرية منذ إعلان جمهورية الصين الشعبية، وتدعو دائماً إلى الحلول السلمية للمشاكل الدولية، وهى من أكبر الدول المساهمة فى عمليات حفظ السلام حول العالم، كما تتعامل باحترام كامل مع الدول الكبيرة والصغيرة، وتعلى قيمة التضامن الدولى.

حققت الصين نجاحات كبيرة فى مجالات كثيرة وقد أصبح لديها ثانى أكبر اقتصاد فى العالم بعد الولايات المتحدة، وهذا الاقتصاد أخذ فى النمو بنسب كبيرة، كما أصبحت من الدول الرائدة فى مجالات العلوم والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعى منذ انطلاق سياستها فى تشجيع الإبداع والاختراع فى عام 2013، وإطلاقها مبادرة الحزام والطريق التى تهدف إلى ربط الصين بدول العالم عن طريق المساهمة فى بناء بنية تحتية حديثة من طرق وسكك حديدية وخطوط إنترنت واتصالات وأقمار صناعية، وعن طريق المساهمة فى «تمكين» اقتصادات دول العالم الثالث على وجه الخصوص.

وتواجه الصين بعض الصعوبات الداخلية والخارجية مثل تفاوت مستويات التنمية بين أنحاء البلاد، وتحدى الحفاظ على استقرار هونج كونج التى عادت إليها فى عام 1997، ومواجهة التطرف والإرهاب والانفصال فى أقاليم التبت وشينجيانج ومنغوليا، والسعى لتوحيد تايوان مع الوطن الأم سلمياً، وخارجياً تواجه التوجس الغربى من سعيها إلى الهيمنة والتنافس مع الولايات المتحدة، واستكمال تنفيذ مبادرة الحزام والطريق المفتوحة لجميع دول العالم.

إن دول العالم الثالث ترى فى هذه المبادرة فرصاً ممتازة للتنمية لأنها مبادرة غير مشروطة، والتعاون فيها وفقاً لتحديد الدولة النامية لاحتياجاتها، ولأنها توفر الاستثمارات، وتقدم الخبرة الفنية والتدريب، والأهم أنها تنقل وتوطد التكنولوجيا الحديثة، كما أن مشروعاتها تتيح التعاون والترابط بين عدة دول.

وقد احتفلت الصين مؤخراً بالعديد من المناسبات والإنجازات منها الإعلان عن القضاء على الفقر فى الصين فى ديسمبر 2020، والاحتفال باليوم العالمى للغة الصينية فى إبريل الماضى، وإنزال مسبار على سطح المريخ فى مايو وتحديد الأسرة الصينية بثلاثة أطفال كحد أقصى بدلاً من

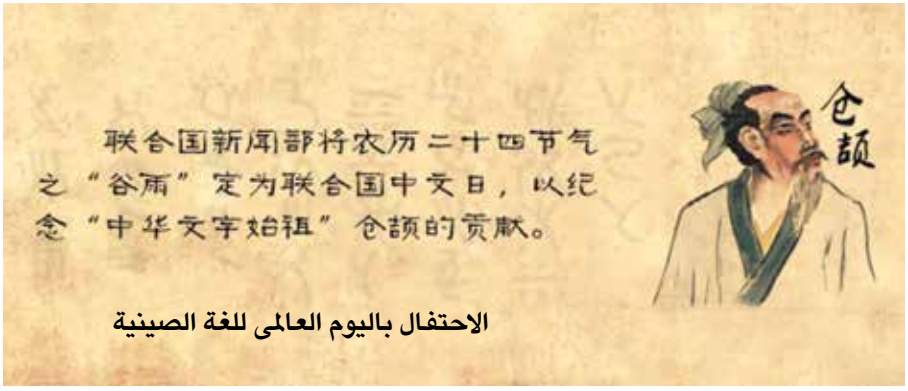

الاحتفال باليوم العالمى للغة الصينية

الرئيس جمال عبد الناصر، ورئيس الوزراء الصينى شو إن لاى

طفلين - وهذا يعنى تغيراً ديموغرافيا مهماً فى المستقبل- كما تحتفل الصين بالعيد المئوى لإنشاء الحزب الشيوعى الصينى خلال شهر يوليو القادم، وهو الحزب الذى يضم 90 مليون عضو من أفضل الكوادر السياسية والعلمية الصينية فاستطاع تحقيق إنجازات ضخمة ومكانة عالية للصين فى المجتمع الدولى.

التعاون المصرى الصينى

هناك احترام متبادل بين مصر والصين باعتبارهما من الدول ذات الإسهام الحضارى الطويل. ومنذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والصين فى 30 مايو 1956 شهدت علاقات البلدين تأييداً سياسياً مستمراً وتبادلاً للقضايا العادلة لبعضهما البعض.

بينما شهدت العلاقات التجارية والاقتصادية صعوداً متنامياً، وأصبح للصين صورة إيجابية لدى الشعب المصرى بل ولدى الشعوب العربية خاصة بسبب تأييد الصين للقضايا العربية.

ويمكن تقسيم تطور علاقات البلدين إلى ثلاث فترات الأولى من عام 1956 إلى عام 1979 تدعمت فيها العلاقات السياسية بفضل تفاهم الرئيس جمال عبدالناصر مع السيد شوين لاى رئيس وزراء الصين حينئذ أثناء لقائهما فى مؤتمر باندونج فى إبريل 1955. ساد هذه الفترة مساندة وتأييد كل طرف لقضايا الطرف الآخر وانتمائهما إلى العالم الثالث.

الفترة الثانية من عام 1980 وحتى عام 2013 تدعمت فيها العلاقات السياسية ووضعت أسس العلاقات التجارية والاقتصادية، وازدهرت علاقات التفاهم بصفة خاصة فى عهد الرئيس السابق حسنى مبارك.

والفترة الثالثة منذ عام 2013 وحتى الآن، وتتميز بتصاعد قوى للتعاون الاقتصادى والتجارى والاستثمارى بين البلدين مع الاستمرار فى التمسك دائماً بعدم التدخل فى الشئون الداخلية وتأييد القضايا العادلة للطرفين بناء على لقاءات عديدة بين الرئيسين عبدالفتاح السيسى وشى جين بينغ فى مصر والصين.

ومنذ شروع مصر فى القيام بتنمية اقتصادية قوية وسريعة بدأت بالبنية التحتية توافق هذا مع مبادرة الحزام والطريق الصينية التى توفر الاستثمارات غير المشروطة، وتتيح نقل وتوطين التكنولوجيا لدول العالم الثالث. وتشارك الصين بالفعل فى المنطقة الاقتصادية لشمال غرب خليج السويس وفى بناء العاصمة الإدارية الجديدة، وفى إقامة محطات الكهرباء وخطوط السكك الحديدية الحديثة، وتتوقع مصر زيادة كبيرة فى الاستثمارات والتكنولوجيا والسياحة الصينية بعد خفوت جائحة الكورونا.

يقول المثل إن الصديق يعرف وقت الشدة، وقد قدمت الصين فى الماضى عدداً من المنح المهمة لمصر مثل مبنى المؤتمرات الدولية، وقد عجلت مصر بإرسال مساعدات طبية فى بداية جائحة الكورونا، ووصل التعاون بين البلدين الآن إلى تقديم الصين هدية كبيرة من اللقاح الصينى «فى ظل صراع القوى الكبرى على اللقاحات»، بالإضافة إلى الاتفاق على «نقل» التكنولوجيا و«توطين» صناعة اللقاح فى مصر.

ويعد هذا التعاون نموذجًا للتضامن الدولى وتطبيقاً لمفهوم «التعاون المربح للجميع» الذى كان الفضل للصين فى انتشاره فى العالم.

وقد تواكب مع جهود مصر والمجتمع الدولى لوقف القتال وإعادة إعمار غزة أن طرحت الصين مبادرة من أربع نقاط لوقف القتال والتفاوض وإعادة إعمار غزة.

وانطلاقًا من التفاؤل بإمكانيات العلاقات بين المفكرين والأكاديميين طرحت الدكتورة نادية حلمى بجامعة بنى سويف فى مقال لها اقتراحاً بأن تتوسط الصين فى حل مشكلة سد النهضة لما يربطها من علاقات طيبة بالأطراف الثلاثة وحيث هناك شركات صينية تشارك فى مشروع السد.

وهناك حكايات عن قدم علاقات مصر والصين أتناول بعضها باختصار فيما يلى:

الحكاية الأولى: كليوباترا والحرير الصينى

يذكر أن الصين أرسلت مبعوثاً إلى الملكة كليوباترا «69 – 30 ق.م»، وجد فى مصر الحرير الصينى الذى كان يصل على طريق الحرير إلى الإسكندرية، ويقال إن كليوباترا كانت ترتديه. كما ورد اسم مصر فى السجلات التاريخية الصينية، كما وردت فى مؤلفات صينية منها كتاب «تنمية المتفرقات» وكتاب «دليل ما وراء الجبال الجنوبية»، وكتاب بعنوان سجلات «الإنسان حسين إسماعيل- الصين اليوم».

الحكاية الثانية: ابن بطوطة يقابل ابن عفان المصري

زار ابن بطوطة الرحالة العربى الشهير الصين وزار مدناً عديدة هناك من بينها مدينة هانجو التى كان يسميها مدينة الخنسا.

فهناك مثل صينى شائع يقول «على

الأرض مدينتى سوجو وهانجو هما الجنة، وفى السماء الجنة».

يقول ابن بطوطة: «ومنذ وصولنا خرج إلينا قاضيها أفخر الدين وشيخ الإسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصرى، وهم كبراء المسلمين بها... إلخ. ونزلنا بها بدار أولاد عثمان بن عفان المصرى، وكان أحد التجار الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها. وعرفت بالنسبة إليه وأورث عقبه بها الجاه والحرمة، وهم على ما هو عليه أبوهم من الإيثار على الفقراء والإعانة للمحتاجين، ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة، لها أوقاف كثيرة، وبها طائفة من الصوفية، وبنى عثمان المذكور المسجد الجامع بهذه المدينة، ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافاً عظيمة، وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير، وكانت إقامتنا عندهم خمسة عشر يومًا فكنا كل يوم وليلة فى دعوة جديدة، ولا يزالون يحتفلون فى أطعمتهم، ويركبون معنا كل يوم للنزهة فى أقطار المدينة. «رحلة ابن بطوطة».

وهكذا قابل ابن بطوطة المصرى ابن عفان واستمتع بكرمه وصحبته فى مدينة هانجو الصينية. والتى كان لابن عفان المصرى وأبنائه فيها مكانة كبيرة.

الحكاية الثالثة: عبدالرحمن ناجونغ والأزهر

حرصت أول بعثة صينيين للدراسة بالأزهر عام 1931 على حمل هدية من الشاى الصينى لتقديمها إلى الملك فؤاد.

وبلغ عدد المبعوثين الصينيين إلى الأزهر ما بين عام 1931 إلى عام 1937 ما مجموعه 35 مبعوثاً رتب لهم الملك فاروق مصروفًا شهريًا، وقد أطلق على هذه المجموعة اسم البعثة الفاروقية نسبة إلى الملك فاروق.

برز من هؤلاء عدد من الدارسين أشهرهم عبدالرحمن ناجونغ وهو من محافظة يولتان فى جنوب الصين. وقد أنفق عبدالرحمن أكثر من 60 عاماً فى تدريس اللغة العربية، فعند عودته إلى الصين فى عام 1941 أدخل تدريس اللغة العربية فى الجامعة المركزية الصينية فى عام 1943 ووضع أول كتاب منهجى للغة العربية تبعه عدة مجلدات، وألف وترجم أكثر من 20 كتاباً عن اللغة العربية والإسلام فى الصين والحضارة العربية، وأسس ورأس تحرير مجلة «التوعية الإسلامية» وشارك فى كثير من المؤتمرات العلمية وكان عضواً مراسلاً فى مجمع دمشق للغة العربية.

الرئيس الصينى والرئيس المصرى يحضران حفل افتتاح العام الثقافى الصينى-المصرى

الحكاية الرابعة: العدوان الثلاثى والقطن

فى عام 1955 وقعت مصر والصين اتفاقية بمقتضاها يفتح كل من البلدين مكتباً تجارياً فى البلد الآخر وكانت الصين تستورد القطن المصرى حينئذ.

وفى إبريل عام 1955 تقابل الرئيس جمال عبدالناصر ورئيس الوزراء الصينى شوين لاى فى مؤتمر باندونج وتبنى الطرفان مبادئ باندونج الخمسة.

وفى 30 مايو عام 1956 أقامت مصر والصين العلاقات الدبلوماسية على مستوى السفراء، وبعدها بحوالى شهرين أعلنت مصر تأميم قناة السويس، فأصدرت الصين بياناً فى 4 أغسطس بتأييد مصر وحقها فى استرداد القناة.

ويقال إن السيد شوين لاى ذكر للرئيس جمال عبدالناصر أن مقاطعة القطن المصرى يمكن أن تفشل، لأن لو كل صينى زاد طول ملابسه سنتيمتراً واحداً فإنه يمكن شراء القطن المصرى بأكمله.

أثناء العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر 1956 خرجت مظاهرات ضخمة فى الصين وفى ميدان السلام السماوى، ويقال إن السفير حسن رجب أول سفير لمصر فى الصين كان واقفاً مع المسئولين الصينيين فى شرفة بالطابق الثانى من القصر الإمبراطورى المطل على هذا الميدان، وكان رحمه الله شخصية فذة لها بصمات واضحة فى مجالات كثيرة.

كما تذكر بعض المصادر أن الصين أدانت العدوان وفتحت باب التطوع للدفاع عن مصر وأن أكثر من 10 آلاف صينى سجلوا أسماءهم.

وتدل هذه الأخبار على مدى تحمس الشعب الصينى لمصر وللدفاع عنها.

الحكاية الخامسة: زيارة الرئيس شى جين بينغ إلى الأقصر

تضمن برنامج زيارة الرئيس شى جين بينغ إلى مصر فى يناير 2016 عدة بنود غير تقليدية منها إلقاء خطاب فى جامعة الدول العربية، وزيارة الأقصر لافتتاح العام الثقافى المصرى الصينى.

فى خطابه بجامعة الدول العربية طرح برنامجاً شاملاً مهماً للتعاون الصينى مع الدول العربية فى مجالات التجارة والاستثمار والعلوم والتكنولوجيا والتبادل الثقافى والفنى.

وقد صحب الرئيس عبدالتفتاح السيسى ضيفه فى الأقصر حيث شاهدا عرضاً فنياً مشتركاً بين فرقة الأوبرا المصرية وفرقة الأوبرا الصينية يعبر عن الصداقة بين شعبين من أقدم الحضارات فى العالم، وأبدى الضيف إعجابه الشديد بالعمارة والفنون المصرية القديمة ومنجزاتها على مر عصورها.

وقد ارتفع عدد السياح الصينيين فى ذلك العام إلى 200 ألف سائح لأن الصينيين جميعاً يودون لو كانت أول زيارة لهم إلى الخارج إلى مصر التى يعجبون بحضارتها وتاريخها ويدرسونها فى المدارس.

الخاتمة

نأمل أن تستمر علاقات البلدين فى النمو وأن تتوثق علاقات التعاون والصداقة. وقد أشار الرئيس الصينى فى محادثة تليفونية مع الرئيس المصرى خلال مارس الماضى إلى إمكان تطوير علاقات التعاون الإستراتيجى.

نتوجه بالتهنئة إلى القيادتين والشعبين فى مصر والصين الصديقين فى الذكرى الخامسة والستين لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

الحرب الباردة الأمريكية الصينية والوطن العربى إلى أين؟

من واقع خبرتى فى خدمتى الدبلوماسية بسفاراتنا فى لندن وبروكسل وموسكو وغير ذلك من المؤتمرات الدولية والإقليمية العديدة التى شـــاركت فيها، ومتابعة لإصدارات لى فى هذا الشـــأن، فإن البيئة الدولية الحالية والإقليمية العربية تشـــهد متغيرات إســـتراتيجية جديدة خاصة على صعيد العلاقات الأمريكية الصينية والأمريكية الروســـية ودور منظمة حلف شـــمال الأطلنطى الناتو ودور منظمة الأمم المتحدة وأجهزتها الرئيسية خاصة دور مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة والأمين العام للأمم المتحدة فى حفظ السلم والأمن الدوليين.

سفير د. يوسف الشرقاوى
yelsharkawy@yahoo.com

وماذا عن أدوار منظمات إقليمية فى هذا الإطار خاصة الاتحاد الأوروبى ودور الاتحاد الإفريقـــى ودور منظمة الدول الأمريكية ومنظمة التعاون الإســـلامى وماذا عن دور جامعة الدول العربية فى ظل المستجدات الحالية الإستراتيجية على الساحة العربية بشكل عام وعلى المصالح العربية العليا المشتركة وفى حفظ السلم والأمن الدوليين والإقليمى فى اســـتعادة الأراضى الفلسطينية والسورية والعربية المحتلة.

فى الواقع إنه من المهم الإشارة أيضاً إلى أننا نعيش فى إطار تداعيات فيروس كورونا كوفيد- 19 وأصبحنا ندخل فى مرحلة جديدة فى النظام الدولى المعاصر مفادها تخفيف قيـــود العزل الصحى والتعايش مع موجات هوجاء من جائحة كورونا المســـتجد كوفيد- 19، الممتدة، فى مصر وجميـــع دول العالم مع اتخاذ الإجـــراءات الوقائية والاحترازية اللازمة فى كافة ربوع العالم وفقاً لنظام منظمة الصحة العالمية والأنظمة الوطنية لمقاومة ذلك العدو الخفى الخبيث وســـط جدل إعلامى من البعض عن حرب جرثومية وخلافات لم تحسم حتى ساعة تاريخه حول منشأ وســـبل تسريب ذلك العدو الخفى الخبيث للإنسانية دون تقديم أية معلومات دقيقة.

يمكن الإشارة فى هذا الصدد إلى بعض الأبعاد والتســـاؤلات المهمة لأزمة جائحة كورونا فى مصر والعالـــم قبل التعرض لتطور العلاقات الأمريكيـــة - الصينية والتراشـــق الإعلامى المتزايد خاصة بعد نتائـــج الانتخابات الرئاســـية الأمريكية ونجـــاح الرئيس الأمريكـــى جو بايدن ومسألة الحرب الباردة فى المرحلة الحالية من عدمها والمستجدات فى الصين والولايات المتحدة والتأثير على مسار الحرب الإعلامية من حين لآخر بين البلدين.

من التساؤلات المهمة فى هذا الصدد الآتى:

هل مواجهة جائحة كورونا وســـيلة لتحقيـــق التضامن والعمل المشـــترك لمواجهة تلك الجائحة؟

أم أن كورونـــا ورقة للاســـتثمار السياسى لتحقيق أهداف محددة؟

أم ورقة تســـتخدم للعـــب بها على التناقضـــات الإقليمية والدولية لتطويق الخصوم وإضعافهم؟

أم وسيلة للمساهمة وحشد الحلفاء من أجل تشـــكيل النظام الدولى الجديد خاصة مـــن جانب الولايـــات المتحدة والصين وروسيا فى المرحلة الحالية وما هى سياسات الاحتواء من عدمها؟

ومـــا هـــى التوقعات المســـتقبلية لتطورات الاقتصاد العالمى وحركة انتقال الأفراد والشئون القنصلية المتنوعة لهم والنظام الصحى اللازم للتعامل فى هذا الصدد؟

تجدر الإشـــارة إلى أن تلك الأزمة على المستوى الدولى طرحت تأثيرات كبيرة على الاقتصـــاد العالمى حيث أصابت قطاعات متعددة بخسائر فادحة خاصة فى:

- مجالات السياحة والسفر وشركات الطيران.
- قطاعات الشركات المنتجة.
- البورصات العالمية وأسواق الأسهم.
- تجارة السيارات.
- تسويق الإنتاج السينمائى والفنى.
- المعارض والمهرجانات الحية.
- استغناء العديد من الشركات عن كثير مـــن موظفيهـــا فى مختلف ربوع العالم وقد أشـــار صندوق النقد الدولى عـــدد إبريـــل ٢٠٢٠ إلى أن هذه الأزمة منقطعة النظير لما يلى:

أولاً: هنـــاك صدمة كبـــيرة. فمن المرجـــح أن تتضاءل الخســـائر التى أشـــعلت فتيل الأزمة المالية العالمية أمام خســـائر الناتج المصاحبة لهذا الطارئ الصحى وإجراءات الاحتواء المرتبطة به.

ثانياً: على غـــرار أى حرب أو أزمة سياسية، هناك عدم يقين شديد ومستمر بشأن مدة الصدمة ودرجة حدتها.

ثالثاً: فى ظل الظروف الراهنة، هناك دور مختلف تماماً للسياسة الاقتصادية. ففـــى الأزمات العادية، يســـعى صناع السياســـات إلى تشـــجيع النشـــاط الاقتصادى عن طريـــق تحفيز الطلب الكلى بأسرع وقت ممكن. أما هذه المرة، فمعظم الأزمة يرجع إلى تبعات إجراءات الاحتـــواء اللازمة، مما يزيد من صعوبة تحفيز النشـــاط، ويجعلـــه أمراً غير مرغوب، على الأقل بالنســـبة للقطاعات الأكثر تضرراً.

ومازالت تعكـــس تنبؤات الاقتصاد العالمى الواردة فى ذلك التقرير مســـار الجائحـــة وإجراءات الصحـــة العامة اللازمة لإبطاء انتشار الفيروس وحماية الأرواح وإتاحـــة الفرصة لنظم الرعاية الصحيـــة كى تتعامـــل معها على نحو فعال. وفى هذا الصدد، استفدنا من عدة حوارات مـــع متخصصين فى الوبائيات، وخبراء فى الصحة العامة، ومتخصصين فى الأمراض المعديـــة ممن يعملون على إيجـــاد أدوية تعالج فـــيروس كورونا

الحرب الباردة الامريكية الصينية والوطن العربي الى أين ؟

(كوفيد- 19). ولكن يظل هناك قدر كبير من عدم اليقين حول التنبؤات، والجائحة نفسها، وتداعياتها الاقتصادية الكلية، والضغوط المصاحبة لها فى الأسواق المالية وأسواق السلع الأولية.

ومن المرجح أن يمر الاقتصاد العالمى هذا العام بأسوأ ركود تَعَرَّض له منذ سنوات «الكساد الكبير»، متجاوزاً فى ذلك كل تداعيات الأزمة المالية العالمية منذ 10 سنوات. فمن المتوقع أن يتسبب «الإغلاق العام الكبير»، كما يجوز أن نسميه، فى انكماش النمو العالمى بشدة.

وفى تقديرى أن هناك تعافٍ جزئى فى عام 2021، حيث أصبح النمو الاقتصادى خاصة فى مصر ودول أخرى محدودة أعلى من معدلات الاتجاه العام، ولكن مستوى إجمالى الناتج المحلى سيظل أدنى من الاتجاه العام فى فترة ما قبل الفيروس، مع قدر من عدم اليقين حول مدى قوة التعافى. ومن الممكن، بل وربما من الأرجح، أن تكون نتائج النمو أسوأ بكثير. وسيحدث هذا إذا استمرت الجائحة وإجراءات الاحتواء مدة أطول، أو وقع ضرر أكثر حدة على اقتصادات الأسواق الصاعدة والاقتصادات النامية، أو استمر تشديد الأوضاع المالية، أو إذا ظهرت آثار غائرة واسعة النطاق بسبب إغلاق الشركات واستمرار البطالة.

وسيتعين التعامل مع هذه الأزمة على مرحلتين: مرحلة للاحتواء وتحقيق الاستقرار تليها مرحلة للتعافى. وفى كلا المرحلتين، هناك دور حاسم لكل من الصحة العامة والسياسات الاقتصادية. وتكتسب عمليات الحجر الصحى والإغلاق العام والتباعد الاجتماعى أهمية حاسمة فى إبطاء انتقال العدوى، مما يعطى نظام الرعاية الصحية وقتاً كافياً للتعامل مع طفرة الطلب على خدماته وإمهال الباحثين وقتاً كافياً لمحاولة إيجاد أدوية ولقاح. ويمكن أن تساعد هذه الإجراءات على تجنب ركود النشاط الاقتصادى بصورة أشد وأطول أمداً وتهيئة السبيل لتعافى الاقتصاد.

ومن الضرورى زيادة الإنفاق على الرعاية الصحية لضمان توافر القدرات والموارد اللازمة لنظم الرعاية الصحية. وينبغى النظر فى إعطاء معاملة خاصة للمشتغلين بالمهن الطبية – الذين يقفون فى الصفوف الأمامية لمكافحة الجائحة – بما فى ذلك، على سبيل المثال، إعطاؤهم منحاً لتعليم أسرهم أو تعويضات سخية للورثة فى حالة الوفاة.

إنه فيما يتعلق بتأثير تطور العلاقات الأمريكية الصينية وإدارتها وقضية كورونا فى الوقت الحالى قد تدخل فى خضم حرب باردة جديدة بسبب فيروس كورونا المستجد كوفيد -١٩ بدلاً من أن يكون تحدى هذا الفيروس الخطير والخبيث عامل تضامن إذا به يمثل عامل خلاف بين الجانبين ولكن لم يمنع ذلك من إنتاج لقاحات جيدة تستخدم معظمها فى دول العالم.

يلاحظ أن هناك عوامل تعكر صفو ومسار تطور العلاقات بين الولايات المتحدة والصين منها:

- ما يتعلق بقضايا خلافات إستراتيجية بين البلدين خاصة تايوان ورفض بكين بيع أسلحة عسكرية لها.
- هونج كونج ومسألة لجوء الصين إلى سن قوانين جديدة تتعلق بتحقيق الأمن القومى الصينى خاصة ما يتصل بالوضع فى هونج كونج بعد حاثة اعتراض قوة بحرية وجوية صينية لمدمرة أمريكية فى بحر الصين الجنوبى مؤخراً وتطورات أخرى فى بحر الصين الجنوبى ومناطق شرق وغرب ووسط آسيا.
- مسألة حرب العملات بين الجانبين.
- الحرب التجارية المتنوعة فى أساليبها بين واشنطن وبكين تؤثر على مسار العلاقات بين الجانبين وأشكاله.
- قضايا حقوق الإنسان.

وعلى الرغم من وجود خلافات إستراتيجية بين الجانبين إلا أنها فى تقديرى تسير فى أطر وتحركات محكومة من الجانبين لاعتبارات اقتصادية وإستراتيجية وأمنية وعسكرية ونووية خاصة قبيل بل وحتى أثناء أزمة كورونا وذلك على الرغم من تغير أساليب التعامل الإعلامى والتراشق الإعلامى المتزايد بين الجانبين فى ظل الإدارة الأمريكية الجديدة.

يلاحظ أن الجانب الأمريكى فى عهود مختلفة بل وفى المرحلة الحالية حريص على إدارة العلاقات مع الصين بشكل محكم وإن كانت هناك مساع فى نفس الوقت تهدف إلى التأثير على الاستثمارات الأمريكية والأوروبية ومن أستراليا فى الصين وكذا ما يتعلق بالاستثمارات الصينية المتزايدة بشكل واسع فى الولايات المتحدة وحشد حلفاء واشنطن فى هذا الاتجاه.

إنه من المهم الإشارة فى هذا الشأن أيضاً إلى أن هناك مصالح إستراتيجية متنامية معقدة تربط بكين وواشنطن خاصة منذ زيارة الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون للصين عام ١٩٧٢ بعد نجاح ما يمكن وصفه بدبلوماسية البنج بونج قبيل تلك الزيارة وما قام به السفير الأمريكى حينذاك جورج بوش الأب (ثم رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك) ونجح الجانبان فى ذلك الوقت فى تطوير علاقات إستراتيجية ممتدة فى مختلف المجالات السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية.

إن عملية تطوير العلاقات الأمريكية الصينية مستمرة رغم المشاكل التى واجهتها ومن ثمار ذلك علاقات تجارية قوية متبادلة بين الولايات المتحدة والصين، وليس تحالفاً سياسياً أو عسكرياً، تخطى حجم التبادل التجارى

بينهما حوالى الـ ٧٠٠ مليار دولار سنوياً كما توصل الطرفان لاتفاق تجارى إستراتيجى فى يناير ٢٠٢٠ يفترض أن تستورد الصين بموجبه ما يقدر بـ٢٠٠ مليار دولار أمريكى من الولايات المتحدة خاصة من المنتجات الزراعية.

يضاف إلى ذلك فى هذا السياق أن لدى الصين سلاحاً مالياً مهماً من بين أدواته القوية ملكية دولة الصين الشعبية فى سندات الخزانة الأمريكية حوالى ١.١٢ تريليون دولار.

هذا إلى جانب القدرات التكنولوجية وفى مجالات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والصناعية الرخيصة وغير ذلك التى تتمتع بها الصين بمزايا نسبية.

وبناء على ذلك فإن الجانبين يأخذان فى الاعتبار مصالحهما التجارية التى أضحت عضوية بشكل مشترك وممتد وعميق الجذور وفهم دقيق للأضرار المتبادلة المشتركة.

وهنا تبرز بعض التساؤلات المهمة منها:

ما مدى نجاح واشنطن أو بكين فى مجالات التنافس بينهما من أجل إيجاد أسواق بديلة له فى آسيا وأوروبا والدول العربية؟

ما مدى نجاح مسعى الهند الحثيث إلى الإحلال محل الصين بقدرات تنافسية وبناء مناطق صناعية بشروط تحفيزية؟

ما هو تأثير التوازنات الإقليمية والدولية السائدة فى إطار العلاقات الأمريكية الصينية على الوطن العربى وقضايا الأمن القومى العربى ودور إيران وتركيا وإثيوبيا وإسرائيل فى المنطقة العربية؟

وسوف يطرح ذلك سؤالاً مهماً وهو أن إضعاف الصين يعنى تعزيز قوة روسيا والهند.. فهل تقبل واشنطن ذلك؟

وما تأثير ذلك على الوضع فى الشرق الأوسط وآسيا والعالم والتوازن الدولى والنظام الدولى الجديد فى هذا الشأن؟

تجدر الإشارة إلى أن الصين شهدت فى العقود الأخيرة تطورات داخلية كبيرة فى عدة مجالات اقتصادية وعسكرية وتكنولوجيا المعلومات وفى هذا الإطار فقد ذكر الأدميرال فيليب دافيدسون الذى يشرف على القوات الأمريكية فى آسيا أن الصين هى أكبر تهديد إستراتيجى للولايات المتحدة واعتبر أن الصين قادرة على تخطى التقدم العسكرى الأمريكى فى غضون خمس سنوات وفى إطار إعلان واشنطن رسائل القوة المفتوحة لها فقد كثفت واشنطن حضور سفنها الحربية فى بحر الصين الجنوبى كما شهدت المنطقة مناورات تحت عنوان «حرية الملاحة فى تلك المنطقة» انضمت إليها فرنسا وبريطانيا.

يثار ذلك وسط ما أسميه بالجدل الإعلامى حول مفهوم جديد مفاده مسألة الردع الجرثومى بين بكين وواشنطن المرتبط عملياً وتاريخياً بإستراتيجية الردع النووى الذى كان سائداً بين القوى النووية فى العالم منذ الحرب الباردة فى خمسينيات القرن الماضى ولكن بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى سابقاً.

إن مفهوم الحرب الجرثومية لا ينطبق على العلاقات الصينية الأمريكية ومسألة انتشار فيروس كوفيد -١٩ نظراً لعدم توفر معلومات رسمية دقيقة تؤكد هذا المفهوم حتى الآن.

وفى ضوء ما تقدم وعلى الرغم من مسار التراشق الإعلامى المتزايد فى المرحلة الحالية بين الجانبين الأمريكى والصينى حول منشأ وتصنيع وتسرب فيروس كورونا المستجد كوفيد -١٩ من مركز الأبحاث الصينى فى ووهان والدعوة إلى تحقيقات حول مسئولية الصين فى نشر الوباء والاستثمار السياسى وقرار الرئيس الأمريكى السابق بإغلاق القنصلية الصينية فى مدينة هيوستن إلا أن الطرفين الأمريكى والصينى فى رأيى حريصان على إدارة العلاقات والمصالح الإستراتيجية لهما والتعايش معاً فى المرحلة الحالية وعدم تأثير ذلك على تشكيل النظام الدولى الجديد والوضع فى المنطقة العربية رغم زيادة معدلات التطورات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية وإن جرت محاولة استخدام ورقة فيروس كورونا السياسية للتأثير على العلاقات بين بكين وواشنطن ورسم التوازنات الإقليمية والدولية سياسياً واقتصادياً بعد نهاية مرحلة كوفيد -١٩.

وسوف تظل جائحة كورونا ورقة تستخدمها وتستثمرها الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية الصين الشعبية وغيرهما فى الاتجاه الذى يحقق المصالح القومية العليا لهم.

أن من المسارات الرئيسية التى تؤثر على علاقات واشنطن وبكين، عمليات التصعيد الإعلامية المتبادلة الروسية الأمريكية من حين لآخر وتأثيرها على قضايا الأمن والسلم الدوليين وقضايا الحد من التسلح والأوضاع فى أفغانستان وأوكرانيا والتشيك وبولندا والمجر والأمن الأوروبى وأمن دول حلف الناتو وتعزيز التواجد العسكرى فى البحر الأسود وبحر البلطيق وتبادل طرد الدبلوماسيين والعقوبات المتبادلة.

كما أن تحركات روسيا فى العراق وسوريا وليبيا وأفغانستان والخليج تعكس مصالح مختلفة. فما مدى تأثير ذلك على الأمن القومى العربى وتحركات الولايات المتحدة والصين. ومتى يتم عقد قمة أمريكية روسية من أجل التوصل إلى تفاهمات حول قضايا الخلاف بين واشنطن وموسكو؟

كما ينشط مسار جديد فى المرحلة الحالية مفاده ما أسميه شد الأطراف للوطن العربى ودول الجوار خاصة من جانب إيران وتركيا وإسرائيل لتقوية علاقاتها مع الولايات المتحدة والصين كما يبرز ذلك فى المساعى التى تبذل فيما يتصل بالبرنامج النووى الإيرانى ومسألة إعادة الاتفاق النووى الإيرانى فى ثوب قشيب ومتوازن من الولايات المتحدة والصين وجميع دول ٥+١ مع إيران يراعى قضايا الأمن القومى العربى وغيرها.

كما يتضح ذلك فيما يتعلق بتوقيع الصين وإيران على اتفاق إستراتيجى فى ٢٧ مارس ٢٠٢١ الذى يعد امتداداً جديداً للمشروع الصينى الخاص بمبادرة الحزام والطريق، التى تشمل بناء طرق تربط الصين ببقية أنحاء العالم مما يمكنها من توسيع نفوذها كقوة عالمية وفى منطقة الشرق الأوسط.

كما ستستمر العلاقات التجارية العضوية والقوية بين الجانبين نظراً للمصالح التجارية والسياسية العليا بينهما فى ظل توتر وتراشق إعلامى متنام من حين لآخر ولكن فى إطار سلوك عسكرى ونووى وأمنى وتجارى ودبلوماسى منضبط بين واشنطن وبكين لا يرتفع فى المرحلة الحالية إلى درجة حرب باردة قوية تهدد العلاقات بين الجانبين.

كما لا يؤثر ذلك بشكل كبير على الوطن العربى والأمن والاستقرار فى المنطقة العربية خاصة - ما يلاحظ من سياسات الصين والولايات المتحدة فى المرحلة الحالية فى إدارة علاقاتهما الدبلوماسية مع العالم العربى من خلال القنوات الثنائية مع الدول بصرف النظر عن علاقاتهم مع واشنطن وبكين.

الإنسان والكون والحياة

ما من آدمى إلاّ وهو مشدود إلى ذاته، يفكر مَن هو؟ وكيف كان؟ وإلام سيكون؟! ما موضعه فى هذا الكون المعجز للأفهام؟ وما سبيله فى هذه الحياة التى يأتيها غير مخيّر ويغادرها فى أجل محتوم؟!

رجائى عطية
rattia2@hotmail.com

حول الإنسان، والكون، والحياة، تدور خواطر تشغل الآدمى العاقل حيث كان.. الإنسان مجهول إلى ذاته، يريد بمعرفة نفسه أن يلتحم مع حاضره وأن يستشرف مستقبله، وأن يكون لحياته معنى.. إن حياة الأحياء ومن بينها البشر، نظام كونى إلهى جليل جداً، يجمع بين شدة البساطة وشدة التعقيد والتركيب.. مهما بدا لنا من المعرفة والفطانة والذكاء، فإننا لا نرى ما يحفل به الكون والحياة إلاّ من ثقب ضئيل جداً.. شديد الضآلة، ومن زاوية بالغة السطحية!

فهل نستطيع فهماً أعمق للإنسان، والكون، والحياة؟

يبدو أن «الأنا» هى أول ما شعر به الإنسان الأول، ثم تعددت مشاعره وتساؤلاته كلما واجه الحياة وما فيها من أسرار وأخطار ومطالب لا يستغنى عنها حى..

على أن الشعور بالأنا ــ أى بالذات ــ طبيعى أن يصاحبه شعور بالغير، قبولاً كان أو رفضًا أو عداء لها.. وهذا الشعور يكاد فى عمومه يساوى قدرتنا على التخيل والتصور والظن، فهو يتسع لكل من ينتسب إلى الذات بالدم أو بالنسب أو بالخدمة والتبعية أو بالزعامة أو القيادة أو الرعوية حيال الآدميين الآخرين، كما يضاف إلى الذات ليزيد من حجمها لدى وعيها ــ ما تملكه أو تحوزه أو تسيطر عليه أو تتصرف فيه أو تديره أو تتولى أمره من المرافق والمنافع والسلطات والممتلكات والأموال، وبالعكس فإن هذا الشعور بالأنا قد يضيق وينكمش بل ينحسر ويتضاءل ويتفه حتى تكاد الأنا تفقد كل قيمة لها فى عين نفسها فتتسول لقمتها وتنام فى العراء أو فى الخرائب!!

أما غير الأنا، فعبارة عامة بالغة الاتساع تشمل كل ما لا ينحصر فى ذات الآدمى.. تعبر أولاً عن الخالق عز وجل، وتعبر أيضاً عن هذا الكون العظيم وكل ما فيه من حى وغير حى.. كبير أشد الكبر أو صغير أدنى صغر، يدخل ضمن ذلك كل ما هو «غير الأنا» إذا تحدثت أو فكرت أو عبرت أو غيرت!

فاعتراف «الأنا» بحياة غيرها من الآدميين ــ اعتراف بكائن «خارج» «الأنا» أى خارج النفس، لا يحيا بحياتها ولا يموت بموتها.. اعتراف «الأنا» بغيرها هو من قبيل الاعتراف بوجود النهار وانتهائه وشروق الشمس واحتجابها ورؤية إنسان واختفائه.. والفوارق بين بعض هذه الاعترافات وبعض ــ هو ما يبقى فى وعى وذاكرة وعاطفة الحى منا من سيرة وذكريات مصحوبة بعواطف أحداث وتجارب مضت ــ وتركت آثارها داخلنا.. قد ننتفع ببعضها، وقد نأسى ونحزن منها، وقد نشعر أحياناً بارتياح لها، وقد ننساها تماماً، وقد لا نبالى بها ابتداء وانتهاء لأننا لا نتأثر بها على الإطلاق، وهو ما يقع لكل منا فى أغلب الأحيان عندما يرى أو يسمع بما يحدث لمن لا يعرفه أو من لا تربطه به رابطة وذلك فى غير الفظيع والمفجع أو الفكاهى المضحك أو الغريب العجيب!!

كان الأصل فى البشر هو ألا يعيشوا إلا معاً فى جماعات، وهو أصل يحتوى ويشمل حتماً فردية كل أفراد الجماعة برغم إحساس كل منهم بذاته وفرديته وبالاختلاف الضرورى الناشئ عن ذلك الاختلاف فى الشعور بالذات. ويبدو أن هذا أصل كل جامع يجمع مفرداته أى أفراده فى قدرات وخصائص عامة مشتركة دائبة مستمرة، يخالفها بعض الأفراد أحياناً قليلة أو كثيرة فى قلة أو فى كثرة، وتلك القدرات والخصائص العامة أقوى وأطول أعماراً من تلك الخلافات والاختلافات ومضاعفاتها المتمثلة فى الاضطرابات والتمردات والقلاقل والفتن التى قد تجرى داخل هذه الجماعة أو غيرها، إذ تلك الأحداث لا تخرج عن كونها عبارة عن عوارض تجرى وفق عواملها لا وفق تخيلاتنا، وتحدث آثارها تبعاً لدرجة قوتها أو نضجها وليس وفق تخيلات أو تصورات أو ظنون أفراد البشر الذين من المحال أن يجتمعوا على رأى واحد أو نظر واحد أو أسباب واحدة!!

فالجماعات البشرية يصاحبها من بداياتها اختلاف أفرادها إلى شراذم وفرق وطوائف، وأبناء بلاد وأحياء وقرى ونجوع، ولتكوّن باستمرار مجاميع أصغر وأصغر كما تكوّن مجاميع أكبر وأكبر، وذلك بحسب نوع الرابطة التى تربط المتمسكين بها من الأفراد.

وكما تضم الجماعة البشرية عديداً من الأفراد مختلفين وأحياناً متعادين، تضم فى نفس الوقت جماعات من الأفراد تندرج من كبراها إلى صغراها نزولاً أو من صغراها إلى كبراها صعوداً.

ومكمن ما يعيب الجماعات، هو ما ينشأ ثم يتسع بين أفرادها من الاختلاف أو التنافس وتضارب الرغبات والمشتهيات، وتتحول هذه وتلك إلى عداوات حين ينتفى وجود القادرين على كبح جماح الأفراد أو المجموعات، وردها على أعقابها.. هنالك تتجمع أسباب وأمارات أكيدة لخراب عاجل يدفع ثمنه

المحســـن قبل المسيء والشريف الفاضل قبل الوغد ويقتـــضى علاجه فى الجماعة عشرات الســـنين، ربما كان فى مقدورها تفاديها لو التفت الملتفتون وتنبهوا حين كان ذلك مجدياً نافعاً!

أما الصدام المســـلح أو الحروب بين الجماعات، فظاهـــرة بشرية لم تنقطع قط فى دنيا البشر منذ وجود الشـــعوب والأمـــم والأجناس وشـــعور الآدميين بضرورة الانتمـــاء لواحد منها، وانحياز وتعصب أهل كـــل جماعـــة للمجموع الذى ينتمى إليه، ســـواء سمى شعباً أو أمـــة أو مملكة أو سلطنة أو إمارة أو جمهورية أو دولة أو ولاية أو اتحاد دول أو ولايات يرفع علمه ويعتز برعويته إليه ظاهراً أو باطناً إن كان صادقاً.

وبين الحـــروب والثـــورات والفتن الداخليـــة قرابات، أهمهـــا اللجوء إلى اســـتعمال الســـلاح والغلو فى العداوة وســـيادة التعصب وإبعاد السلام من أذهان المتحاربـــين والثائرين والحكومة القائمة بإخماد أو محـــاصرة ثورتهم نجحت أو لم تنجح ومن ســـاندها من رعاياها!

وإلى اليـــوم لم يقلع البشـــر عن التشبث والانتمـــاء لهذه الأرض أو تلك التى يعيشون عليها كجماعة متميزة كما عاش آباؤهم ويتمسكون بهـــا تمسك المتعصب المستميت ـ كمـــا لم يقلعوا عن النظر إلى أبناء أى أرض غيرها كأجانب وغرباء معرضين فى الأعم الأغلب للتوجس والاسترابة.. تزداد الاسترابة إذا كان أولئك فى الماضى موضع عداوة أصيلة خاصة إذا كانوا يدينون بدين مخالف.. وللأســـف لم تنجح الديانات الكبرى حتى الآن، فى تغيير ذلك الأثر المزعج الهائل المبنى على مجرد اختلاف «المكان» أو «الجنس» أو «العقيدة».. ويبدو أن الشـــوط لا يزال بعيداً أمام معتنقـــى الديانات المختلفة وبين الالتزام بسيادة المودة والأخوة مع ســـواهم من البشر، ولو كانوا من أهل الأديان الأخرى ما ســـالموهم.. لا يزال البون شاسعاً لتحقيق هذه المودة بغض النظر عن الاختلاف فى الأرض والجنس واللون والعمر والذكورة والأنوثة والغنى والفقر ـــ ربما اقترب البعيد إذا أدرك البشر أنهم جميعـــاً عباد لإله واحد هو خالـــق كل شىء وكل حـــى واهتدوا إلى جوهر الإيمان والتزموا بذات الإخلاص فى السيرة والسريرة!

إحساسنا بفرديتنا

وإحساســـنا ـــ على اختلافنا ـــ بفردية كل منا، إحســـاس عميق شديد غامر، بيد أن هذا الإحساس «بالفردية» خالٍ تماماً من أى اهتمام جدى بالجماعة أو الجنـــس، وإجـــداب هـــذا الاهتمام بالمحيط الأوســـع مرده فيمـــا يبدو إلى تمحور «الذات» حول نفسها، ودورانها باســـتمرار حول ما تشـــتهيه النفس وترنو إليه وتطمـــع فى زيادته أو تقلق خوفاً عليه.. فهى فردية عقيمة مجدبة فى الغالب الأغلب، تلهينا باســـتمرار عن القيام بأى اهتمـــام مخلص بمصالح ومســـتقبل جماعاتنا وجنسنا، وتلهينا عن المجموع انكفـــاءً على نفس كل منا، فتحصرنا فى أنانية «الذات» حتى فى أدائنا للخدمات العامة التى تقتضيها الجماعة من كل منا حســـب دوره أو وظيفته أو موقعه، وبذلك لم يعد الآدميون فى أى بلد مواطنين صادقـــين مهيأين ـــ حقيقة لا تظاهراً ـــ للتعـــاون معاً والصمود والتضحية والبذل المشترك فـــى جدية وإخلاص من أجل الأهداف العامة، مع أنهم دائمو الترديد لهذه المعانى، يلوكونها بألســـنتهم ويتشدقون بها فى مجالسهم ومنتدياتهـــم وأحاديثهـــم وكتاباتهم وخطبهم المنصرفة للسمعة والتظاهر.. يجرى ذلك فى الوعى وفى اللاوعى لطول مفارقتنا للجد والجدية، وطول اعتيادنا على إدمان التظاهر والافتعال لأشـــياء لم تعد فينا حقيقـــة، ولكننا نصطنعها اصطناعاً تلمســـاً للصورة التى نحب الظهور بها، دون أن نجل هذه المعانى أو الأشياء إجلالاً حقيقياً فعلياً، أو نشعر بيننا وبين أنفســـنا أنها ضرورية لازمة لوجود أى منا!!

هـــذا التظاهر والافتعـــال التمثيلى هاوية حقيقية، تحيل حياتنا إلى تمثيلية مظهرية أو صوتية أو شـــكلية لا تترجم عن واقع حقيقى فاعـــل، ولا تحقق أو تنتج حصـــاداً!! وهـــذا الذى يحدث إنما مـــرده إلى «خـــواء الداخل».. خـــواء الداخل هو المنزلـــق لكل شىء مظهرى غير جاد، وليس من ســـبيل لإنهاء هذه «المظهريـــة» الفارغـــة عديمة الحصاد الجاد، إلا باســـتعادة «عمـــار الداخل» بأن يكون لكل منا حياة داخلية سليمة، وهذا لا يتأتى بالتمنى أو بالكلام، وإنما يحتـــاج إلى توجيه اهتمامنـــا الجاد إلى داخلنا، مع الإصرار على تعميره وتنميته بمعطيات جديدة نعتنقها بصدق وولاء تام وإيمان!

بغير هذا لا تتحسن الحياة، ولا يكون للحضارة الإنســـانية أساس متين آمن يصونها ويؤمنها من الانحدار والزوال! إن البشر يعانـــون منذ قرون من زحف هذه «الأتربة» دون أن يعرفوا لها آخر، ولم يعد صالحاً للعمار الحقيقى للحياة والحضارة، العـــودة إلى «قديم مجرب» محكوم بزمانه، ولا بصورة له «معدلة» أو «مجملـــة»! لا قيمة ولا جدوى إلا بما يستقر فى قلب كل آدمى قبل أن يستقر ثانية فى عقله وفكره وخياله دائم التحرك والتغير والتقلب!

الأمن السيبرانى فى الشرق الأوسط (2)

يرتبط الأمن السيبرانى فى المنطقة بالعديد من القضايا مثل التحديات الاجتماعية والاقتصادية والإرهاب الإقليمى وعبر الوطنى، وانخفاض مستويات التعليم، والحاجة إلى تشريع إقليمى أقوى بشأن استخدام التقنيات السيبرانية. ويشير تحليل هذه التحديات إلى أن أفضل استجابة لتحدى الأمن السيبرانى فى الشرق الأوسط هو من خلال إيجاد نهج تعاونى ما بين جميع أصحاب المصلحة الرئيسيين فى تحقيق نظام لتأمين المعلومات.

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

هناك خمس طرق لمعالجة مشكلة التهديدات السيبرانية: بناء القدرات/ التعاملات الدبلوماسية/ المنظمات الدولية/ التشريع/ وضع وتنفيذ المعايير المناسبة.

أولاً: بناء القدرات الوطنية والإقليمية:

1 - يجب أن يتضمن برنامج الأمن السيبرانى على كل من القدرات الاستباقية والتفاعلية. تركز معظم دول الشرق الأوسط على قضية الأمن السيبرانى من حيث رد الفعل. ومع ذلك، من المهم أيضاً أن تطور الدول قدرات استباقية لمواجهة هذا التهديد المستمر، على سبيل المثال من خلال تطوير معايير ضمان المعلومات المصممة لزيادة تأمين الأصول السيبرانية الحرجة وتقليل مستويات المخاطر.

2 - يجب أن يشتمل أيضاً على برنامج للاختبار المنتظم لقدرات الأمن السيبرانى الوطنية لتحديد نقاط الضعف القابلة للاستغلال ووضع خطط للتعامل معها، مع تعزيز الأمن السيبرانى كعنصر فى صنع القرار والأنشطة اليومية للدولة والقطاع الخاص والمواطنين بهدف تأمين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها.

3 - تعزيز بناء القدرات من خلال برامج التدريب لتعليم القضاة والمحامين ومسئولى إنفاذ القانون بشكل صحيح مع متابعة التطورات الدولية فى مجال السياسة العامة فيما يتعلق بالفضاء السيبرانى وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وظواهر وقضايا الجرائم السيبرانية.

4 - يعد توسيع نطاق الأمن السيبرانى من النظرية إلى الممارسة، ودمج القضايا والتحديات الناشئة شرطاً أساسياً لنظام بيئى إلكترونى مرن ومحدّث يمكنه مواكبة الوتيرة السريعة لتطور الشبكة العالمية والتهديدات التى تواجهها. يمكن للجامعات فى المنطقة أن توفر فرصاً مماثلة من خلال الدورات التدريبية على المستوى التنفيذى لصناع القرار الرئيسيين بمساعدة المراكز والمنظمات الإقليمية.

ثانياً: الدبلوماسية الدولية متعددة الأطراف:

1 - يمكن للشرق الأوسط تعزيز جهوده الدبلوماسية للتعامل مع التهديدات السيبرانية من خلال المنتدى الدولى لحوكمة الإنترنت. (IGF) الذى يوفر أرضية، ويخلق فهماً مشتركًا لكيفية زيادة فرص الإنترنت إلى أقصى حد ومعالجة أى مخاطر وتحديات متعلقة بالإنترنت.

2 - يمكن للأمم المتحدة أيضاً المساعدة فى تعزيز العلاقات الدبلوماسية بين أصحاب المصلحة من خلال عقد لجان فريق الخبراء الحكومى السنوى (GGE) التى تركز فقط على قضايا الأمن السيبرانى فى الشرق الأوسط. ويعزز ذلك الحوار بشأن أمن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من تطوير فهم مشترك لتطبيق «القانون الدولى والقواعد ومبادئ السلوك المسئول من قبل جميع أصحاب المصلحة».

3 - كما يوفر فريق خبراء الأمم المتحدة (UNGGE) حول التطورات فى مجال المعلومات والاتصالات فى سياق الأمن الدولى منتدى عالمياً متعدد الأطراف للمداولات وبناء التفاهم الدولى المشترك لحماية الفضاء السيبرانى ومنعه من التحول لسباق التسلح السيبرانى.

4 - أهمية تعزيز الاستخدامات السلمية للإنترنت بهدف استثمار التقنيات السيبرانية بالكامل فى المساهمة فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة لتحقيق التعاون فى الحد من مخاطر الهجمات السيبرانية من خلال تطبيق المعايير القائمة والقانون الدولى ذات الصلة باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

ثالثاً: المنظمات الدولية ودورها:

1 - بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يساعد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية فى تحسين القدرات السيبرانية للدول النامية من خلال المساهمة فى بناء القدرات على المستويين الوطنى والإقليمى، مما قد يساعد على صقل

مهـــارات المشرعين، وبناء شـــبكات فى الشرق الأوسط لتعاون ولتبادل لأفضل الممارسات.

2 – وبالمثل، يمكـــن للاتحاد الدولى للاتصـــالات (ITU) أن يلعـــب دوراً حاســـماً فى ضمان عدم وجود ثغرات فى قدرات الـــدول على حماية مواطنيها من التهديدات السيبرانية.

3 – يتناول الاتحاد الدولى للاتصالات مجموعة مـــن القضايا تتضمن التعامل مع التهديدات الســـيبرانية والرســـائل الاقتحامية، وزيـــادة الوعى، والتحقيق فى قضايا الخصوصية، وإدارة البيانات، وإدارة الأزمات عنـــد حدوثها بالإضافة إلى ذلك، يمكن للاتحاد توفير التدريبات السيبرانية وفرق الاســـتجابة للطوارئ الحاسوبية (CERTs) .

4 – فيما يتعلق بالقدرات التفاعلية، فى حين يتعين على برامج الأمن السيبرانى فى كل دولة التخطيط لســـيناريوهات أســـوأ الحالات لضمـــان رد فعل فعال مناسب للهجوم السيبرانى والتعافى منه، فإن إدارة المخاطـــر اليومية للتهديدات السيبرانية بحرص وبتقنية عالية يمكن أن تمهد الطريـــق لإدارة المخاطر عالية المستوى.

رابعاً: التشريعات والهياكل:

1 – يعمل ميثـــاق الأمم المتحدة على النحو المنصوص عليه فى اتفاقيات جنيف واتفاقية مجلس أوروبا بشـــأن الجرائم الســـيبرانية كإطار عام لمساعدة الدول فى تطويـــر التشريعـــات التى تتصدى لتهديدات الأمن السيبرانى. تراعى الدول عند اســـتخدامها لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، التزاماتهـــا بموجب المادة (2) من ميثاق الأمم المتحدة بتســـوية النزاعات الدولية بالوســـائل السلمية، فضلاً عن حظر التهديد باستخدام القوة أو استخدامها.

2 – فى ســـياق أمـــن تكنولوجيـــا المعلومات والاتصـــالات، توجد بالفعل أطر تشريعية جـــارى تطويرها لتعزيز بروتوكـــولات الأمـــن الســـيبرانى على المستوى الوطنى والإقليمى.

3 – الدول والهيئات مســـئولة عن ضمان تطويرهـــا للتقنيات الجديدة فى مجال الأمن والســـلم الدوليـــين امتثالاً للقانون الدولى الإنسانى، حيث على كل دولة بموجب المادة 36 من البروتوكول الإضافى الأول لاتفاقيات جنيف تحديد ما إذا كان اســـتخدام «سلاح أو وسائل أو أساليب جديدة للحرب يقوم بدراستها أو تطويرهـــا أو الحصـــول عليها أو اعتمادهـــا، محظور فى بعـــض أو كل الظروف بالقانون الدولى».

4 – تؤكـــد التقاريـــر الصادرة عن مجموعـــة الخـــبراء الحكوميين بالأمم المتحـــدة حـــول التطـــورات فى مجال المعلومات والاتصالات فى ســـياق الأمن الـــدولى، أن القانون الدولى ولاســـيما ميثاق الأمم المتحدة، ضرورى لـــتعزيز الانفتـــاح، وتوفـــير بيئـــة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات آمنة ومســـتقرة ويسهل الوصول إليها. وقد شدد فريق الأمم المتحدة على أهمية تسوية المنازعات الدولية بالوسائل الســـلمية بطريقة لا تعرض الســـلم والأمن والعدل الدوليين للخطر مع الامتناع فى العلاقات الدولية عن التهديد باستخدام القوة ضد السلامة الإقليميـــة أو بأية طريقة أخرى لا تتفق مع مقاصد الأمم المتحدة.

خامساً: الخلاصة:

1 – من الضرورى تحديد مجموعة مـــن المعايير التى يمكـــن للمنطقة من خلالهـــا إدارة تفاعلاتهـــا فى مجـــال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

2 – مـــن المهم أن يـــدرس صانعو السياسات المعايير الحالية التى تنطبق على الفضاء الســـيبرانى والطرق التى تستخدم بها الدول التقنيات السيبرانية بحيث تكون قادرة على تنفيذ مجموعة متفق عليها من المعايير التى تتوافق مع القانون الوطنى والدولى وتســـاعد على ردع الهجمات السيبرانية.

3 – من المهم دراسة سياسة الفضاء الإلكترونى الدوليـــة للاتحاد الأوروبى (EU) فى أية مناقشـــة للقواعد. يعمل الاتحاد الأوروبى وفقاً لمجموعة القوانين والقواعد والقيم الأساســـية الخاصة به، حيث إن المسئولية عن الفضاء الإلكترونى الأكثر أماناً تقع عـــلى عاتق الجميع فى جميع مستويات المجتمع، من المواطنين إلى الحكومات.

4 – يمكن تحقيـــق تطبيق القواعد والتشريعات المتفق عليها من خلال خلق قدرات على تحييد التهديـــدات وإنفاذ القانون الســـيبرانى تحمـــى المواطنين والقطـــاع الخـــاص والحكومات من الهجمات السيبرانية.

5 – أهمية تشكيل هيئة يتم تفويضها لتنسيق الأنشـــطة الوطنية وتشريعاتها بهدف وضع إستراتيجية وطنية.

العيش من أجل الوطن والاستشهاد فى سبيله

تتوالى ما بين فترات زمنية انتفاضات فلسطينية، فى مواجهة سلطة «الاحتلال الإسرائيلى» التى اغتصبت وطن واحتلت أرض الشـــعب الفلسطينى، وترتكب فى حقه جرائم جنائية وسياسية وإنسانية بشعة، فى انتهاكات صارخة لمواثيق واتفاقات وقرارات دولية تهدر بها الحقوق وتقع بها المظالم، حيث تمارس فى إطارها أعمال قتل وإزهاق أرواح لأطفال ونساء وشيوخ وشباب، وتدمير مبان ومنشآت وبنية تحتية، وممارسات صارخة لفصل عنصرى وتفرقة عنصرية، وتهجير قسرى من أجل اســـتيطان فاقد الشرعية، وتدنيس لأماكن مقدسة ببذاءة واضحة واستهزاء فج لمشاعر وشعائر أصحاب ديانات سماوية.

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

من رحم الانتفاضات تسترد الأوطان، انتفاضة اليـــوم فى إطارها القانونى الصحيـــح هى بين طرفين، «شـــعب وطنه محتل من جانب وسلطة احتلال من جانب آخر»، هى انتفاضة شـــعب بأطيافه فى القدس والضفة وغزة»، تحت الاحتلال فى مواجهة ســـلطة الاحتلال ممثلة فى دولة إسرائيل وممارســـاتها البغيضة. الشعب الفلسطينى يعيش من أجل استعادة وطنه السليب بل وبمثل الانتفاضة يستشهد فى سبيله. انتفاضة الشعب الفلسطينى لم تكن مقصورة على الداخل فى فلســـطين المحتلة وإنما امتدت خارجها بدول الشتات والمهجر وغيرها مـــن دول العالم، مدعومة على نحو غير مســـبوق بقوى ومنظمات سياسية وحقوقية وأهلية ومظاهرات تأييد واعية وإن كانت عفوية، لشعوب بدول من كل حدب وصوب، فى تضامن مع مواقف لحكومات دول اســـتيقظ ضميرها لنـــصرة حقوق مهدرة ورفع مظالم مؤلمة.

لقد شـــهد العالـــم احتجاجات وإدانات ضد سلطة الاحتلال مطالبة بإنهائه، ومنح الشـــعب الفلسطينى حقوقه المشروعة. لقد عادت القضية الفلسطينية على يد أبنائها إلى مقدمة الأحـــداث بفضل المقاومة الباســـلة لشـــعب اجتمع مـــع قياداته فى ظل الانتفاضة عـــلى قلب رجل واحد. لقد أثارت الانتفاضة اهتمامات شـــعوب وحكومات ومنظمات إقليمية ودولية بـــل وزلزلت الكيـــان الإسرائيلى بل ووصل الأمر على المستوى الدولى إلى حد تبنى المحكمـــة الجنائية الدولية موقفاً يأخذ بالتحقيق فى جرائم دولية ارتكبتها إسرائيل.

لقد أضحت المقاومة الفلسطينية – ولها حق مشروع فى مقاومة الاحتلال أى ســـلطة الاحتلال طبقاً للمواثيق والقوانين الدوليـــة – طرفاً فى قضية الصراع واسترداد الأرض والوطن، وهو الأمر الذى يستوجب نبذ الخلافات بين الفصائل الفلسطينية وتوحيد هياكل الســـلطة بتحقيق مصالحة حقيقية تتجاوز التباين فى المواقف والتوجهات السياسية والولاءات لأطراف إقليمية أو دولية، وعلى تلك الأطراف أن تقدم

الدعم بأشكاله المختلفة فى إطار وحدة الصف والموقف الفلسطينى لفصائله الموحدة فى إطار سلطة واحدة، مجردة وبعيدة عن المزايدات والمناورات السياسية ضيقة الأفق ذات المآرب الذاتية.

إن الدول التى طبعت علاقاتها بإسرائيل بدعوى شيوع السلام مقابل السلام، عليها مسئولية أكبر فى توظيف هذا التطبيع لخدمة القضية، ولا تسمح باستغلالها للنيل منها، إذ أن مقابل التطبيع، هو رهن تواصل التطبيع بدفع إسرائيل نحو مفاوضات جادة على أساس حل الدولتين وتأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بما فى ذلك حقه فى إقامة دولته المستقلة على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية وأن تكف إسرائيل عن الأعمال والممارسات المشار إليها، والتى من شأنها زرع وتنامى الكراهية بين الشعبين الفلسطينى والإسرائيلى بما يدفع نحو التطرف والعنف والذى يتبلور فى النهاية فى «ممارسة إسرائيل لإرهاب الدولة» على النحو الذى فعلته مؤخراً فى غزة بدعوى التصدى لمنظمة حماس، والتى كانت ترد على ممارسات سلطة الاحتلال، فى إطار «المقاومة المشروعة» للشعب الفلسطينى ضد الانتهاكات الإسرائيلية البشعة فى القدس ومنطقة الشيخ جراح.

إذا كان التطبيع قد جاء على خلفية شيوع السلام بين أطراف المعادلة السياسية فى المنطقة، فإن الشعب الفلسطينى أحد الأطراف الأساسية فى هذه المعادلة، وهى أمور فى مجملها تنفى عن حماس عندئذ كأحد مكونات هياكل الشعب الفلسطينى مع باقى منظمات المقاومة، ما وصمت به من أنها منظمة إرهابية، وهو الأمر الذى يتعين على حماس أن تكف معه عن أية ممارسات قد تضعها فى دائرة الشبهة كمنظمة إرهابية، مثلما على إسرائيل أن تكف عن الحديث والترويج لفكرة الدولة اليهودية القومية العنصرية كبديل لحل الدولتين، وعن ممارساتها التى تصمها بإرهاب الدولة.

لقد بادرت مصر وانبرت فى إطار إستراتيجى ثابت لرؤية تقضى بالتمسك بتسوية القضية الفلسطينية على أساس حل الدولتين، وعلى نحو يؤمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، حتى يتحقق الأمن والاستقرار وشيوع السلام فى المنطقة. لقد جاء التحرك المصرى فى هذا الإطار على محاور ثلاثة، الأول، وقف إطلاق النار وتثبيته فى إطار هدنة ليست بالقصيرة، وهو أمر حققت فيه نجاحاً لحد كبير، والثانى، إعادة الإعمار وتوفير المساعدات الإنسانية حيث اضطلعت بدور ريادى فى هذا الصدد بتقديم نصف مليار دولار لعملية إعادة الإعمار كما فتحت معبر رفح بالإضافة لتوفير مساعدات غذائية وطبية بل وإنشاء مستشفى مصرى فى غزة بجانب معالجة الجرحى فى مستشفيات مصرية، مناشدة دول وشعوب ومنظمات إقليمية ودولية الإسهام فى عملية إعادة الإعمار، بما يهيئ المناخ المناسب للمحور الثالث من واقع ما يتم إنجازه على هذين المحورين، وهو استئناف مفاوضات بين طرفى المعادلة وهما الشعب الفلسطينى ممثلاً فى السلطة الفلسطينية تحت قيادة واحدة، وسلطة الاحتلال ممثلة فى الكيان الإسرائيلى.

لقد حظى التحرك المصرى بتقدير واحترام وإشادة من جانب الشعب الفلسطينى وقياداته، ومن دول وشعوب ومنظمات إقليمية ودولية، وهو الأمر الذى يستوجب مع تواصل هذا الدور بنجاحاته المحققة حتى الآن استثمار هذا الزخم فى المضى نحو تدشين المحور الثالث الخاص باستئناف المفاوضات بين طرفى المعادلة وهما قيادتا الشعبين الفلسطينى والإسرائيلى فى إطار الرباعية الدولية وعلى مرجعية الشرعية الدولية، ومن منطلق مبادرة السلام العربية القائمة على أساس حل الدولتين.

إسرائيل والسلام المنقوص

لا تنجلى أيام فلسطين ولياليها الدامية إلا عن حقائق مؤلمة وزاهية فى ثنائية متوالية منذ عقود، فالشهداء بالمئات والجرحى أضعاف ذلك، ولكنها تعبر فى الوقت نفسه عن روح فلسطينية كأنها تنهض من سبات، ولكنه النهوض المبارك من السبات الفارق بين عالمين، اليأس من التحرير والتحرر من اليأس، وتجلى ذلك على وقع تكبيرات النصر من المسجد الأقصى، والجوامع الفلسطينية، وعبر ترانيم أجراس الكنائس الحانية عقب وقف إطلاق النار بعد العدوان الإسرائيلى الأخير على قطاع غزة على مدى أحد عشر يوماً أسقط عشرات القتلى والجرحى، ولتعود القضية الفلسطينية إلى الواجهة مرة أخرى.

د.هشام عبدالملك
Hesham.Abdel.Malek@bbc.co.uk

لقد روجت إسرائيل لعصر جديد من السلام فى المنطقة بعد توقيع الاتفاقيات الإبراهيمية مع بعض الدول العربية، واعتقدت من جانبها من خلال هذا الصخب الاحتفالى والضجيج العالى أنها قادرة على إهالة التراب على القضية الفلسطينية، وكانت تأمل فى أن تؤدى هذه الاتفاقيات إلى إعادة تشكيل موقفها فى منطقة طالما تجنبتها، الأمر الذى يساعدها على احتواء إيران والبدء فى إقامة علاقات تجارية جديدة، ومازلنا نتذكر رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو، فى سبتمبر الماضى، وهو يتحدث من البيت الأبيض عمّا وصفه بالأمل أمام جميع أولاد إبراهيم، ولكن لم تمض سوى أشهر قليلة حتى جاءت لحظة المكاشفة والمصارحة، عندما شهدت المنطقة إحدى أعنف حلقات التصعيد الإسرائيلى الفلسطينى منذ سنوات لتؤكد أن هذه الاتفاقيات لن تكتمل فوائدها من دون إيجاد حل شامل وعادل للقضية الفلسطينية.

لقد كان هناك الكثير من الإسرائيليين يتساءلون عن أحد الإنجازات التى تحققت فى مسيرة نتنياهو السياسية التى امتدت لثلاثة عقود، وهو قدرته على إبقاء الفلسطينيين محاصرين مع تعزيز أفضل لعلاقات إسرائيل مع جيرانها العرب، لكن نتنياهو، الذى قال للناخبين فى الانتخابات الأخيرة إن الإسرائيليين آمنون ومزدهرون فى الداخل، لم يعبأ بآلاف الشبان الفلسطينيين فى القدس الشرقية المحتلة، بوتقة صراع إسرائيل مع الفلسطينيين، الذين وقفوا فى شهر رمضان أمام اليمين المتطرف فى إسرائيل، الذى كان عدوانياً بشكل خاص، وكرر الوعود بطرد العرب من القدس الشرقية، مؤكداً الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة التى تضم المسجد الأقصى.

واعتقدت إسرائيل واهمة أنها ستعمل على إضفاء الطابع الإسرائيلى على الفلسطينيين فى الداخل، وستقوم بتدجين الفلسطينيين فى الضفة الغربية تحت الاحتلال، وأنها ستفصل غزة إلى الأبد، ولكنها فشلت فى الأمور الثلاثة، فما هى إلا أيام حتى كانت إسرائيل تواجه الفلسطينيين على ثلاث جبهات مختلفة، حركة حماس التى أطلقت آلاف الصواريخ على المدن والبلدات الإسرائيلية، وفتنة طائفية واسعة النطاق اندلعت بين فلسطينيى الداخل

وجيرانهم اليهود، واشتباك آلاف المتظاهرين مع جنود الاحتلال فى الضفة الغربية المحتلة، ليكون لدى الفلسطينيين فى كل مكان الآن هدف واحد، وهو إنهاء الفصل العنصرى الإسرائيلى، وهو أمر غير مسبوق منذ عام 1948، وهكذا، وبعد أحد عشر يوماً من العنف، تبددت أى آمال إسرائيلية فى احتواء القضية الفلسطينية خلف الجدران والحواجز، وعاد صراعها المستمر منذ عقود مع الفلسطينيين إلى الواجهة مرة أخرى.

ولا شك أن العدوان الإسرائيلى الأخير على قطاع غزة سيؤدى إلى عرقلة التقدم المحدود الذى شهدته علاقات إسرائيل بعدد من الدول العربية، ليكون هناك مزيد من التريّث والحذر، وأخذ مزيد من الوقت أو المراجعة، أما فيما يتعلق بالدول العربية المطبعة حديثاً مع إسرائيل، فلا أعتقد أن التصعيد العسكرى الأخير بين قطاع غزة وإسرائيل سيدفع هذه الدول إلى إعادة النظر فى الاتفاقيات الإبراهيمية، فهو يبدو أنه قرار إستراتيجى لهذه الدول التى اتخذته، فهى ترى أن الدوافع والأسباب التى قادت إلى اتخاذه قوية وحاضرة ومتعددة على جميع المستويات، فروح الاتفاقيات الإبراهيمية، التى تم الترويج لها، وأن يؤمن بها الجميع وليس طرفاً دون آخر، تقوم على أهمية الحلول الدبلوماسية وتخفيف حدة الصراعات ووقف حالة العداء وانتهاج التهدئة من أجل إشاعة أجواء من الاستقرار والانشغال بالتنمية بدلاً من الحروب والصراعات، ولا شك فى أن جولة الصراع الساخنة فى قطاع غزة شكلت اختباراً لهذه المعانى، إلا أنها، وفى ظل المعطيات السياسية الحالية، يجب ألا تكون دعوة إلى التراجع والانكفاء، بل التصميم على أن الحلول السلمية والدبلوماسية هى مصلحة مشتركة للجميع باستثناء المتطرفين على كلا جانبى الصراع الذين يخدم الصراع والاقتتال أجندتهم السياسية والحزبية ومصالحهم الانتخابية والشخصية.

ويجب على المجتمع الدولى إعادة الانخراط فى مفردات القضية الفلسطينية، وإلا فإن هذه الصراعات الرهيبة ستستمر فى تكرار نفسها بتكلفة بشرية هائلة، فما حدث على مدى أحد عشر يوماً يجب أن يشكل حافزاً للمجتمع الدولى والإقليمى للدفع باتجاه حل سياسى دائم، وليس مجرد هدنة أو إدارة للأزمة، وهنا يمكن القول بملء الفم إن الدبلوماسية المصرية أثبتت حنكتها السياسية وبراعتها التفاوضية، فقد عملت مصر منذ اللحظة الأولى على وقف العدوان على قطاع غزة حرصاً منها على دماء الأشقاء فى فلسطين ليؤكد دورها الريادى تجاه القضية الفلسطينية، بعيداً عن أدوار أخرى أرادت أن تقتحم المشهد لسبب أو لآخر وفشلت فى ذلك، لذلك كان التوصل لاتفاق لوقف إطلاق النار، متبادل ومتزامن، فى قطاع غزة برعاية مصرية دليلاً قاطعاً على أن الدور المصرى بقيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى هو دور قوى ومؤثر تجاه جميع القضايا الإقليمية والدولية بصفة عامة، وتجاه القضية الفلسطينية بصفة خاصة.

وكانت رسالة الرئيس عبدالفتاح السيسى واضحة للعالم كله من خلال المبادرة التى أطلقها بتقديم نصف مليار دولار للشعب الفلسطينى وإعادة إعمار ما هدمته قوات الجيش الإسرائيلى فى قطاع غزة، وهى أن مصر دائماً وأبداً ستكون مع القضية الفلسطينية قلباً وقالباً، فضلاً عن أن هذه المبادرة لها دلالات سياسية كبيرة تصب جميعها فى صالح مكانة مصر الدولية بين دول العالم، فمصر دولة كبيرة بالفعل والتنفيذ على أرض الواقع وليس بالقول والكلام، فهذه المبادرة أعطت رسالة للعالم كله بأن مصر، بالرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التى تمر بها، مثلها مثل باقى دول العالم فى ظل تراجع الاقتصاد العالمى بسبب فيروس كورونا، قادرة على مساعدة شعب عربى أعزل ويحتاج إلى تقديم يد العون له من أجل الإسهام فى وقف إطلاق النار والحروب وإرساء السلام فى المنطقة العربية والسعى النهائى لحل القضية الفلسطينية من جذورها، حتى يتحقق الاستقرار فى المنطقة العربية كلها، وبالتالى هى دولة قوية اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، وأنها ستواجه المخاطر التى تحيط بها، بكل احترافية وهدوء، دون ضجيج أو صراخ لا يحصد إلا الشر.

ولم يتوقف الأمر من جانب مصر عند وقف إطلاق النار بل سعت إلى تثبيته، ورأينا هذه الزيارة المهمة التى قام بها السيد رئيس جهاز المخابرات العامة إلى إسرائيل ورام الله وقطاع غزة، فضلاً عن الزيارة التى قام بها وزير الخارجية الإسرائيلى إلى القاهرة ولقائه مع السيد وزير الخارجية المصرى، وهو ما يؤكد الدور المصرى القوى والرائد، وما يمكن التأكيد عليه بأن مصر هى الدولة الوحيدة القادرة على التدخل فى هذه الأزمة وإحراز تقدم فيها، على الصعيدين الفلسطينى والإسرائيلى، لعدة أسباب تاريخية لا تتعلق فقط بالوضع الحالى، فمصر حاربت وجاورت وحاورت إسرائيل على مدى عقود وبالتالى تشكلت تحت أعينها الخريطة السياسية والأمنية والعسكرية والاستخباراتية للجانب الإسرائيلى، بالتالى لديها ما تستطيع أن تقدمه وتلعب به على الطاولة الإسرائيلية فى الداخل من خلال القراءة الواعية لهذه الخريطة، بالإضافة إلى أن مصر هى أيضاً رمانة الميزان بالنسبة لإسرائيل فى إحكام السيطرة على الوضع داخل فلسطين سواء تعلق الأمر بالسلطة الفلسطينية أو بالفصائل المسلحة داخل قطاع غزة، ومن ناحية أخرى مصر لها اليد العليا فى الداخل الفلسطينى، فالسلطة الفلسطينية على سبيل المثال تشكلت بدعم مصرى مطلق على غرار اتفاق غزة – أريحا بعد اتفاق أوسلو وبالتالى علاقتها بالسلطة قوية جداً وداخل حركة فتح، أما النقطة الأخرى بالنسبة للفصائل الفلسطينية فهذه الفصائل ليس لديها مخرج إلا من خلال معبر رفح مع الجانب المصرى فى ظل سيطرة إسرائيل على المعابر الأخرى حيث لن تسمح لهذه الفصائل وقادتها ومن يتبعهم أن يستخدم هذه المعابر، وبالتالى تستخدم مصر هذه الورقة للتعامل مع الفصائل الفلسطينية حتى لا تتم أدلجتهم بأجندات خارجية، وبالتالى هذه عناصر القوة المصرية فى الداخل الفلسطينى، أما على المستوى الدولى فمصر فى النهاية حليف موثوق بالنسبة للولايات المتحدة ولها علاقات قوية وجيدة جداً على كل المستويات الدولية مع الاتحاد الأوروبى وكذلك مع روسيا والصين فهى لم تأت مع دولة كبرى على حساب دولة كبرى أخرى.

وإذا كان الدور المصرى محورياً ومقدراً من جانب المجتمع الدولى، فيجب على المجتمع الدولى أن يدعم الرؤية المصرية لإنهاء الصراع التاريخى بين الفلسطينيين والإسرائيليين، خاصة وأن هذه الرؤية تقوم على قرارات الشرعية الدولية لإنهاء الاحتلال الإسرائيلى لكامل الأراضى الفلسطينية وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية، خاصة مع إعلان الرئيس الأمريكى جو بايدن عن أهمية الدور المصرى فى تسوية النزاع فى الشرق الأوسط، وجاءت إشادة الرئيس الأمريكى جو بايدن بجهود الرئيس عبدالفتاح السيسى فى تقريب وجهات النظر بين جميع أطراف الصراع بمثابة دليل واضح وصريح على الدور التاريخى

والمحورى والريادى الذى تلعبه الدبلوماسية المصرية بقيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى.

وهنا يجب أن تتحرك الولايات المتحدة بكل ثقلهـــا وراء إيجاد حل لصراع هو من أقدم الصراعـــات فى العالم، ففى ظل غياب عملية السلام هناك احتمال كبير لأن تندلع أعمال عنف جديدة بين الطرفين على المدى القصير أو المتوســـط، ولاشـــك أن الرئيس الأمريكى جـــو بايدن عندما تولى منصبه فى يناير من عام 2021 اعتـــزم تركيز فترته وطاقته على مواجهة وباء كورونا والتراجع الاقتصـــادى فى الداخل، فضلاً عن تحديات كبرى فى الخارج كالصين وروســـيا وإيران وكوريا الشمالية، ولكن بعد الصراع الأخير فى قطاع غزة بات لزاماً على معاونيه إعادة ترتيب أولوياتهم مع الســـعى لتثبيت وقف إطلاق النار بين إسرائيـــل وحركة حماس ووضع خطة لإعـــادة إعمار غزة والحيلولة دون تكرار المواجهة التى صارت أولى أزمات السياسة الخارجية فى طريق بايدن، وهو ما دفع أحد المسئولين الأمريكيين إلى القول إن ما تعلمناه من الاتفاقـــات الإبراهيمية هو أن تجاهل الصراع الإسرائيلى الفلســـطينى لا يقلص فحســـب آفـــاق المفاوضات بل يمكـــن بالفعل أن يضيـــف شرارة أخرى، لتتأكد يوماً بعـــد يوم هذه المقولة، وهى أن الشرق الأوسط عموماً والصراع الفلسطينى الإسرائيلى تحديـــداً أخطر من أن ينجح أى رئيس أمريكى فى تجاهله أو الخروج منه، وأنه إذا لم تذهب أمريكا إلى الشرق الأوسط فإنه سيأتى إليها مع أول انفجار لأوضاعه المشـــحونة بكل المواد المتفجرة وكل فتائل الإشعال وهذا ما حدث بالضبط.

ويبدو أن نـــبرة الإدارة الأمريكية بدأت تحمل تغيـــيراً واضحاً عن أســـلوب النأى بالنفس لرئيس يعزف عن الخوض فى الصراع القائم منذ عقود بين إسرائيل والفلسطينيين والذى أربك مساعى رؤساء سابقين لصنع الســـلام، حيث قالـــت الإدارة الأمريكية إن التركيز ينصب على ما ســـيحدث لاحقاً مع التطلع قدماً إلى تجاوز العنف، بحيث نفعل كل ما بوسعنا للحد من احتمالات تكرار مثل هذا الوضع خلال خمســـة أعوام أو عامين، وفى هذا الإطار رأينا الرئيس الأمريكى يوفد وزير خارجيته أنتونى بلينكن للقاء زعماء إسرائيليين وفلســـطينيين وإقليميين فى أولى زيارات بلينكن للشرق الأوسط، كما تصدر

قائمة المهـــام الأمريكية جمع مســـاعدات إنسانية لغزة وأخرى لإعادة إعمار القطاع، وسيضاف هذا إلى مساعدات للفلسطينيين بقيمة مائتين وخمسة وثلاثين مليون دولار أعلنت عنها واشـــنطن فى أبريل واستئناف تمويل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشـــغيل اللاجئين الفلســـطينيين وإعادة مساعدات أخرى أوقفها الرئيس الأمريكى الســـابق دونالد ترامـــب، كما رأينا قـــراراً أمريكياً بإعادة فتح القنصلية الأمريكية فى القدس الشرقيـــة مرة أخـــرى بعد قـــرار ترامب بإغلاقها.

ولا شك أن الصراع الأخير بين قطاع غزة وإسرائيل، والزخم الـــدولى الذى صاحبه، أدى إلى الحديث مرة أخرى عن مفهوم حل الدولتين الذى حاولت إسرائيل وأده بشكل أو آخر، وهـــا هو وزير الخارجية الأمريكى أنتونى بلينكن يؤكـــد أن حل الدولتين هو الطريقة الوحيدة لضمان مستقبل إسرائيل كدولة يهودية ديمقراطية، بالإضافة إلى أنه الســـبيل الوحيد لمنح الفلسطينيين الدولة التى يحق لهم الحصول عليها، وهو ما أكده السيد سامح شكرى وزير الخارجية عندما التقى مع نظيره افسرائيلى جابى أشكنازى فى القاهـــرة، وإذا كانت هذه الصيغة حتى الآن تبدو غـــير واضحة المعالـــم أمريكياً، وغـــير مكتملة الأركان، وتطرح تســـاؤلات بشأن كيف ســـتطبق ومتى سيبدأ العمل بها، إلا أن تاريخ العنف الســـابق، وجهود السلام الفاشلة تبدو بمثابة تحذير واضح للجميـــع، وكما نعلم الكـــرة الآن فى الملعب الإسرائيلى، أياً كانـــت الحكومة الإسرائيلية، فالسلطة الفلســـطينية من جانبها، تتمسك بحل الدولتـــين، وها هو يحيى الســـنوار قائد حركة حماس فى غزة يتحدث عن حل الدولتين، بل إننـــا إذا عدنا إلى عام 2017 نسترجع وثيقة المبادئ والسياسات العامة التى قدمتها الحركة وتشمل أربعة عشر بنداً أهمها بند يعترف بحدود عام 1967 وهو ما يعنى الاعتراف ضمنياً بإسرائيل، علاوة على تصنيف الصراع معها على أنه صراع سياسى لا دينى،

بل إن هناك أصواتاً إسرائيلية تراها الملاذ الآمن لإسرائيل، حيث يرى خبراء ومحللون أن التوقف عن دعم حل الدولتين، حتى من حيث المبدأ، يجعل إسرائيل أكثر هشاشـــة عند اندلاع الصراع، وفى حقيقة الأمر، مازال الكثير مـــن الإسرائيليين اليهـــود يدعمون مثل هذا النهج لتحقيق الســـلام، وكثيرون آخرون يدعمون نهجاً أكثر توازناً بالنسبة لحقوق الفلســـطينيين، فى شكل من أشكال الشراكـــة أو على الأقل التعايش الســـلمى مع الفلســـطينيين، ومع ذلك، هناك الكثير من الإسرائيليين اليهـــود الآخرين يدعمون مفهوم إسرائيل كدولة يهودية، والتوســـع المطّرد للســـيطرة الإسرائيلية على القدس، وضم أجزاء من الضفة الغربية، وتعارض كثير مـــن الأحزاب السياســـية الإسرائيلية أى شكل من أشـــكال الدولة الفلسطينية، وهؤلاء الإسرائيليون اليهود أصبحوا عاملاً صاعـــداً باطّراد فى السياســـة الإسرائيلية، ولكن يمكن التأكيـــد أن الحقوق المشروعة للشـــعب الفلســـطينى من خلال مقاومته تظل حاضرة وقـــادرة على إعادة الأمور إلى نصابها وتصحيح مســـار أى انحراف عن هذه الحقوق، ولأن إسرائيل لن تظل تســـير عكس دوران عقارب الساعة إلى الأبد.

ومـــا يؤكد هذه الرؤيـــة التى يجب أن تواجههـــا إسرائيل هـــو أن الجولة الأخيرة من التصعيد أثـــارت صوتاً عامـــاً مؤيداً

للفلسطينيين فى وسائل الإعلام والكونجرس الأمريكى بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، حيث بدأت تغيرات جديدة تطرأ على الداخل الأمريكى نفسه، ومن عمق الحزب الديمقراطى الذى ينتمى إليه بايدن لتشكل ضغطاً شديداً عليه ليلعب دوراً أكثر وضوحاً ويتخذ نهجاً أكثر صرامة تجاه إسرائيل، وهى ضغوط جاءت من الديمقراطيين التقدميين الذين كان دعمهم له حاسماً فى الفوز بانتخابات عام 2020، حيث عبروا عن سعادتهم بوقف إطلاق النار، لكنهم دعوا إدارة بايدن إلى العمل من أجل حل أطول من خلال معالجة جذور العنف والعمل باتجاه حل الدولتين وإنهاء الحصار والاحتلال، مع الضغط من أجل سلام دائم للإسرائيليين والفلسطينيين.

وقد كشف الصراع الأخير بين الفلسطينيين والإسرائيليين عن مدى تحول الثقل السياسى فى الحزب الديمقراطى بشأن الصراع الفلسطينى الإسرائيلى فى السنوات الأخيرة، وهو تحول يمكن أن نصفه بالمؤثر، بحيث يزيد تعاطف الأجيال الأصغر مع الفلسطينيين، وهذه الهوة العمرية أصبحت واضحة تماماً داخل الحزب الديمقراطى، ففى الوقت الذى يعبر فيه الرئيس الأمريكى جو بايدن عن وجهات نظر تقليدية، ويؤكد مراراً على حق إسرائيل فى الدفاع عن نفسها ضد صواريخ حماس، يجد أن الأجواء الحزبية المحيطة به تعبر عن قلقها، على أقل تقدير، من ظروف معيشة الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية، وترى أن السياسات الإسرائيلية تزيد من مآسيهم.

وإذا نظرنا إلى الكونجرس، باعتباره المؤسسة الأكثر تمثيلاً للمناخ السياسى الأمريكى، لرصد تحول سياسات الحزب الديمقراطى بشأن فلسطين وإسرائيل، فغالباً ما كانت تسيطر وجهات النظر المتعاطفة مع إسرائيل على السياسة الخارجية الأمريكية فيما يتعلق بالصراعات الإقليمية، بسبب أصوات الناخبين اليهود (وهى قاعدة كبيرة للحزب الديمقراطي)، أو الكنيسة الإنجيلية (وهى قاعدة موازية للحزب الجمهوري)، وكان لزيادة التنوع فى الكونجرس الأمريكى نتائج خطيرة على الموقف الأمريكى تجاه إسرائيل، وأدى هذا التنوع فى الخلفيات إلى تنوع أكبر فى وجهات النظر وتفتت للقوى، ويتجلى ذلك فى مجموعة عضوات الكونجرس الليبراليات اللاتى يُطلق عليهن اسم «الفريق»، ومن بينهن الفلسطينية الأمريكية رشيدة طليب عن ولاية ميشغان، والصومالية إلهان عمر عن ولاية مينيسوتا، فضلاً عن ألكسندريا أوكاسيو- كورتيز عن ولاية نيويورك، والتى فازت بالمقعد بعد الإطاحة بـ جو كروالى، أحد كبار أعضاء الكونجرس الديمقراطيين، والذى طالما ساند إسرائيل فى مواجهاتها السابقة فى الأراضى المحتلة.

وإذا كان للحركة التقدمية اليسارية دور فى زيادة التنوع فى الكونجرس، فالفضل فى ذلك يعود إلى الديمقراطى الاشتراكى بيرنى ساندرز الذى نشأ كيهودى فى المراحل الأولى من مسيرته السياسية فى إسرائيل وعاش لبعض الوقت فى ستينيات القرن الماضى هناك، وكان متعاطفاً مع السياسات الإسرائيلية بشكل عام، ومع خوضه معركة انتخابات الرئاسة للمرة الأولى عام 2016، عبر عن دعم أكبر للمخاوف الفلسطينية، وهو ما أحدث شرخاً بينه وبين المزاج العام فى الحزب الديمقراطى، وفى المناظرة الأولية مع هيلارى كلينتون فى مارس من عام 2016، والتى تزامنت مع هجمات صواريخ حماس تجاه إسرائيل، تحدث ساندرز بصراحة عن معاناة الفلسطينيين، وارتفاع معدلات البطالة وظروف السكن المزرية والقطاع الصحى المتردى والتعليم المتردى، وإذا كان قد خسر السباق الانتخابى، إلا أن شعبية الأفكار التى طرحها فتحت الباب أمام الديمقراطيين المغمورين للدفع بها ومناقشتها، تماماً كما فعلوا فى غيرها من القضايا التقدمية، مثل التأمين الصحى والتعليم الجامعى المجانى ورفع الحد الأدنى للأجور والإصلاح البيئى.

وظهرت أصوات متزايدة داخل الحزب الديمقراطى تطالب بقطع المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل، أو على الأقل التلويح بذلك، للضغط على رئيس الوزراء الإسرائيلى للتخلى عن سياساته القمعية فى الأراضى المحتلة، وما زاد من تعقيد الأمر بالنسبة للديمقراطيين التقليديين الموالين لإسرائيل هو زيادة التحزب والشقاق داخل الحزب، كحال كل القضايا التى لها علاقة بالسياسات الأمريكية، لذلك لا يمكن لإسرائيل أن تعتمد بعد الآن على الصداقة بدون انتقاد كما كان عليه الحال فى عهد الرئيس الأمريكى السابق دونالد ترامب.

وها هو بيرنى ساندرز يكتب مقال رأى فى صحيفة نيويورك تايمز خلال شهر مايو، لم يتوان فيه عن الهجوم على رئيس الوزراء الإسرائيلى، وهو أمر لم يعد مجرد رأى هامشى داخل الحزب الديمقراطى، وجاء فى مقال ساندرز إنه فى حقيقة الأمر، تظل إسرائيل سلطة واحدة فى أرضين هما إسرائيل وفلسطين، وبدلاً من الاستعداد للسلام والعدالة، تعزز إسرائيل من سيطرتها غير المتكافئة وغير الديمقراطية، واختتم ساندرز مقاله بالثناء على صعود جيل جديد من النشطاء فى الولايات المتحدة، وقال «رأينا النشطاء فى الشوارع الأمريكية فى الصيف الماضى، بعد مقتل جورج فلويد، ونراهم فى إسرائيل، ونراهم فى الأراضى الفلسطينية»، وكان السطر الأخير فى مقاله اقتباساً واضحاً من حركة حياة السود مهمة، فقال «حياة الفلسطينيين مهمة».

ولم يتوقف على النخبة السياسية الديمقراطية، فقد باتت هناك قاعدة سكانية غير بيضاء، خاصة بين الديمقراطيين، يشعرون بحساسية شديدة تجاه ما تلقاه المجتمعات غير البيضاء الأخرى، وهذه القاعدة ترى فى إسرائيل كمعتدٍ، خاصة وأن هذه المجتمعات لا تعرف شيئاً عن تاريخ إسرائيل والمحن السابقة، بل تعرف ما يجرى منذ الانتفاضة، والحروب المختلفة، والقصف غير المتكافئ، والمدنيين الأبرياء الذين تم قتلهم.

كما شهدت القضية الفلسطينية تعاطفاً من قبل الرأى العام الدولى، فها هى القضية الفلسطينية تبعث من جديد والتى فى الواقع كانت تمر بفترة تحول ثقافى وسياسى بفضل جيل جديد من الفلسطينيين المقيمين على وجه الخصوص فى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأوروبا، وكذلك من هم فى الأراضى الفلسطينية، وهو الجيل الذى يتفهم بالتأكيد بشكل متزايد أهمية ربط هذه القضية بقضايا النضال الأخرى فى جميع أنحاء العالم ولا سيما قضية الأمريكيين من أصل إفريقى الذين يدعون إلى حقوق متساوية فى الولايات المتحدة فى إطار حركة (حياة السود مهمة) ليتمكن الشعب الفلسطينى ومقاومته من كسب معركة الرأى العام العالمى، خاصة فى بعض الدول التى شهدت مسيرات نوعية، كالولايات المتحدة، أو فى بعض الدول الحليفة لإسرائيل، حيث قادت التظاهرات فى الدول الأوروبية وجوه جديدة من شباب لا يتجاوز عمره ثلاثين عاماً، ولم يكن له حضور وارتباط سابق بالقضية الفلسطينية.

ولا شك أن هذه المقاربة أعادت تعريف القضية الفلسطينية بوصفها قضية تحرير وتحرر لا تختلف عن قضايا النضال ضد العنصرية وضد الاستعمار، وهى إستراتيجية

إسرائيل والسلام المنقوص

منفتحة على العالم تضفى عليها بعداً عالمياً وإنسانياً يسمح لها بالابتعاد عن الاعتبارات الإقليمية، والدينية والسياسية التى لا تنفك تذكرها وسائل الإعلام والخطب التى تختزل المعادلة الفلسطينية فى صواريخ حماس أو حق إسرائيل فى الدفاع عن نفسها، كما تجب الإشارة أيضاً إلى ما نلمسه فى وسائل الإعلام الغربية من وجود قدر معين من المساحة المعطاة للفلسطينيين للتعبير عن أنفسهم على أرض الواقع أكثر بكثير من ذى قبل، كما رأينا سواء على صعيد الرأى العام أو على شبكات التواصل الاجتماعى والشبكات الأكاديمية، حشداً متزايداً لمصلحة الدفاع عن الحقوق الفلسطينية، ولا سيما الحضور المتزايد لمفردات اللغة القانونية التى تستحضر القانون الدولى وقضايا حقوق الإنسان المعتمد بخاصة على التقارير التى أعدتها منظمات غير حكومية ذات مصداقية لا يرقى إليها الشك، وأحياناً من قبل منظمات إسرائيلية أو فلسطينية تعمل هناك، هذا التحول الذى يركز الانتباه على كرامة الإنسان، وعلى الصعوبات التى يواجهها الفلسطينيون فى حياتهم اليومية فى ظل الاحتلال ومصادرة الأراضى التى تقوم بها سلطة تفتخر بكونها ديمقراطية، وعلى الحواجز العسكرية والعنف الذى يرتكبه المستوطنون الإسرائيليون، فكل ذلك أضفى بعضاً من الشرعية على الخطاب الفلسطينى وجعله سهل المنال وذا مغزى لمن يعتبرون أنفسهم مضطهدين، ويأتى قرار مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة بشأن تشكيل لجنة دولية مستقلة للتحقيق فى الانتهاكات للقانون الإنسانى وللقانون الدولى لحقوق الإنسان فى الأراضى الفلسطينية بعد العدوان الأخير على قطاع غزة ليشكل ضغطاً أخلاقياً ومعنوياً على إسرائيل، واعتبرت المفوضة السامية لحقوق الإنسان فى الأمم المتحدة ميشيل باشليه أن الضربات الإسرائيلية على قطاع غزة قد تشكل جرائم حرب.

ولا شك أن إسرائيل فى عدوانها الأخير على قطاع غزة تؤكد أنها تتفنن كل فترة فى إحياء مشهد دموى أمام المجتمع الدولى، وأمام الأجيال العربية المتعاقبة، رغم تشدقها بمفردات السلام، وهذا المشهد اعتادت عليه هذه الأجيال حتى قبل قيام الدولة، لتظل هذه الأجيال تتذكر مجازر ارتكبتها إسرائيل فى حق الشعوب العربية، كان من نصيب الفلسطينيين الجزء الأكبر من هذه المجازر داخل فلسطين وخارجها، ومن يطالع كتاب المؤرخ الإسرائيلى إيلان بابيه (التطهير العرقى فى فلسطين) يجد أن ما حدث فى مذبحة دير ياسين، رغم بشاعته، لا يقارن بما حدث فى مدن وبلدات وقرى فلسطينية أخرى أشد بشاعة، فإسرائيل منذ نشأتها اعتادت أن تحيا على أكتاف الحروب المختلفة التى أسقطت آلاف القتلى والجرحى من العرب، فالاعتداءات الإسرائيلية باتت متكررة، وحروبها لا تنتهى، وهو ما جعل الشاعر الإسرائيلى حانوخ ليفين يقول فى قصيدته (حين نتنزه نكون ثلاثة:/ أنا وأنتِ والحرب القادمة/ وحينما ننام نكون ثلاثة/ أنا وأنتِ والحرب القادمة)، وهو مقطع من إحدى قصائده يدل ببساطة على إدراك عميق لحقيقة وجود إسرائيل على الأرض الفلسطينية، ومآل هذا الوجود، وطبيعته ومفرداته، هذا الوجود الذى حاولت إسرائيل منذ بداية نشأتها أن تسوقه عالمياً من خلال الدعاية الإعلامية، ولذلك اعتمدت فى بداية نشأتها على السينما التسجيلية، وكان أول الأفلام المعروضة (التل 24 لايرد)، حيث يعقد الفيلم مقارنة بين عائلتين إحداهما يهودية تهتم بتعمير الأرض، والأخرى عربية أهملت أرضها، وبالتالى كانت الرسالة واضحة من هذا التزييف الدعائى وهو أن الأرض لمن يعمرها.

وينبغى على إسرائيل أن تفهم أن سياسة استخدام القوة ضد الفلسطينيين لن تجدى نفعاً، ولن تؤتى أكلها إلا بإعادة الحقوق للشعب الفلسطينى، فبالرغم من القوة العسكرية الساحقة والإنكار بأن الفلسطينيين موجودون، لا يزال الفلسطينيون موجودين، ولا تزال لديهم شرارة الأمل التى تصمم إسرائيل على إخمادها، وإذا كان رئيس الوزراء الإسرائيلى يتحدث عما وصفه بالنصر الذى حققه الجيش الإسرائيلى، إلا أن أصواتاً إسرائيلية مؤثرة تتحدث عن إخفاق الجيش الإسرائيلى فى تحقيق أهدافه، فيائير جولان، الذى يشغل حالياً عضو لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، يقول إن حركة حماس حققت أهدافها الرئيسية عند بداية الحرب، والتى شملت إطلاق آلاف الصواريخ، وتعطيل نسق الحياة، وتقويض مستوى الشعور بالأمن الشخصى لدى الإسرائيليين، مشيراً إلى أن مسار الحرب دلل على افتقار إسرائيل إلى إستراتيجية هجومية فعالة، حتى فى مواجهة التهديد المحدود الذى تمثله حركة الحركة.

وواصلت بعض القيادات السياسية وكبار المعلقين الإسرائيليين التعبير عن خيبة الأمل من نتائجها، ويقول عدد من الخبراء إن العملية العسكرية الإسرائيلية ضد قطاع غزة لم تكن ناجحة بسبب غياب الاستعداد وسوء الأداء لتفقد إسرائيل قوة الردع، وإن هذه العملية هى الأكثر فشلاً فى تاريخ إسرائيل، وإن أسوأ نتائج الحرب تمثلت فى تهاوى ثقة الجمهور الإسرائيلى فى قيادته وفى منظومة الحكم، وامتدت الانتقادات إلى قيادات الجيش، وبالتحديد ضد رئيس الأركان أفيف كوخافى الذى بشر الإسرائيليين بخطة عسكرية جديدة متعددة السنوات أطلق عليها (تنوفا)، وهى عقيدة الحرب الخاطفة التى تضمن تعاظم القوة العسكرية وآليات مواجهة التهديدات على الساحات المختلفة، حيث تم تقديمها على

أنها تمثل ثورة فى كل ما يتعلق بتوسيع وتعميق التنسيق والتكامل بين أذرع الجيش المختلفة فى الحروب والمواجهات، وتضخيم قوة النيران المستخدمة، بحيث يفضى الجهد الحربى إلى حسم أية مواجهة يمكن أن تنشب على أى من الساحات فى وقت قصير لضمان عدم المس بالجبهة الداخلية الإسرائيلية لأمد بعيد، وهو ما جعل النخب والشعب الإسرائيلى يتساءلون حول جدوى هذه الخطة التى فشلت فى اختبار الحرب الدائرة فى غزة، فعدد الصواريخ التى أطلقتها حركة حماس فى الأسبوع الأول من الحرب يعادل عدد الصواريخ التى أطلقتها الحركة فى خمسين يوماً من حرب 2014، بالإضافة إلى أن مدى وقدرة الصواريخ التى استخدمتها الحركة فى هذه الحرب أكبر من تلك التى استخدمت فى المرة السابقة، والنتيجة أن تحولت معظم الجبهة الداخلية الإسرائيلية إلى ساحة مواجهة، وهو ما دفع السلطات إلى إغلاق المدارس من بئر السبع فى الجنوب إلى هرتسليا، شمال تل أبيب، فضلاً عن تعطيل جلسات البرلمان، وإغلاق مطار بن جوريون، الذى يعد أهم الرموز السيادية لإسرائيل، وتوقف العمل فى أنبوب نقل النفط «إيلات عسقلان»، وإغلاق منصة استخراج الغاز فى حقل «تمار»، أكبر حقول الغاز التى سيطرت عليها إسرائيل فى حوض المتوسط، ومن ناحية أخرى، تعرض الاقتصاد الإسرائيلى إلى خسائر فادحة بالفعل.

وما قد لا تدركه إسرائيل بشأن الخسائر التى منيت بها، وهو ما قد يشهد تحولاً فى الفترة المقبلة، هو أنها وحدت بين الشعب كله فى الداخل والخارج، ووحّدت التاريخ والجغرافيا الفلسطينية، كما أنها جَدّدت الحالة الوطنية والوعى الفلسطينى من جديد، ويكفى أن نقول إن الإضراب الوطنى الموحد الذى نظمه الفلسطينيون فى كل من الضفة الغربية وداخل إسرائيل نفسها استعراض غير عادى للوحدة، وهو استعراض قد يكون من الصعب على إسرائيل احتواؤه بالفعل، وهناك إجماع بين المراقبين والمحللين، بأن القدس ومكوناتها الجغرافية نجحت إلى حد بعيد فى توحيد الفلسطينيين، كل الفلسطينيين فى مختلف أماكن تواجدهم، ودفعت بهم للخروج إلى الميادين والشوارع للانتفاض فى وجه المحتل ومستوطنيه، فالقدس فعلت ذلك من قبل، بيد أنها لم تفعله على نحو شامل للشعب الفلسطينى مثلما فعلته هذه المرة، وبالطبع لكل تجمع فلسطينى أسبابه ودوافعه، فانسداد أفق الحل السياسى كان عاملاً مهماً فى تشكيل مناخات الانتفاضة والمواجهة، وكذلك التوسع الإسرائيلى فى عمليات الاستيطان ومصادرة الأراضى وطرد السكان من منازلهم، وبصورة وصفتها منظمة هيومان رايتس ووتش على أنها تطهير عرقى، كانت سبباً فى انفجار القدس وامتداده للضفة الغربية، والحصار القائم على قطاع غزة، وتداعياته الاقتصادية والاجتماعية والخدماتية على الغزيّين، أما مظاهر التمييز العنصرى فى كل المجالات، وقوانين القومية اليهودية ويهودية الدولة، فكانت محفزاً لانتفاضات مختلف المدن والبلدات الفلسطينية داخل مناطق عام 1948، وكأنها تجديد للحالة الوطنية الفلسطينية فى وعيها وانتمائها لهويتها الأم، وبصورة لم تعهدها من قبل.

ويجب على القيادات الفلسطينية أن ترتقى إلى طموحات الشعب الفلسطينى وروحه الجديدة، ومن هنا يجب على العناصر الفلسطينية الفاعلة أن تقبل بالعروض المصرية للوساطة لإتمام المصالحة من خلال الزيارة التى قام بها السيد رئيس جهاز المخابرات العامة إلى رام الله وغزة لأن الاستمرار فى التعنت سيعود بالسلب على الجانب الفلسطينى ككل فى المرات القادمة، وإذا كان ما قدمته الفصائل الفلسطينية فى أثناء التصعيد الأخير انعكس على تعزيز شعبيتها فى الشارع العربى وأيضاً فى الشارع الفلسطينى، لكن فى النهاية هذه عواطف ارتبطت بلحظة معينة لنعود بعد ذلك إلى أزمات متعددة تواجه الشعب الفلسطينى، وبالتالى الفرصة متاحة أمام الفلسطينيين للنظر إلى المستقبل البعيد من خلال قيام حكومة وحدة وطنية تلبى طلبات الشعب الفلسطينى ومطالبه أمام المجتمع الدولى، وأن تكون الانتخابات التى يمكن الدعوة إليها من جديد، هى الحل الأمثل لتحقيق هذه الحكومة حتى تتمتع بالشرعية بالفعل، وهذه البداية الصحيحة سواء للسلطة أو الفصائل، وعلى الجميع أن يبدأ اليوم، ولا ينتظر إلى الغد أو بعد غد، فبعد غد يكون قد فات الأوان، وعلى الجميع أن يترفع عن رواسب الماضى، وتحضرنى هنا مقولة المستشار الألمانى الأسبق هيلموت كول (إننا يجب ألا ننسى الماضى، ولكن يجب علينا فى الوقت نفسه ألا نقع أسرى لهذا الماضى).

ونؤكد أنه يجب على إسرائيل أن تفهم وتقتنع وتوقن بمدى تعلق الفلسطينى بحقوقه الوطنية وفى مقدمتها قضية القدس وما الذى تعنيه بالنسبة له، فالقدس كانت حاضرة فى كل جولة من جولات الصراع، وفى الكثير من المنعطفات الكبيرة كانت تعود لتتصدر مشهد النضال الفلسطينى، بعد أن ظنوا واهمين أن صفقة القرن أنهت المهمة، وأزاحت عنهم حملاً ثقيلاً أتعبهم طيلة العقود الماضية، ليخرج المقدسيون من تحت الركام منتفضين ليؤكدوا أن القدس لا يمكن أن تموت، ورأينا جيلاً جديداً من الفلسطينيين يقاوم إسرائيل، ويفشل محاولاتها تغييب القضية الفلسطينية، وأنه دون إحراز تقدم على مستوى هذه القضية، فلن تضمن الاتفاقيات الإبراهيمية السلام للمنطقة، فقد أدى إصرار الشعب الفلسطينى إلى الإبقاء على القضية حية إلى هذه اللحظة، وليؤكد هذا الجيل من أبناء الشعب الفلسطينى، تحت أى عناوين، أو تحت أى مسميات، أن الإرادة الشعبية هى من تصنع المعادلات السياسية المتوازنة، أياً كانت قوة الأعداء، وأياً كانت غطرستهم وتعنتهم، فإما حياة تسر الصديق، وإما ممات يغيظ العدا، وكما يقول الكاتب الإسرائيلى آرى شبيت فى صحيفة ها آرتس الإسرائيلية (يبدو أننا نواجه أصعب شعب عرفه التاريخ، ولا حل معهم سوى الاعتراف بحقوقهم وإنهاء الاحتلال)، وفوق هذا وذاك ستفشل إسرائيل فى أن تهنأ بالسلام المنقوص، وسيعود الحق الفلسطينى لأصحابه، يقول شاعر المقاومة الفلسطينية الشاعر الكبير محمود درويش:

هذا هو العُرس الذى لا ينتهي
فى ساحة لا ينتهي
فى ليلة لا ينتهي
هذا هو العُرْسُ الفلسطينيُّ
لا يصل الحبيبُ إلى الحبيبْ
إلاّ شهيداً أو شريد
ويمضى الشاعر محمود درويش قائلاً:
دَمهُم أمامى....
لا أراهُ
كأنَّ كل شوارع الوطن اختفتْ فى اللحمِ
وحدهمُ يرون
لأنهمْ يتحررون الآن من جلد الهزيمةِ
والمرايا
هــا هــمُ يتطايرون على ســطوحهم
القديمةِ
كالسنونو والشظايا
ها هُم يتحررون.

حرب المنصات وقبة إلكترونية من نوع خاص

شـــهد العالم منذ أيام قليلة نهاية حلقة جديدة من سلسلة حلقات العدوان الإسرائيلى المتكرر على قطاع غزة، هذه المرة وعلى غير سابقاتها من الحروب انتهت هذه الحرب بعد أحد عشر يوماً بوساطة مصرية فاعلة وقاسمة ومنجزة، تلاها قبول وترحيب أمريكى، أوروبى، إقليمى، ودولى للجهد المبذول من قبل أطراف إقليمية مختلفة بقيادة الجهد المصرى للوصول لهذا الاتفاق الذى دخل حيز التنفيذ وسط ارتياح فلسطينى وفرحة عمت القطاع الذى تنفس الصعداء بعد دمار وحشى طال من الضحايا المدنيين ما لم يصل لحصيلة نهائية إلى حين كتابة هذا النص بسبب عدد الإصابات المرجحة للانضمام لقائمة الضحايا الذين كان أغلبهم من النساء والأطفال.

ميسا جيوسي

حرم سكرتير أول جمـال عطـا

ولعل المطلع عـــلى معطيات الوضع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة يعلم بما لا مجال للشـــك فيه أنه حتماً لن يكون العدوان الأخير فى سلســـلة من حروب شـــنت على القطاع. ففى الأعوام القليلة الماضية وقعت ثـــلاث حروب على قطاع غزة. ففـــى نهاية العام 2008- 2009 شـــنت إسرائيل عدواناً على قطاع غزة عرف حينها بمســـميات كثـــيرة منها «عملية الرصاص المصبوب» كما اصطلح عليها الإسرائيليون وســـمتها المقاومة الفلسطينية «معركة الفرقان» حينذاك. أسفر هذا العدوان الإسرائيلى عن مقتل 1285 فلسطينياً من بينهم 900 مدنى وفقـــاً للإحصائيات الرســـمية لوزارة الصحة الفلسطينية. بينما أعلنت إسرائيل حينها عن مقتل 14 إسرائيلياً ثلاثة فقط منهم من المدنيين. بعدها بثلاثة أعوام فى العام 2012 شنت إسرائيل عدواناً آخر جديداً كانت حصيلته مـــن المدنيين فى الجانب الفلسطينى 174ووفقاً لتقرير لمفوضية شـــئون اللاجئـــين، بينما قتل على الجانب الآخر مـــن الإسرائيليين 4 ضحايا بحســـب الإحصائيات الرسمية المنشـــورة. لم ينقض أكثـــر من عامين لتعود إسرائيـــل لفرض مواجهة جديدة على المشـــهد بعدوان أطلقت عليه اسم «الجـــرف الصامد» فى العـــام 2014 ونعتته كتائب القســـام حينها بمعركة «العصـــف المأكـــول»، أســـفرت هذه المواجهة غير المتكافئة كســـابقاتها عن مقتل 2147 فلسطينياً قابلها 72 قتيلاً من الجانب الإسرائيلى حســـب ما نشر حينها. ما بين كل هذه السنوات استمر الحصـــار الذى تفرضـــه إسرائيل على قطاع غـــزة إلى يومنا هذا، حصار جعل القطـــاع يعرف منذ مـــدة طويلة بأنه السجن الأكبر على وجه الأرض، كما أنه البقعة الأكثر كثافة ســـكانية من حيث المســـاحة التى يقطنها 2،254 مليون نســـمة، حتى نهاية عام 2020، وفق الإحصائية الرسمية الفلسطينية. اليوم وبعد مرور سبعة أعوام من آخر عدوان إسرائيلى على قطاع غزة نشهد من جديد مواجهة اختلفت معطياتها وتبدلت على الأرض، حتـــى مخرجاتها قد يكون لها

أثر فى تغيير المشهد الفلسطينى إن هى تم البناء عليها واســـتغلالها بالشـــكل الأمثل. لكـــن بقيت الخســـائر المدنية الفادحـــة فى الجانب الفلســـطينى هى القاسم المشترك الوحيد ما بين ما مر من حروب وما يشـــهده القطاع اليوم. لكن هذه المواجهة على غير سابقاتها امتازت بزخم لم تنله الحروب التى تعرض لها القطاع ســـابقاً لأسباب كثيرة لعل أولها وأهمها هو السبب الذى انطلقت بسببه نار هـــذه المواجهة. فلقـــد كان تدخل فصائل المقاومة الفلســـطينية فى قطاع غزة ردة فعل لما اقترفته قوات الاحتلال الإسرائيلى بحق المدنيين العزل والمصلين الذين ارتادوا باحات الأقصى للصلاة فى أيام رمضان المبارك وتحديداً فى العشرة الأواخر منه. تزامن هـــذا الاحتقان وما تعرض له حى الشـــيخ جراح وهو أحد أهم أحيـــاء القدس الشرقية من محاولة تهجير للمقدسيين القاطنين فيه لحساب جماعات اســـتيطانية مدعومة بقرارات محاكم إسرائيليـــة منحازة وحماية من الجيش الإسرائيلى لكل الانتهاكات التى يقوم بهـــا المســـتوطنون الإسرائيليون بحق فلســـطينى القدس وممتلكاتهم. ولقد كانت ردة الفعل داخلياً وخارجياً على هذه الانتهاكات قوية لدرجة إعادة القضية الفلسطينية إلى واجهة القضايا الشائكة فى الشرق الأوسط بعد أن دخلت فى ســـبات إثر الضربـــة القاضية التى تلقاهـــا الفلســـطينيون بإعلان ترامب القدس عاصمة لإسرائيل ضارباً عرض الحائـــط كل ما يتعلق بحالـــة المدينة القانونية ووضعها المرهون بحل نهائى للصراع. كما كان للانقسام الفلسطينى الفلســـطينى دور سلبى فى تراجع زخم القضية وفقد القوى الإقليمية والدولية الرغبة فى تحقيق أى إنجاز يذكر بحجة

غياب صـــوت واحد شرعـــى يمكن أن يمثل كافة أطياف الشعب الفلسطينى. أضف إلى هاتين النقطتين تزاحم المنطقة بملفات ثقيلة جداً قللت من أهمية العمل على إيجاد حل للقضية الفلسطينية الذى يعانى مسارها السياسى مع الاحتلال من شـــلل كامل عمره سنوات لا يصب إلا فى مصلحة الاستيطان المستشرس وفرض وقائع عـــلى الأرض تجعـــل من الحل المستحيل أكثر استحالة.

أما فى الأحـــداث الأخيرة فقد احتدت المواجهة بـــين أهالى القـــدس المحتلة وقوات الاحتـــلال وامتد الغضب ليطال مدناً فى الضفة الغربية والداخل المحتل أســـفرت عن أعمال عنف غير مسبوقة لم تشـــهدها إسرائيل لعل أعنفها كان فى مدينـــة اللد التى أعلنـــت فى أكثر من مناسبة كمنطقة عســـكرية مغلقة من قبل قـــوات الاحتـــلال الإسرائيلى. كما امتدت المواجهات لمدن يافا وعكا والرملة وغيرها من المدن المختلطة. فى مشـــهد توحدت فيه كافة الجهود الفلســـطينية نحو هدف واحد وهو التركيز على نصرة أهالى الشيخ جراح والحد من الاعتداءات والاقتحامات المتكررة والاستفزازية من قبل المستوطنين المتطرفين بحماية جيش الاحتلال لباحات المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخـــرة. لم يقـــف قطاع غزة متفرجاً وأصدرت المقاومة إعلاناً تحذر به إسرائيل بأنها ســـترد على الانتهاكات المرتكبة فى الشيخ جراح والمسجد الأقصى، وحينما ضربت إسرائيل بعرض الحائط كافة المناشدات الإقليمية والدولية بالكف عن انتهاكاتها غـــير المقبولة فى القدس بدأت المواجهة التـــى ردت بها فصائل المقاومة بإطلاق صواريخ من غزة لتطال مدن إسرائيل كافة وتشل حركتها بشكل شـــبه كامل وبعمق وكثافة لم تشهدها إسرائيل من قبل. وهنا لن نتطرق بشكل تفصيلى فيما يتعلق بتطورات المواجهة وتأثيرها على الجانبين، لكننا سنركز على الجانب الإلكترونى من هذه الحرب وما جدّ فى الفضاء الافتراضى من مواجهات امتازت عن سابقاتها وأزعجت أعلى سلم القيادة والقرار الإسرائيلى.

وهنا نطرح تســـاؤلاً حـــول ما إذا واجهت إسرائيل مأزق الترويج للرواية الإسرائيلية فى هذه الحرب تحديداً؟

اختلفت أدوات الحـــروب ومقارعة الأعداء باختلاف مراحل التطور البشرى والأدوات التى طوعها الإنســـان لمحاولة الإطاحة بعـــدوه والنيل منه. ففى حين قتل الإنســـان الأول عـــدوه بصخرة أو لاحقاً بســـيف، فنحن اليـــوم فى تطور يمكن أحدهم من قتـــل آلاف من البشر بضغطة صغيرة بطرف إصبع على لوحة تحكم قد تبعـــد آلاف الأميال عن موقع المواجهة. لكننا أيضاً نشـــهد عصراً تعد التكنولوجيا وطفرة التواصل الاجتماعى هى السمة الأبرز له فهذه أيضاً انسحبت لتشمل ميادين المواجهات فى بقع كثيرة حـــول العالم كان قطـــاع غزة من آخر وأهـــم الأمثلة على مكانـــة هذه الأدوات الجديدة فى حســـم الكثير من القضايا وكسب تعاطف دولى من شأنه أن يؤثر فى مســـار الأمور على الأرض. لكن قبل الخوض فى تفاصيل الصراع الأخيرة لابد من الإشارة إلى نقطة شـــديدة الأهمية فى المجتمـــع الإسرائيلى بحيث تشـــهد مساحة الحريات بشـــكل عام وحرية الصحافـــة فى إسرائيل بشـــكل خاص تضييقاً بحســـب المراقبـــين ويمتد هذا ليشمل الصحفيين فى داخل إسرائيل وفى الأراضى الفلسطينية المحتلة، فوفقاً لآخر تقارير منظمة «مراســـلون بلا حدود» (إن الصحفيـــين يواجهون عداء أعضاء الحكومة الإسرائيلية، إضافة إلى «الرقابة العسكرية» وقرارات منع تغطية بعض المسائل، منها ما يتعلّق بالفساد، ناهيك عن إجـــراءات التكميم التـــى تعتمدها دوائر المال والأعمال. من ناحية أخرى، فإنّ حقيقة أوضاع الأراضى الفلسطينية مغيَّبة تماماً فى الصحافـــة الإسرائيلية بســـبب الرقابـــة الذاتيـــة، بينما يجد المراســـلون الأجانب صعوبات فى تجديد اعتماد. هذا وتتـــوالى انتهاكات الجيش الإسرائيلى ضدّ الصحفيين الفلسطينيين خاصّة أثنـــاء تغطيـــة المظاهرات أو المواجهات فى الضفـــة الغربية أو قطاع غزة ... هذا وقد اســـتُهدفت أو أغلقت وســـائل إعلام فلســـطينية عديدة من قبل القوات الإسرائيلية خلال الســـنوات الأخيرة بتهمـــة التحريض على العنف). هذا التقرير كان صادراً فى فترة ما قبل العـــدوان الأخير على الفلســـطينيين فى القدس المحتلة والضفة الغربية وقطاع غزة والداخل الفلسطينى. ولعل العالم شـــاهد لحظة انهيار أحد أبراج مدينة غزة التى تحتوى عـــلى مكاتب وكالات أنباء عالمية غربية وعربية بما فيها مكتب قناة الجزيرة القطرية التى كانت تعمل على تغطية الأحداث بشـــكل مباشر وفى كافة مناطق التماس.

فما الجديد فى المشهد؟

فى هذه الحرب الأخيرة عملت إسرائيل بجهد كعادتها وبكل ما تملك من ترسانة إعلامية مدعومة بأهم وســـائل الإعلام الغربية المؤثرة فى الشعوب بشكل الإعلام التقليـــدى أى الإذاعة والتليفزيون الذى اعتمدت عليه إسرائيـــل فى بث دعايتها قبل النشأة وخلالها وإلى يومنا هذا بأنها تتعرض لكل أشكال الإبادة التى يترأسها الفلسطينيون مدعومين بالعرب وغيرهم من الدول الإسلامية التى تنادى بإنهاء إسرائيل. هذه الدعايـــة تجد لها صدىً كبيراً وتعاطفاً يجعل من أعمال إسرائيل غير المقبولة فى القانون الدولى والمتجاوزة لأبجديـــات حقوق الإنســـان والمواثيق الدولية مقبولة لدى الســـواد الأعظم من الشعوب وصناع القرار فى الغرب. لكن إسرائيل لا تعمل فقـــط على الترويج لما تريده من رســـائل وصورة تظهر بها للعالـــم، لكنها تعمل بشـــكل متواصل

حرب المنصات وقبة الكترونية من نوع خاص

على شـــيطنة الضحية «الفلسطينيين» وإظهارها بمظهر الإرهابى الذى لا يجد أى مجال للتعاطف معه فى دول تنادى بالديمقراطية وتصف نفســـها بحامية الحريات وموطنها.

وفى ذات الاتجاه عملت إسرائيل خلال الحرب الأخيرة على قطاع غزة على الترويج بأن العدوان الذى تشنه على قطاع غزة وما صاحبه من مشاهد مريعة للقتلى من المدنيين وخاصة الأطفال والنساء لم يكن سوى لردع القوة التى تتمتع بها حركة المقاومة الإسلامية حماس فى قطاع غزة والصواريخ التى توجههـــا نحو المدن الإسرائيلية كلما تعرض القطاع لهجوم إسرائيلى. والذى تعلن إسرائيل على لسان مســـئوليها بعد نهايـــة كل عدوان أنها أنجزت هـــذا الهدف وتمكنت من ضرب البنية التحتيـــة للمقاومة، لنجد أن هذا عار من الصحة عندمـــا تدخل المقاومة الفلسطينية اختبار مواجهة آخر وتثبت أنها مازالت قادرة عـــلى ضرب العمق الإسرائيلى بالرغم من تواضع إمكانياتها مقارنة بدولة الاحتلال.

هذه الروايـــة كانت تلقـــى رواجاً كبـــيراً لدى العديد من الـــدول الغربية التى صنفت كثـــيراً منها حركة المقاومة الإســـلامية حماس والتى تسيطر على قطاع غزة حالياً كحركـــة إرهابية وما ترتب على ذلك مـــن مقاطعتها وقبول حصار غزة من قبل الاحتلال الإسرائيلى لكل قاطنـــى غزة بغـــض النظر عن انتمائهم وما ترتب على ذلك من كوارث إنسانية وبيئية يطول ذكرها ويتسع.

لكن هذه المرة تحديداً بدأت الرواية الإسرائيلية بالترويـــج لأن ما يحدث فى الشـــيخ جراح ليس لـــه علاقة بتهجير الســـكان الأصليين أو إكمـــالاً لمشروع التطهـــير العرقى الـــذى تعمل عليه فى كل أرجـــاء القدس محاولـــة إفراغها من المقدســـيين وإحلال المســـتوطنين الإسرائيليين مكانهم. بل وصورت للعالم بأن هـــذا النزاع هو لا يتجاوز نزاعاً على ملكية شـــخصية بين أفـــراد وهو نزاع عقارى ستبت بأمره المحاكم الإسرائيلية. لكن المقدسيين كانوا مستعدين هذه المرة بشـــكل أكثر تنظيماً وبفهم لحقوقهم والأهم من هذا كله بفهم لغة الآخر الذى يخاطبونه. فوجدنا الكثير من الشـــباب المقدسى الذى كان يتحدث لوكالات غربية مهمة طالما دعمت إسرائيل ولاتزال، لكنه كان شـــباباً منظماً يعى تماماً ما يقول وأهمية رسالته المستندة لحقه المكفول بكل الشرائع والمواثيق الدولية. كما وثق المقدسيون نساء ورجالاً وشباباً وأطفالاً كل ما كانوا يتعرضون له من اعتداءات وحشية بالرغم من احتجاجاتهم بشكل ســـلمى وبوجود متضامنين أجانب من قبل قوات الاحتـــلال الإسرائيلى. وغزت مشاهد إطلاق القنابل والرصاص داخل حرم الأقصى المبارك شاشـــات التلفزة بل الأهم أنهـــا اجتاحت مواقع التواصل الاجتماعـــى وأغرقته بأكثر من وســـم كانت تتغير وتعدل بشـــكل سريع وفقاً لتواتـــر الأحداث عـــلى الأرض. وهنا لم يكن بمقـــدور إسرائيل الوقوف فى وجه السيل الجارف من التفاعل عبر منصات التواصل الاجتماعى مـــع الصور التى تصل من قطـــاع غزة جنباً إلى جنب مع تلك التى تصل للعالم من القدس ومدن الضفة والداخل الفلسطينى المحتل. وفى ذات الوقت بدأ الناشطون الفلسطينيون والعـــرب والأجانـــب يلحظـــون بأن تغريداتهـــم وما ينشرونه تحت وســـم القدس أو ذكر لغزة أو فلسطين تحظر وتوقف حســـابات بعضهـــم وتحجب منشوراتهم. مما اســـتدعى بحثاً أكثر ليصل الفلســـطينيون لنتيجة أن موقع فيس بـــوك وانســـتجرام وواتس اب يمنع كل المنشـــورات التى تدعم وتروج لما يحـــدث فى القـــدس والضفة وغزة والداخل الفلســـطينى. وقـــد خاطبت جهات رسمية فلســـطينية إدارة فيس بوك التى ردت عليهم بالقول بأن فيس بوك تحرص أن لا يكون محتوى النشر «يحرض على العنف». لكن النشطاء لم يقفوا عند هذا المنـــع وحاولوا التلاعب بطرق النشر عـــبر هذه المنصات بهدف تجاوز الخوارزميـــات التى تحظر أى منشورات تتعلق بفلسطين. وهنا حدث ما يســـتدعى وقفة جادة مـــن البحث والمساءلة حينما عملت منصات التواصل الاجتماعـــى التـــى لا تخفـــى تحيزها لإسرائيل وخاصة فيســـبوك وواتس اب وانســـتجرام والتى عملـــت على إعاقة المنشورات المتعلقة بالترويج للاعتداءات الإسرائيليـــة على الفلســـطينيين العزل واعتداءات المستوطنين على أهالى الشيخ جـــراح والضفة الغربيـــة والعنف غير المبرر للشرطـــة الإسرائيلية ضد المدنيين الفلسطينيين فى الداخل المحتل.

منصات التواصل الاجتماعى وإسرائيل:

لعل المتتبـــع للعلاقة الجدلية ما بين مواقع التواصل الاجتماعى والدول يعلم أن هناك الكثير من المـــد والجزر بينها وبين الدول لما لها من ســـلطة موازية لم تترك لأجهزة المخابرات والأمن حول العالم مجـــالاً إلا زاحمتها به عن طريق الحصول على قاعـــدة لا حصر لها من البيانات المجانية التـــى قد تكون ذات أهمية كبيرة مـــن النواحى الأمنية لدول العالم كافة. ولعل فيســـبوك من أكثر المواقع جدلية وأشدها ظهوراً فى المشهد حـــين الحديث عن العلاقات الشـــائكة ما بين مؤســـسى هذه المنصات والدول الكبرى.

ولعل المتتبع لهذا الصراع منذ نشأته وقيام دولة إسرائيـــل عام 1948 يعلم قوة وســـطوة الآلة الإعلامية الصهيونية التى تمتلك أهم وسائل الإعلام ومنابره فى الدول المؤثرة ولطالما كانت هى الرسالة المسموعة التى عملت إسرائيل من خلالها على اغتصـــاب الحقوق الفلســـطينية الواحد تلو الآخر مســـتندة إلى تعاطف دولى غربى مســـتند إلى تضليل إعلامى للشـــعوب بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. كما استغلت تعاطف العالم مع ما تعرض له اليهود كغيرهم من جنسيات أخرى للسياسات النازية فى ألمانيا، فكان العزف على وتر المحرقة هو النغمة التى سمعها العالم ودعم إسرائيل بكل ما أوتى من قوة مرتكزاً على الفهم الإسرائيلى للروايـــة. هذا كان ممكناً منذ عشرة أو عشرين عاماً، لكن اليوم ونحن نعيش فى عصر من التكنولوجيا وضعت العالم فى كف كل واحد منا بضغطة على شاشة هاتف ذكى أو لوحة تحكم بتلفاز يعرض لك آلاف وجهات النظر ويجعلك ترى وتسمع أكثر مما كان متاحاً فى أى وقت مضى. فهل سيغير هذا من المشهد ويجعـــل العالم يرى بعضاً من الحقوق الفلسطينية المســـلوبة؟ أم أنه سيستمر بغض النظر عمـــا تقوم به إسرائيل ولا يلقى لحقوق الفلسطينيين بالاً؟ وحده الوقت كفيل بالإجابة على هذا التساؤل.

احتفل الأزهر والفاتيكان وقيادات دينية وسياسية فى 4 فبراير 2021 باليوم الدولى (للأخوة الإنسانية)

حدث عالمى تاريخى، يستهدف التآخى والسلام ووقف الحروب ونشر التسامح والوئام ونبذ التعصب والكراهية وسياسات القوة والاستعلاء، وهى قيم إنسانية مهمة، لعل المجتمع الدولى شرقه وغربه يحتاج إليها، أكثر من أى وقت مضى.

عادل عبدالصمد
adelabdelsamed@yahoo.com

وأصبحت تلك الدعوة السامية الأمل المنشود للمجتمع الدولى، وأن يكون يوم (الرابع من فبراير) من كل عام، جرس إنذار وتنبيه، يوقظ العالم وينبه قادته، ويلفت أنظارهم إلى ضرورة ترسيخ مبادئ الأخوة الإنسانية.

ولم يمر إلا شهران وتتنكر الصهيونية لهذه الدعوة الإنسانية، وتعتدى على أهالينا فى حى الشيخ جراح والمسجد الأقصى وغزة، وتواصل اعتداءات متواصلة على النساء والأطفال والشيوخ وتحطم وتدمر أحياء كاملة، بدا من خلالها التجبر والتعجرف والظلم، مدعوماً بقوى غاشمة لها تاريخها فى اغتصاب وسرقة شعوب آمنة فى أوطانها.

صورة شاذة لاغتصاب حقوق الأبرياء العزل، بلطجة دولية معتمدة على الغرب الذى زرعها ويستمر فى تحصينها، ويشهد العالم تلك الجريمة الكبرى، ويلتزم الصمت الرهيب، فلا صوت للمفوضية السامية لحقوق الإنسان، أو هيومان رايتس ومثيلاتها، الذين يحملون لافتات الدفاع عن حقوق الإنسان، هذه المنظمات الداعمة للأباطيل، تاريخها مسموم، وملوث بدم الأبرياء.

وما يحدث على أرض فلسطين المغتصبة، وما يتحمله الفلسطينيون من فظائع وأهوال على يد العصابات الصهيونية، يجعلنا ننبش فى ذاكرة التاريخ، ومن الطبيعى أن أحداث غزة تجعلنا نشحن عقول شبابنا والعالم، بمآسى المستعمر الذى وهب أرض فلسطين لهؤلاء المغتصبين الوارثين لسياسة أسيادهم الذين زرعوهم فى منطقتنا ليكونوا خناجر مسمومة فى حياة العرب على مر التاريخ إلى أن يأذن الله عز وجل فى الخلاص منهم، فالصهيونية شر خلف لشر سلف وهم

الإنجليز.

والسرد التاريخى لسياسة المستعمر الغاشم المغتصب، يؤكد أن عمليات الإبادة والحرق والتخريب وتدمير المدن والقرى والتشويه والتعذيب وقتل النساء والأطفال، ليست وليدة اليوم بل هى ميراث الإنجليز الذين صالوا فى الشرق واحتلوا واغتصبوا بلاده ونهبوا ثرواته ومهدوا الطريق للصهاينة ودربوهم على طرق الإبادة الفردية والجماعية، لكل ما هو معنوى ومادى أو إنسانى يحمل اسم فلسطين.

ويحضرنى هنا ما قرأته فى كتاب معنون (حرب قذرة) سجل تلك الأساليب الاستعمارية البشعة، على يد المحتل المغتصب للأوطان، فقدم الكاتب الأسترالى، الذى ينتسب للجيل الثانى من المستوطنين الإنجليز لجزيرة تسمانيا بأستراليا، كتابه الذى يجسد سياسة المستعمر غير الدامية، (حرب قذرة) ترجمة حسن فؤاد الأهوانى، ويتضمن الكتاب قصة إبادة السكان الأصليين لجزيرة تسمانيا.

لقد توفرت للكاتب كل عناصر الاطلاع على مأساة شعب قديم عريق، كانت كل جريمته أنه يعيش فى سلام على جزيرته، التى كانت معزولة عن العالم.

فى بداية القرن التاسع عشر احتلت الإمبراطورية البريطانية جزيرة (تسمانيا) ونتج عن هذا الاحتلال إبادة الجنس التسمانى، كلهم ماتوا واحداً وراء الآخر، البعض أطلق عليه الرصاص، والبعض الآخر هشمت رؤوسهم، بمؤخرات البنادق، وآخرون أصيبوا بالأمراض والأوبئة والاغتصاب، أعجزوا جنسياً، جلدوا، ألقوا بهم فى النار وهم أحياء.

بدأت العملية الوحشية فى العقد الأول لاستيطان البيض أرض (فان ديمين) تسمانيا حالياً، وخلال خمسة وسبعين عاماً جزر مجتمع كامل، من قبل نظام لا يرحم، والآن تحدث تلك الحرب القذرة مع شعب فلسطين الأعزل فى عصر تتعالى فيه الصيحات بحقوق الإنسان وبإدانة العنصرية والدعوات والمبادرات بمجتمع الإنسانية.

نرى شعباً بريئاً تحاول الصهيونية إبادته، بكل الوسائل السابقة والتى أدانها المجتمع الدولى، نرى قتل وتشريد وطرد وتعذيب أبرياء عزل، كل مشكلتهم أنهم يدافعون عن وطنهم المسلوب، وتتنكر الصهيونية للقوانين الدولية وتعمل ليل نهار على الإبادة الشرسة للفلسطينيين .

وليس غريباً على سياسة الغرب المستعمر، أن يكيل الحقوق بمكيالين أو أكثر، فهو القوة الغاشمة، تفرض ما تراه لمصلحتها وتدعى بأنها تعمل لخير البشرية، وهم فى الحقيقة مصدر التدمير والتخريب فى الشرق، ومن عجب العجاب، أن نقرأ ما يردده بعض المغرضين قديماً وحديثاً، من هنا وهناك، أن الحضارة السامية ملك للغرب، وأنها مصدر الحضارات الرحيمة، والشرق موطن حضارة القسوة، ولكن وقائع التاريخ وسجلاته الحقيقية، خير شاهد على عنصرية الغرب.

وفى الحقيقة أن الرحمة والقسوة صفتان، إنسانيتان، تحملهما حضارات العالم شرقاً وغرباً، ويروى تاريخ البشرية، أنه عندما تتوافر الظروف المختلفة، من ثقافة وتعليم واحترام للقانون، تتولد الرحمة، وعندما تنعدم هذه العناصر، ويتمسك الإنسان بطبيعته البدائية، وتتملكه عنصريته وأغراضه الشريرة، فى تحقيق زعامة تتارية ولاستغلال شعوب بريئة تفرض القوة الغاشمة وتتجسد سياسة التدمير والخراب.

لا يمكن تزوير حقائق عاشتها البشرية على مر العصور، فهناك حضارات شيدت على دماء الأبرياء وحضارات أضاءت الدنيا بنور المعارف والثقافات، وخير مثال على هذا، أن هناك حضارات ازدهرت قبل الميلاد بحوالى خمسمائة سنة تقريباً فى (أثينا) حضارة احترمت العقل وحرية الإنسان والقانون وقامت على الرحمة، وعلى العكس نشأت فى اليونان أيضاً حضارة أوروبية شاذة، قامت على القسوة والعنف وانعدام الرحمة وهى حضارة إسبارطة وهى حضارة معاصرة لحضارة أثينا وهى حضارة كانت مصدر إلهام للنازيين

فى ألمانيا والفاشـــيين فى إيطاليا فى النصف الأول من القرن العشرين.

وقد وضع دستور تلك الحضارة العنيفة طاغية إســـبارطة (ليقورع) هذا الدســـتور أخرج إسبارطة من تاريخ الحضارة، حيـــث كان يكره الفنون ويســـعى لأن يجعل من كل إسبارطى جندياً، مستعداً على الدوام للقتـــال العنيف، وعلى الشـــباب أن يلعبـــوا وهم عراة تمامـــاً أمام أعين الكبـــار لاختبار قوتهم وقســـوتهم، وكان يقر بضرب الشـــباب وجلدهم

حتى تســـيل دماؤهم ويحرمهم من الاســـتحمام حتى لا تلين أجسامهم، وينامـــون صيفاً وشـــتاء فى العراء، ويرفض تعليم الأطفال، وهذه صورة لقســـوة حضارة أوروبيـــة يؤيدها المؤرخ الأمريكـــى (ول ديورانت) فى كتابه (قصة الحضارة) الجزء الأول من المجلـــد الثانى ترجمـــة محمد بدران، ولكن وقائع التاريخ أكدت أن الإرهاب لـــم يكن مصدره الشرق كما ادعى البعض من أنصار الاســـتعمار مثل الشـــاعر الإنجليـــزى (روديار كيلنج) صاحـــب مقولة الشرق شرق والغرب غرب وهما لا يلتقيان، حيث كان يؤمن بأن الشرق موطن القسوة وكان يرى أن على الغرب أن يفرض ســـطوته وســـيادته على الشرق، لأن الغرب متحضر، ولكن وقائع التاريخ أثبتت عكس ذلـــك وأن الغرب كان ولايـــزال يفرض عنصريتـــه وعنفه بل هو الذى يصدر الإرهاب المســـلح للشرق بكل أدوات العصر.

وهنا يجب علينـــا أن نقرأ تاريخ الغـــرب وجرائم المســـتعمر بوعى، ولننظر حولنا فى هذا الشرق المظلوم وخاصة فى منطقتنـــا العربية، لنرى مـــا يؤكد رؤى ظالمـــة لوطننا، الذى تحاصره أطمـــاع المســـتعمر الذى يدعـــى الاســـتنارة والمحافظة على حقـــوق الإنســـان، وهـــو فى الواقع يعمل بقـــوة على تقزيم عقول الشرق وسلب ثرواته، ولابد أن نذكر شبابنا بإمبراطوريـــة إســـبارطة وقوتها وعنفها وكانت أســـطورة فى قسوتها وكيـــف انتهت أســـطورتها الكاذبة وانتهى معها أيضاً كل المتغطرسين، والذين يتبنون سياســـات العنف فى العالم، وسيأتى اليوم الذى ستنتهى أسطورة إسبارطة الحديثة، وسيمحو التاريخ أثرهـــا ولا يبقى فى صحائف التاريخ إلا سيرتها المذمومة ويضعها التاريـــخ خارج حضارة الإنســـانية وإنشاء الله ليس ببعيد.

الاقتصاد السياسى لأزمة فيروس «كورونا» وتداعياتها

أكثر من عام ونصف مر على ظهور الحالات الأولى لفيروس «كورونا المستجد» المعروف طبياً وإعلامياً على الصعيد العالمى أيضاً باسم «كوفيد 19»، بداية بالصين الشعبية ومنها انتشر إلى جميع أرجاء الأرض بلا اعتراف بأى حدود فيما بين الدول والقارات والأقاليم، ولا تزال تداعيات تلك المحنة العالمية تظهر الواحدة تلو الأخرى، كما تتبدى بمرور الوقت المزيد من الآثار التى نتجت عن هذا الوباء سريع الانتشار وعميق التأثير على البشرية بأسرها، كذلك مر الفيروس نفسه بتحولات وظهرت أنواع جديدة متحورة منه فى مختلف قارات العالم القديم والجديد، وكأنها جاءت لتذكرنا بأن الوباء لم يفرق بين دول فقيرة أو غنية كما لم يفرق بين أعراق وألوان ولغات وأديان وعقائد البشر أينما وجدوا.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

إلا أنه من المؤكد أن التأثيرات الأبرز البادية بوضوح للعيان، على الأقل حتى هذه اللحظة، لفيروس «كوفيد 19» هى تلك الصحية والاقتصادية، أو قد يقول البعض «بل الاقتصادية والصحية»، وتبدو العلاقة الجدلية بين هاتين الفئتين من النتائج هى الأكثر تأثيراً على الصعيد العالمى بأسره، ويمكننا القول، وفى ضوء الكثير من الدراسات والبحوث ذات الطابع العلمى والموضوعى التى جرت على مدار العام المنصرم، أن الفارق فيما بين البلدان المتقدمة من جهة وتلك البازغة أو النامية أو الأقل نمواً من جهة أخرى أنه لدى البلدان المتقدمة كانت الأولوية لتناول النتائج الصحية والسعى للتصدى لها ومعالجتها، ولو على حساب مؤشرات الأداء الاقتصادى، بينما كانت الأولوية لدى بلدان الاقتصاديات البازغة والنامية والأقل نمواً هى العمل بكل السبل للحد من الآثار الاقتصادية السلبية للأزمة المنبثقة عن انتشار الفيروس، بينما أتت الاعتبارات الصحية فى المقام الثانى لتلك البلدان، أو على الأقل الغالبية العظمى منها، وقد تجلى ذلك فى تعدد مرات الإغلاق للنشاط الاقتصادى والاجتماعى، بل ولغالبية أوجه الحياة اليومية، من جانب غالبية البلدان المتقدمة وامتداد الفترات الزمنية لتلك المرات، فى مقابل اقتصار مرات الإغلاق على واحدة أو على الأكثر اثنتين وقصر فترات تلك المرات.

وتزداد أهمية محاولة قراءة ودراسة الاقتصاد السياسى لأزمة فيروس «كوفيد 19» وتداعياتها فى المرحلة الحالية، أى مرحلة ما بعد اكتشاف عدد من اللقاحات التى يفترض أنها تمنح مناعة ضد الإصابة بالفيروس، حيث إنه حتى تلك اللحظة فإن الدول المنتجة للقاحات تنقسم إلى دول غربية بالإضافة إلى روسيا والصين، أى بعيداً عن العالم النامى، إلا إذا ما كان البعض لا يزال يعتبر الصين ضمن معسكر البلدان النامية، ومع الإدراك أن بعض الدول النامية التى «تدعى» تصنيع اللقاحات كل ما تحاول أن تقوم به هو الحصول على رخص من البلدان المنتجة للقاحات تمكنها من تعبئة أعداد منها، وربما هذه الحقيقة هى التى دفعت مدير عام منظمة الصحة العالمية إلى الحديث، فى خطابه الافتتاحى لدورة الجمعية العامة للمنظمة فى 24 مايو 2021، عن «فضيحة التوزيع غير العادل للقاحات على الصعيد العالمى»، فى ظل المعدلات المرتفعة للاستهلاك فى البلدان المتقدمة ومحدودية حجم الإنتاج حتى الآن من جانب الشركات المنتجة للقاحات بما لا يتناسب مع الاحتياجات العالمية، وبما يرتبط فقط بالقدرة الشرائية للدول. والواقع أن ذلك الغضب الذى عبّر عنه مدير عام منظمة الصحة العالمية كان قد عبّر عنه قبل ذلك بأيام قليلة أمين عام الأمم المتحدة «أنطونيو جوتيريس»، والذى كان قد أعرب عن قلقه من استحواذ الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على نسبة مرتفعة مما تم إنتاجه من اللقاحات بما يفوق نسبة سكان الدولتين ضمن إجمالى سكان العالم، مشيراً إلى أن ذلك يعكس التفاوت الكبير بين استفادة سكان البلدان المتقدمة من اللقاحات المنتجة مقابل محدودية استفادة بقية شعوب العالم منها حتى الآن.

إلا أن جذور الاقتصاد السياسى لأزمة فيروس «كورونا المستجد» وتداعياتها على الصعيد العالمى هى أعمق وأبعد أثراً بكثير من تطورات الشهور الأخيرة المتعلقة باكتشاف اللقاحات ثم إنتاجها ثم تسويقها من جهة واستيرادها وتوزيعها من جهة أخرى، فهى تعود إلى الأشهر الأولى من ظهور الأزمة وبدء المراحل الأولى لانتشار الفيروس، وكان له، ولا يزال، أبعاد متنوعة وجوانب مختلفة.

فعلى الصعيد الداخلى لبلدان العالم المختلفة، تفاوتت الاستجابات وتعددت إستراتيجيات التعامل مع الفيروس الجديد وما نتج عنه من أزمات، فعلى سبيل المثال فقد شهدت بدايات الأزمة مقاومة اتسمت بالحدة والشدة وسعياً حثيثاً لإنكار وجود وباء أو أزمة أصلاً من جانب عدد من زعامات وحكومات اليمين، خاصة فى العديد من البلدان الكبرى والمؤثرة، سواء فى الغرب أو قارات العالم الثالث، وشمل ذلك على سبيل المثال لا الحصر بلداناً بحجم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والبرازيل، واستغرق الأمر بعض الوقت، بل ربما فى تقدير البعض الكثير من الوقت، حتى اعترفت بعض تلك القوى والقيادات، وليس كلها، بعد فترة زمنية ممتدة، وبعد تفشى الوباء فى بلدانها والتزايد المطرد والمذهل فى أعداد المصابين والمتوفين بها، وإصابة بعض تلك القيادات ذاتها بالفيروس اللعين، بخطورة الوباء وتداعياته، وذلك بعد إدراك نتائجه الوخيمة، سواء على أوضاع الصحة العامة لمواطنيها أو على صعيد حالة الاقتصاد الوطنى وعافيته العامة.

وقد توقع البعض أن يكون تصدى وقوة احتمال ودرجة مناعة ومدى مقاومة البلدان للفيروس وانتشاره مرتبطاً بشكل عضوى ووثيق بصلابة البنية التحتية للمنظومة الصحية فى كل دولة ومجتمع، إلا أن التطورات الفعلية أثبتت وجود تباينات فى تلك الحالات، نتج أغلبها عن حقيقة أن ضعف تقدير بعض الأطراف من حكومات ومنظمات دولية وإقليمية بل ومن أجهزة وطنية طبية، لمخاطر الفيروس وما صاحبه وما أدى إليه من تحديات إضافية أدى إلى قدر كبير من التفاوت فى سرعة التعامل الجدى مع الفيروس ومخاطره وآثاره، سواء

الصحية أو الاقتصادية أو النفسية أو غير ذلك، وبالتالى فإن بعض الدول التى سبق التوقع أن تكون أقدر على مجابهة التحدى وتداعياته، بسبب قوة البنية التحتية لنظام الرعاية الطبية بها، كان تأخرها أو قلة جديتها فى التعامل مع الفيروس وما أفرزه من وباء متفش عبر العالم مؤدياً إلى تصاعد متعاظم فى الآثار الصحية والاقتصادية الكارثية التى نتجت عنه.

وبناء على هذا التفاوت، فإننا نجد على سبيل المثال أن القوة التقليدية لنظام التأمين الصحى الشامل الموجود فى دولة مثل حالة المملكة المتحدة وصلابة بنيته التحتية، والذى هو فى حقيقته جزء من إرث حكومات يسارية سابقة جاءت تاريخياً من حزب العمال، برغم محاولات تعرض إليها ذلك النظام بشكل متكرر لتقليصه، بل وأحياناً خصخصته، من جانب حكومات اليمين المتعاقبة، خاصة منذ زمن رئيسة الوزراء الراحلة زعيمة حزب المحافظين «مارجريت تاتشر» فى السنوات الأخيرة لعقد السبعينيات من القرن العشرين، بدأت توجد فارقاً فقط، وبكفاءة منقطعة النظير، بعد مرور ما يربو على عام من ظهور الفيروس وانتشاره فى القارة العجوز، فى مرحلة حملات التطعيم الواسعة للمواطنين والمقيمين على أراضيها، والتى حققت نجاحاً كبيراً من حيث الأعداد التى خضعت للتطعيم من جهة ومن حيث التغطية الجغرافية الواسعة للمناطق والأقاليم المختلفة داخل البلاد من جهة ثانية ومن حيث المعدلات السريعة التى تمت، ولا تزال تتم، بها تلك الحملات من جهة ثالثة.

إلا أن أحد العناصر الحاكمة لمسألة اتخاذ قرارات الإغلاق من جانب الحكومات فى مختلف بلدان العالم، سواء فى مواجهة الموجة الأولى من انتشار الفيروس أو فى الموجتين اللاحقتين حتى الآن، كان هو العامل الخاص بمدى قدرة الدولة وتمكنها من توفير سبل الدعم الاقتصادى لكل من المؤسسات والمواطنين على حد سواء، وذلك بهدف محاولة تعويضهم، ولو جزئياً، عن الخسائر التى تنتج عن قرارات الإغلاق وتنعكس على مصادر الدخل للأفراد أو الأرباح للمؤسسات والشركات، وارتباط ذلك أيضاً بالفلسفة الاقتصادية والاجتماعية للدولة، بالإضافة إلى درجة قوة بنيتها الاقتصادية ومقدار تقدمها الاقتصادى والاجتماعى. وبالتالى وجدنا دولاً ذات اقتصاديات متوسطة فى حجمها وقوتها فى أوروبا، ولكنها أصرت على تقديم قدر من الدعم الاقتصادى للأفراد والمؤسسات التى تأثرت سلباً بسياسات الإغلاق، كما أقدمت حكوماتها باتخاذ قرارات بهذا الإغلاق أكثر من مرة على مدار الشهور الطويلة للأزمة الناتجة عن الوباء، واستمرار الإغلاق كل مرة لفترات زمنية ممتدة، بالرغم من أن النظم الاقتصادية والاجتماعية فى تلك البلدان هى نظم تصنف بشكل عام ضمن إطار النظم الرأسمالية، إلا أن تلك المواقف من جانب حكوماتها جاءت مدفوعة فى الأساس من إرث تاريخى منذ القرن العشرين فى القارة العجوز ألقى على الدولة مسئوليات اجتماعية تجاه المواطنين بشكل عام لاعتبارات مجتمعية وإنسانية، كما أن الطبيعة الرأسمالية لتلك النظم أوجبت عليها أيضاً التدخل لحماية الأطراف الاقتصادية الفاعلة من القطاع الخاص من الإفلاس أو الانهيار، بالإضافة إلى حرصها كدولة مسئولة عن مواطنيها عن حماية العاملين والموظفين الذين يعملون فى تلك المؤسسات من التعرض لمخاطر البطالة وما يترتب على ذلك من نتائج كارثية سوف تقع لهم ولأسرهم ومَن يعولونهم من جراء إفلاس أو انهيار تلك المؤسسات.

ومن الصحيح أن قدرات تلك الدول، خاصة تلك ذات الاقتصاديات المتوسطة، على مواصلة تقديم الدعم المالى للأفراد من مواطنيها والمقيمين على أراضيها وللمؤسسات المسجلة والعاملة فى اقتصادها، قد تراجعت بدرجات متفاوتة بعد فترات الإغلاق الأولى التى استنزفت الكثير من الموارد المالية من الميزانيات العامة لتلك البلدان، إلا أن هذا لم يثنها عن العودة إلى تبنى سياسات الإغلاق مجدداً، وربما لأكثر من مرة، بعد ذلك عندما عاد خطر الانتشار الواسع للفيروس ليطل برأسه من جديد على أوضاع الصحة العامة لمواطنيها وللمقيمين على أراضيها، وسعت تلك الدول لتدبير موارد إضافية وللتفاوض مع المجالس النيابية والتمثيلية بها للحصول على اعتمادات جديدة وللبحث عن مصادر تمويل مستجدة لمحاولة سد ولو جزء من الفجوة التمويلية المطلوبة لتقديم ذلك الدعم للأفراد وتلك التعويضات للمشروعات الاقتصادية المختلفة بهدف العمل على تحييد، قدر الممكن والمتاح، التأثيرات السلبية لسياسات الإغلاق على هؤلاء الأفراد من المواطنين والمقيمين وعلى الأطراف الاقتصادية الفاعلة المسجلة فى الدولة أو العاملة فيها، وظل الاعتبار الحاكم لتلك السياسات، سواء على الصعيد الرسمى والخطاب الإعلامى المعلن أو، فى الغالبية الكبرى من الحالات على الصعيد الفعلى أيضاً، هو منح الأولوية المطلقة والأولى لمسئولية الدولة فى الانتباه لواجبها فى حماية الصحة العامة للمواطنين وللمقيمين وللمجتمع بشكل عام، ولو على حساب الاعتبارات الاقتصادية.

ومن الجدير بالنظر أن هذه الأولوية كانت تنطلق دائماً من أرضية أن أزمة فيروس «كورونا المستجد» وتداعياته هى قصيرة المدى بحسابات الأوطان وتقديرات الأمم وتاريخ الشعوب، إلا أن الاعتبار المتساوى فى الأهمية، وإن لم يكن هو الأهم، والذى ربما لم يدركه البعض، فهو أن هذا الخيار من جانب حكومات تلك الدول كان يراهن أيضاً على المدى المتوسط والطويل على أن تردى أوضاع الصحة العامة فى المجتمع ومعدلات التضاعف الهندسى لأعداد المصابين، ومن ثم المتوفين، سيؤدى بلا شك إلى انعكاسات شديدة السلبية على الأوضاع الاقتصادية على الصعيد الوطنى بشكل بنيوى وبما ينبئ بنتائج كارثية على المدى المتوسط والبعيد، خاصة وأن غالبية تلك البلدان كانت تعانى وتشكو من قبل ظهور الأزمات المتصلة بفيروس «كورونا المستجد» أصلاً من جراء انخفاض عدد السكان بشكل سنوى ومنتظم بسبب تراجع معدلات الزيادة الطبيعية لانخفاض أعداد المواليد مقابل ارتفاع متوسط العمر للأحياء بسبب ما طرأ بشكل مستمر من تحسن على

الاقتصاد السياسى لأزمة فيروس «كورونا» وتداعياتها

ظروف وإمكانيات الرعاية الصحية والتقدم العلمى والبحثى والتكنولوجى فيما يتعلق بكل من تشخيص الأمراض وتوفير العلاج لها وارتباط ذلك بالتقدم الكبير الحاصل فى ميدان أنشطة البحث والتطوير الخاصة بصناعة الأدوية.

وكانت تلك الدول تلجأ إلى سياسات متساهلة نسبياً تجاه الهجرة أو اللجوء من خارجها بغرض تعويض نقص الأيدى العاملة على مدى المستقبل المنظور، إلا أن ذلك كان، ولا يزال، يثير إشكاليات داخلية، بل وينذر أحياناً بتوترات اجتماعية، بسبب التباين الثقافى الواضح بين القادمين إليها من مهاجرين ولاجئين، وبين من هو من مواطنيها أو من مقيمين من أزمنة طويلة مضت، حتى ولو جاءت تلك الموجات من الهجرة واللجوء من دول بها قدر من التشابه معها تاريخياً وثقافياً، ناهيكم عما إذا جاءت من خلفيات مختلفة بشكل جذرى ودراماتيكى من الناحيتين الثقافية والاجتماعية. وعندما لاحت فى الأفق أمام أعين حكومات تلك البلدان الهواجس المتصلة بتوقع المخاطر الجمة التى قد تترتب على زيادة أعداد المصابين بالفيروس اللعين والمتوفين من جراء تلك الإصابة، بما قد يضيف لما هو جار أصلاً من تراجع فى معدلات السكان، بدا الأمر مستحقاً، حتى من منطلق الاعتبارات الاقتصادية البحتة على الصعيد المستقبلى، جديراً بالاستثمار فى رأس المال البشرى الوطنى على أرضية الحفاظ على الثروة الوطنية من الموارد البشرية وعدم التفريط فيها من خلال حمايتها قدر المستطاع من مخاطر المرض والموت.

ويضاف إلى ذلك طرح موجود أصلاً فى النسخ المحدثة والمنقحة فى القرن العشرين من النظام الرأسمالى، والتى ترى أنه على الحكومات تقع مسئولية توفير حماية للصحة العامة للمواطنين عبر النظر إلى هؤلاء ليس فقط كبشر أو مواطنين، ولكن أيضاً على خلفية أنهم أيدى عاملة فعلية أو محتملة فى سوق العمل الوطنى، وبالتالى فإبقاؤهم فى حالة صحية جيدة هو واجب على الدولة توفيره وضمان تواجده، لسبب اقتصادى بحت وهو استمرارية عطاء تلك الأيدى العاملة، على الأقل بنفس القدر من الكفاءة والفعالية، من خلال إسهامها بالعمل فى الاقتصاد الوطنى، أى أن الرعاية الصحية للأفراد المندرجين ضمن القوى العاملة فى سوق العمل الوطنى هى شرط لحسن أداء النظام الاقتصادى، ومن ثم لمضاعفة القيمة المضافة الناتجة عن ما يؤديه هؤلاء من عمل فى ظل سعى النظام الرأسمالى لتعظيم العملية التراكمية المستمرة لأرباحه.

ويتعين علينا هنا أن نذكر أنه ضمن ما تم طرحه من مآخذ على عدم اهتمام بعض حكومات البلدان الغربية بمكافحة الفيروس فى الفترات الأولى من بدايات مراحل انتشاره اعتقاد بعض الحكومات اليمينية عبر العالم، بما فى ذلك فى بلدان رأسمالية غربية متقدمة، أنه يصيب فقط كبار السن أو المصابين أصلاً بأمراض مزمنة، ومن ثمّ، وبحسب أصحاب هذا الرأى والتفسير، فقد جاء التقاعس عن حشد الطاقات والموارد لمواجهة خطر الفيروس على قاعدة اقتناع بأن الفيروس قد يساعد تلك البلدان على التخلص من أعداد من المسنين الذين يمثلون بشكل متزايد عبئاً على المجتمع من الناحية الاقتصادية ولا يمثلون أية قيمة مضافة منتجة للنشاط الاقتصادى. وبالطبع هذا الطرح الذى تقدم لا توجد عليه أدلة موثقة ولم يتم التحقق منه وإنما هى اجتهادات وتأويلات فى التفسير، من الصعب أن نستبعد كونها لا تخلو فى العديد من الأحيان من التأثر بأطياف انحيازات أيديولوجية مسبقة أحياناً وتصفية حسابات سياسية محلية أو وطنية أو إقليمية أو حتى دولية أحياناً أخرى، كما لم تذكر هذه الاعتبارات بالطبع الحكومات التى تعرضت لتلك الاتهامات، بل إن بعضها نفاها صراحة أو ضمناً، ولكن كان من المتعين علينا أن نذكرها فى سياق سعينا لاستكمال جوانب الصورة قدر المستطاع أمام أعين القارئ الكريم فيما يخص موضوعنا هنا، وذلك من منطلق الحرص على موضوعية المنهج وحيادية العرض.

وقد بدأ التشاور الدولى مبكراً نسبياً، خاصة بطلب من جانب البلدان النامية وتلك الأقل نمواً، بشأن كيفية التعامل مع وضعية التعاون الدولى للتوصل إلى لقاح، أو أكثر، حيث كان من المستهدف آنذاك فى المقام الأول، خاصة من جانب البلدان الأقل تقدماً فى هذا المضمار، التوصل إلى ترتيبات جماعية وتعاونية على الصعيد المتعدد الأطراف بغرض التأكد من أن محصلة ما سوف ينتج عن هذا الجهد الجماعى سوف يكون فى متناول يد كافة حكومات دول العالم، أو سيتم منح البلدان النامية وتلك الأقل نمواً فيه شكلاً من أشكال المعاملة التفضيلية، وسيخرج فى موعد زمنى قريب وسوف يتم إنتاج كميات ضخمة منه وضخها فى أسواق مختلف بلدان العالم بحيث تكون كافية لتلبية متطلبات البشر عبر أرجاء المعمورة أينما وجدوا وفى أية فئة عمرية كانوا ولأية طبقة اقتصادية واجتماعية انتموا، وأنه سيتم توزيعه وفق معايير متفق عليها مسبقاً تتصف بالعدالة والتوازن والإنصاف، كما أنه سوف يعكس مشاركة كافة بلدان العالم، أو على الأقل عدد كبير منها متنوع الهوية والانتماء الجغرافى والمستوى الاقتصادى والاجتماعى، بمدخلاتها من أنشطة البحث والتطوير ومن خلال علمائها وباحثيها فى التوصل إلى اللقاح، أو اللقاحات، المرتقبة والمأمول التوصل إليها.

إلا أنه خلال تلك المشاورات والسجالات والحوارات والمحاولات، والتى تواصلت لفترة زمنية مطولة ولكنها لم تصل إلى نتائج ملموسة متفق عليها دولياً كما كان مرجواً من جانب الكثير من بلدان العالم، وبلدان العالم الثالث على وجه الخصوص، كانت الشركات والمؤسسات الخاصة، فى البلدان الأكثر تقدماً فى مجال أبحاث اكتشاف وتطوير الأمصال واللقاحات، تسرع الخطى، سواء بشكل فردى أو فى إطار شراكات مع مؤسسات أخرى من نفس الجنسية أو من جنسيات أخرى، ولكنها كانت جميعاً من بلدان متقدمة فى مجال البحث العلمى التطبيقى المرتبط بتطوير الأمصال واللقاحات، فى سياق شراكات عبر وطنية لإنتاج لقاحات أكثر كفاءة وبصورة أكثر سرعة لكسب زمام المبادرة فى مجال إنتاج اللقاح المنشود، وبحيث يكون لها السبق على الصعيد العالمى بما يترجم إلى مكاسب ضخمة من الناحية الاقتصادية من خلال مسعى إلى احتكار، ولو على الأقل فى المراحل الأولى، جزء كبير من السوق العالمى، إن لم يكن الجزء الأكبر منه أو حتى كله، وفى بعض البلدان التى لا تتبع بشكل كامل آليات السوق وعوامل العرض والطلب كانت تحظى المؤسسات الكبرى المتخصصة فى بحوث إنتاج اللقاحات فيها إلى أشكال مختلفة من الدعم من جانب الجهات الحكومية ببلدانها، ولكن الهدف كان واحداً فى التنافس بين هذه المؤسسات أو تلك وهو إسراع الخطى للوصول إلى إنتاج المصل المنتظر والمطلوب عالمياً لجنى أكبر المكاسب الممكنة فى أسرع التوقيتات العاجلة.

وإذا كان العالم قد وصل إلى مرحلة التطعيم باللقاحات التى تم إنتاجها، فإن هناك تساؤلاً مهماً عاد إلى الواجهة مرة أخرى، بعد شهور طويلة من ظهوره للمرة الأولى، وفى وقت تصور فيه البعض أنه سيتوارى ولن يكون موضع اهتمام من أحد، وأقصد هنا سؤال: من أين جاء هذا الفيروس؟ وهل نشأ نشأة طبيعية أم تم تخليقه فى أحد معامل التجارب؟ وإذا كانت الإجابة هى الثانية، فالتساؤل الذى يترتب تلقائياً على إجابة السؤال الأول هو، من قام بتخليقه؟ وهل تم تعمد تسريبه من المعمل الذى أنتجه أم تسرب عن طريق الخطأ؟ وإذا كانت الإجابة هى الأولى، فمن هو الجهاز أو المؤسسة أو الدولة التى تقف وراء ذلك ولأى

غرض؟ وجاءت مناسبة تجدد هذا الجدل بعد طلب الرئيس الأمريكى الديمقراطى الجديد «جو بايدن» من المخابرات المركزية الأمريكية التحقيق فى أصل «فيروس كورونا» وكيفية انتشاره، وما أدى إليه ذلك من اتهامات من جانب الصين بأن هذا الأمر له دوافع سياسية، وما عقّب به الكثير من المعلقين والمحللين على هذا التلاسن بأنه يعكس فى حقيقة الأمر استمرار، وربما تصاعد، الحرب الاقتصادية والتجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين فى عهد الإدارة الأمريكية الديمقراطية الجديدة، وهى ليست حرباً جديدة، كما أنها ليست فى الكثير من الأحيان حرباً مباشرة، ولكنها عادة ما تهدأ نسبياً فى عهود الإدارات الجمهورية وتزداد فى حدتها فى عهد الإدارات الديمقراطية، وذلك منذ زيارة الرئيس الأمريكى الراحل الجمهورى «ريتشارد نيكسون»، إلى العاصمة الصينية بيجين فى يوم 21 فبراير من عام 1972 ولقائه التاريخى مع الزعيم الصينى الراحل «ماو زى دونج» وإعلان تطبيع العلاقات بين البلدين لأول مرة منذ نشأة الصين الشعبية فى عام 1949.

وبالتالى، وبناءً على ما تقدم، فصارت الأسئلة المطروحة الآن مزدوجة، فهى فى جزء منها تتناول الماضى أو ما يعتبر الآن تاريخاً، وإن كانت تأثيراته وانعكاساته حاضرة معنا اليوم وستلقى بظلالها بشكل كثيف على ما هو قادم، وذلك من نوعية أسئلة هل تم تسريب هذا الفيروس عمداً من نافذة دخوله فى سياق حرب تجارية أو اقتصادية مع دولة أخرى أو مجموعة أخرى من الدول وإلحاق الضرر باقتصادياتها بشكل عام وإعاقة قدراتها التنافسية وإمكانيات نموها على وجه الخصوص؟ وهى فى جزء آخر منه تتناول الوضع الراهن وآفاقه المستقبلية فى ضوء الأزمة الاقتصادية العالمية الطاحنة، التى طالت جميع بلدان العالم، وإن بدرجات متفاوتة، وزادت من فرص اشتعال المزيد من الحروب فى ساحات الاقتصاد والتجارة والبحث العلمى والتطور التكنولوجى، وتضاعف شراسة ما هو قائم منها بالفعل، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، كما سيزداد الصراع على الأسواق ضراوة، الداخلية منها والإقليمية والدولية، فى ذات الوقت الذى من المتوقع أن تتصاعد فيه حمم التنافس على الموارد الطبيعية وطرق النقل والمواصلات الإستراتيجية، خاصة من جانب الأطراف الاقتصادية الكبرى والرئيسية فى عالم اليوم، وتزداد هذه التحديات فى خطورتها فى ضوء ما يجتاح العالم، نتيجة الأزمة الاقتصادية المرتبطة باستفحال واستمرار الأزمات الناتجة عن «فيروس كورونا»، ومنها على الصعيدين الاجتماعى والاقتصادى ما جرى من ارتفاع

مستمر فى معدلات البطالة فى غالبية بلدان العالم، وحالة عدم التوازن المتزايد فيما بين القطاعات الاقتصادية المختلفة، حتى داخل الدولة الواحدة، حيث تضاعفت أرباح ومكاسب قطاعات بعينها، وبالتالى مدخول بين يعمل فيها، مقابل تراجع قطاعات أخرى وإما الاستغناء عن عمالة فيها بشكل مستمر أو تراجع دخول من تبقى منهم فى موقع عمله.

ووحدها الأيام والشهور، بل وربما السنين، القادمة هى التى سوف تجيب على العديد من الأسئلة المهمة المتصلة بموضوعنا هنا ألا وهو الاقتصاد السياسى لأزمة فيروس «كورونا المستجد» وتداعياتها والتى يجب طرحها بقوة الآن، وأول هذه الأسئلة هو: هل تمتلك البلدان الغنية والمتقدمة بالفعل الرغبة والإرادة والقدرات والإمكانيات فى أن تحمى مجتمعاتها بسياج من الاتجاه إلى العمل على تحقيق الخلو المتزايد لمجتمعاتها من فيروس «كورونا المستجد» من خلال تبنى مسارين متوازيين والتقدم فيهما، أما الأول فهو إسراع الخطى فى تطعيم مواطنيها والمقيمين على أراضيها للارتفاع بنسب من تعرض للتطعيم إلى أكثر من 50٪ من البالغين، والآخر هو تحسين قدراتها على التحكم والسيطرة فيمن يدخل إلى أراضيها من خارج حدودها؟

أم هل تصدق، بالمقابل، نظريات من اليمين واليسار والوسط تطيح بفرص نجاح هذا الطرح وما يرتبط به من خيارات وتعلن نفيها له واستحالة تحقيقه من الناحية العملية على أرض الواقع، فمن اليمين تأتى كل المقولات المتصلة بالعولمة من منظور رأسمالى وفى صيغتها الراهنة وتحول العالم إلى قرية صغيرة وسوق مشتركة، ومن اليسار تأتى نظرية العوالم الثلاثة للزعيم الراحل «ماو زى دونج» وانقضاض «الريف» على «الحضر» وحصاره، وبالتأكيد «الريف» يرمز هنا للبلدان النامية والأقل نمواً، بينما «الحضر» يرمز إلى البلدان الغنية والمتقدمة، كما تأتى من اليسار كافة النظريات المندرجة فى سياق «مدرسة التبعية»، ومن أقطابها المفكر المصرى الراحل الكبير الدكتور سمير أمين وعالم الاجتماع الألمانى «أندريه جوندر فرانك» وعالم الاجتماع الأمريكى «إيمانويل والرشتاين» وعالم الاجتماع النرويجى «يوهان جالتونج» وغيرهم عديدين، والتى عنيت بالتفاوت الكبير وانقسام العالم بين «المركز» الغنى والموغل فى الرفاهية والمسيطر و«الهامش» المنهوب والمستنزف والمسحوق، مع تعدد المسميات والأوصاف لكل منهما، كما أنه هناك، وفى مكان ما فى الوسط أو يسار الوسط توجد أيضاً نظرية «الاعتماد المتبادل» التى تؤكد وجود حاجة متبادلة للعلاقة بين البلدان الغنية وتلك النامية أو تلك الأقل نمواً، حتى ولو كان هذا الاعتماد المتبادل يتسم بعدم التكافؤ وغياب التوازن أو يتصف بقدر من الاستغلال.

والمغزى المشترك لكافة هذه الأطروحات، بالرغم من تباين، بل حتى فى بعض الأحيان تناقض، منطلقاتها العقائدية والفكرية، هو الخلوص إلى استحالة نجاح حكومات البلدان الغنية والمتقدمة فى تحقيق الغاية المشار إليها فيما سبق، إن كنا أصلاً نقبل بافتراضية أن هذا هو الهدف المخطط له من قبل سلطاتها الوطنية، بسبب ما بات فيه العالم من أوجه ترابط من جهة، ولكن أيضاً لأن البلدان المتقدمة والغنية تبقى، وبالرغم من كل شيء، تحتاج إلى البلدان النامية والأقل نمواً من عدة جهات، من أهمها ولكنها لا تقتصر فقط على العمالة، من جهة ثانية، كما أن فرص النجاح فى تحقيق السيطرة الكاملة على حدودها ليست بالضرورة مضمونة بشكل مطلق، من جهة ثالثة. إلا أن لهذا الطرح المذكور فى الفقرة قبل السابقة أيضاً مصادر أخرى تسعى لدحضه على أرضية عدم إنسانيته واتسامه بقدر من التمييز بين البشر على أساس الجنسية والهوية والانتماء الجغرافى. ويقابل ذلك أيضاً التأكيد من جهات عديدة فى الشمال والجنوب على حد سواء على المصير المشترك للبشرية، سواء على أرضية النظريات التى تبرز «الأخوة» أو «الأممية» البشرية، أو حتى من واقع اعتبارات المصالح المشتركة للبشر على وجه الأرض فى ضوء موارد إنسانية مشتركة، أو ما يسمى الإرث العام، والذى يدرك البعض استحالة الفصل القسرى أو التعسفى فيما بين البلدان والأمم والشعوب بشأن الاستفادة منه وتعظيم المنافع منه.

مصر وإثيوبيا بين التاريخ والجغرافيا والسياسة والقانون الدولي

أولاً: الأصل التاريخى لتكوين مملكة أكسوم المسيحية الحبشية:

1 – نشطت مملكة أكسوم واستطاعت أن تكون حضارة وطنية متأثرة بالحضارة السامية الوافدة من جنوب شبه الجزيرة العربية، بعد هجرة قبيلة حبشت إحدى قبائل مملكة سبأ اليمنية بعد انهيار سد مأرب فى القرن السابع قبل الميلاد. كما تأثرت أيضاً بالحضارات الأخرى المعاصرة لها فى أعالى النيل مثل حضارات ممالك كوش ومروى، وكذلك حضارة البجة والشعوب النيلية القديمة الأخرى.

2- إلا أنه يظل أبرز عنصر فى حضارة أكسوم هو العنصر السبئى اليمنى. أما أثر الإغريق والحضارة الهيللينية، فقد وصل أكسوم عن طريق البطالمة فى مصر323 / 30 قبل الميلاد، حيث لعبت الموانيء التجارية على شاطيء البحر الأحمر الإفريقى ومنها ميناء أدوليس Adulis جنوب ميناء مصوع الحالى دوراً مهماً فى نقل روافد الحضارة المصرية القديمة .

3- وكانت تجارة هذا الميناء تتركز فى الذهب والعاج وريش النعام والصمغ العربى من كوش ومروى والأجزاء الأخرى من قلب إفريقيا، ويتم الاتجار فى هذه السلع مع مصر واليونان والرومان وبلاد فارس والهند وسيلان.

4- ويعتبر أهم ملوك أكسوم فى القرن الرابع الميلادى الملك عيزاناEzana ، وترجع شهرته بأنه أدخل المسيحية كديانة رسمية فى مملكة أكسوم، واستمر هذا الوضع حتى جاء العرب المسلمون فى القرن السابع الميلادى حيث حالت الديانة الجديدة بعد انتشارها دون الاتصال بين أكسوم والروم البيزنطيين فى شمال الشام، ما أدى إلى فقد أكسوم للقوة والنفوذ، إلا أن ثقافتها وديانتها المسيحية على مذهب كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسى بقيت فيما بعد فى إثيوبيا، وقد أدى انتشار الإسلام فى الساحل والداخل الإفريقى إلى اضمحلال أكسوم وتلاشى حضارتها، وإضعافها سياسياً عن حليفتها بيزنطة المسيحية، فضلاً عن تلاشى دورها التجارى براً وبحراً لاسيما بعد سيطرة العرب على أرخبيل جزر دهلك والطرق التجارية فى البحر الأحمر الذى تحول إلى بحيرة عربية ثم اكتملت الحلقة باختفاء أكسوم بسبب زحف القبائل من الشمال والجنوب مما اضطر الأكسوميين إلى الاضمحلال والسقوط السياسى والحضارى.

5-وقد سجل لنا التاريخ العديد من الإمارات الإسلامية التى سيطرت على الساحل والداخل الإثيوبى حتى بحيرة تانا التى سقط بجوارها آخر حكام إمارات الطراز الإسلامى أحمد بن كران عام 1543 والذى خاض حروباً متعددة كللت بالنجاح لولا نجدة البرتغال لملكة الحبشة بالسلاح والجنود، وقد سجل التاريخ مراحل متعددة من الصراع بين تلك الإمارات والممالك الإسلامية مع مملكة الحبشة المسيحية،

سفير د .عادل السالوسي
dr.adelelsaloussy@hotmail.com

حيث طمع الأحباش فى مد سلطانهم من الداخل على المواقع الإسلامية على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندى مثل مصوع وعصب وزيلع وبربرة (موضع جيبوتى حالياً)، وحتى هرر وشوا بالداخل الإثيوبى .

6- وقد نشط البرتغاليون بعد حركة الكشوف الجغرافية والالتفاف حول إفريقيا فيما يعرف بطريق رأس الرجاء الصالح عام 1496، ثم اصطدامهم بالدولة المملوكية فى مصر فى موقعة ديو البحرية غرب الهند عام 1509وتحطيم أسطول المماليك والقضاء على نشاطهم البحرى والتجارى، فى نفس الوقت الذى يسجل فيه التاريخ مراسلات بين إحدى ملكات الحبشة وتدعى هيلانة عام 1510 مع ملك البرتغال عمانويل بهدف القيام بعمل مشترك ضد القوى الإسلامية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى، حيث أكدت هيلانة من خلال رسالتها للملك عمانويل حاجتها لمساعدة الأسطول البرتغالى فى القضاء النهائى على الممالك الإسلامية بالبر الإفريقى والمحيط الهندى.

ثانياً: مصر ونهر النيل والأمن المائى:

1-أبدى المؤرخ الإغريقى هيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد بعد زيارته لمصر حتى أسوان ملاحظة شديدة الذكاء فقال: «إن مصر هبة النيل» Egypt is the gift of the Nile ، وإن الحقيقة الأولى هى أن مياه النيل تنبع من أواسط إفريقيا وشرقها عبر السودان فى طريقها إلى مصر، حيث إن مياه النيل تفيض وتغرق أرض مصر وتجدد خصوبة تربتها كل عام.

2- إن النيل لم يكتف بتحويل الصحراء إلى وادى النيل الأخضر الخصيب، لكنه جعل أيضاً من الممكن قيام وازدهار أقدم وأعظم حضارات العالم على ضفاف النيل، فتاريخ مصر القديم مليء بالأساطير والأدلة على ارتباط مصر العميق بإفريقيا منذ أن شيد الفراعنة أهرامات الجيزة ومعابد الكرنك والأقصر. ولقد كانت أساطير قدماء المصريين تسمى ذلك الجزء من إفريقيا حيث يستمد نهر النيل مياهه «جبال القمر». فربما أتيحت الفرصة لبعض قدماء المصريين بالسفر واستكشاف جبل كليمنجارو Mt. Kilimangaro، أو جبل كينيا Mt. Kenya.

3-ولما كانت مصر هى هبة النيل، وكان النيل هو مصدر الحياة الوحيد، فقد عبده قدماء المصريين، وجعلوا منه الإله حابى أى إله الخير والعطاء، فلقد كان النيل بالنسبة للمصريين القدماء بمثابة المعلم والملهم. فعن متابعة سيره ومجيئه سنوياً أجادوا فن وهندسة الرى. وبنوا المقاييس على جسور النيل لقياس ومعرفة سرعة التيار ومنسوب المياه.

4- وتنبع المشكلة المائية المصرية، من أن مصر هى إحدى دول حوض النيل اعتماداً على مياه النيل، حيث تتجاوز نسبة اعتماد مصر على النيل 95٪، فضلاً عن أن حصتها المائية تبلغ طبقاً لاتفاقية عام 1959 مع السودان، وهى المسماة باتفاقية الانتفاع الكامل بمياه النيل، حوالى 55 ونصف مليار متر مكعب، أخذاً فى الاعتبار أن سكان مصر فى ذلك الوقت لا يتجاوزون 30 مليون نسمة. ومن ناحية أخرى فهو يعتبر أطول أنهار العالم حيث يبلغ من منابعه عند بحيرة فيكتوريا وحتى مدينة رشيد على البحر المتوسط حوالى 6700 كيلو متر، يعبر خلالها إحدى عشرة دولة تعرف بدول حوض النيل هى: إثيوبيا وإريتريا وكينيا وأوغندا وتنزانيا ورواندا وبوروندى والكونغو كنشاسا وجنوب السودان والسودان الشمالى ومصر. وتعد الدول التسع الأولى دول منبع ، أما مصر والسودان الشمالى فهما دولتا المصب. ويغطى نهر النيل مساحة 4.3 مليون كيلو متر مربع، أى ما يعادل 10٪ من إجمالى مساحة القارة الإفريقية.

5- ومنابع النيل الرئيسية هى:

– هضبة الحبشة أى الهضبة الإثيوبية وتشمل دولة إثيوبيا فقط أى النيل الأزرق

جمال عبد الناصر والانباكيرلس السادس وهيلاسيلاسى والسادات

وبحيرة تانا ونهر السوباط، فضلاً عن نهر العطبرة الذى ينبع من مرتفعات إريتريا.

- هضبة البحيرات الاستوائية، وتسمى أيضاً هضبة البحيرات العظمى وهى فيكتوريا وألبرت وكيفو وإدوارد ومنطقة بحر الزراف والغزال والنعام فى السودان الجنوبى، ومستنقعات مشار على الحدود الإثيوبية السودانية.

6-ولقد أرسل والى مصر محمد على باشا خلال الأعوام من 1839 حتى 1842 ثلاث حملات بقيادة سليم قبطان لاستكشاف المنابع الاستوائية لنهر النيل، فيما واصل الخديو إسماعيل نجل إبراهيم باشا بن محمد على المسيرة بالاستعانة بالمستكشفين الأوروبيين أمثال بيرتون وسبيك ولفنجستون، بالتعاون مع الجمعية الجغرافية الملكية البلجيكية وبالتنسيق مع الملك ليو بولد الثانى ملك بلجيكا الذى استطاع الاستيلاء بدوره على حوض نهر الكونغو بالكامل، ثم أنشأ الخديو إسماعيل الجمعية الجغرافية المصرية عام 1875. وتمكنت مصر فى عهده من الوصول إلى منابع النيل الاستوائية حتى بحيرة فيكتوريا، وسميت مدينة غندوكرو على الحدود الأوغندية/ السودانية بالإسماعيلية، وأطلق على بحيرة كيوجا بحيرة إبراهيم باشا. كما بسطت مصر سيطرتها على كل مدن وموانيء البحر الأحمر الذى تحول إلى بحيرة مصرية وذلك لتأمين الاستكشافات الجغرافية ومنها سواكن ومصوع عام 1865، ثم زيلع وبربرة على مضيق باب المندب عام 1875(جيبوتى حالياً)، بل توغلت البعثات الاستكشافية فى شمال وشرق الحبشة حتى هرر وشوا Shoaوبنى شنقول قماز، ما أدى فى النهاية إلى الصدام فى الحرب المصرية/ الحبشية عامى 1875/ 1876.

7- إن استمرار تدفقات نهر النيل بسلاسة يخلق لمصر رؤية إستراتيجية تنطلق من أبعاد جيواقتصادية StateCraft through Geoeconics تصبح محفزاً ومسانداً للأوضاع السياسية والاجتماعية، تكون العناصر الرئيسية فيها تنمية وتطوير الموارد الطبيعية وخاصة منها الموارد المائية الجالسة عليها الدولة المصرية منذ الألف الثامنة قبل الميلاد وحتى الآن دون منازع وذلك بعد استقرار الأوضاع لدى سكان وادى النيل بعد انحسار العصر الجليدى المتأخر فى الألف الثامنة قبل الميلاد، أى أن الوجود المصرى وصنع الحضارة للعالم القديم كان بسبب استمرار تدفقات المياه بسلاسة لمدة تقترب من عشرة آلاف عام حتى الآن.

ثالثاً: مصر ومجلس الأمن الدولى:

1- إن لجوء مصر إلى مجلس الأمن الدولى هو تصرف يستند من الناحية القانونية على اعتبارين:

الأول: إن قضية السد تمثل تهديداً للسلم والأمن الدولى بالمنطقة، وفق أحكام الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة) المادة ٣٥ لكل عضو من أعضاء الأمم المتحدة أن ينبه مجلس الأمن أو الجمعية العامة إلى أى نزاع dispute أو موقفSituation يعرض السلم والأمن الدوليين للخطر).

الثانى: ولمجلس الأمن أن يفحص أى نزاع أو موقف قد يؤدى إلى احتكاك دولى أو يثير نزاعاً من شأن استمراره تعريض السلم والأمن الدولى للخطر (مادة 34).

2- وهو الأمر الذى يلزم إثيوبيا بقواعد القانون الدولى للأنهار الدولية خاصة قواعد هلسنكى 1966 وأهمها مبدأ عدم الإضرار No Harm Rule ، والانتفاع المنصف والمعقول بمياه النهر الدولى، فضلاً عن ضرورات الإخطار المسبق فى حالة بناء مشروعات مثل السدود.

3- إن النيل الأزرق هو نهر دولى عابر لحدود ثلاث دول هى إثيوبيا والسودان ومصر، وقد ترسخ هذا المفهوم فى اتفاقية 1902بين الإمبراطور منليك الثانى وبريطانيا كدولة احتلال بالنيابة عن السودان المصرى، وكانت إثيوبيا دولة مستقلة التزمت فى الفقرة الثالثة من الاتفاق بعدم بناء أو السماح بقيام أية مشروعات تعوق انسياب وتدفق نهر النيل الأزرق وبحيرة تانا والسوباط يكون من شأنها إيقاف إيرادات النهر المائية وتصريفها فى النيل بسلاسة، أى عدم بناء أية سدود أو مشروعات على مجرى النهر.

4- هذا وقد ارتبط مفهوم الدولة الحديثة Nation - State والتزاماتها التعاهدية ونشأتها بعد معاهدة صلح وستفاليا عام 1648 والذى أنهى حرب الثلاثين عاماً1618/ 1648 وجاء بمفهوم الدولة الوطنية ذات السيادة Sovereignty، حيث أرست المعاهدة المباديء الأساسية للقانون الدولى العام الأوروبى، فيما نشر الفقيه الهولندى جروشيوس Grotius عام 1625 كتابه فى قانون الحرب والسلام باللغة اللاتينية De Jure Belli ac Pacis والذى أشار فيه إلى ضرورة فتح البحار والمحيطات للملاحة الدولية، كما أكد على ضرورة احترام قواعد القانون الدولى العام فى الحرب والسلام، وأشار بأن الحرب المشروعة هى التى تقوم بين وحدات ذات سيادة، وأسست المعاهدة أيضاً لمبدأ السيادة الإقليمية Territorial Sovereign ty، وأيضاً قواعد قيام بعثات دبلوماسية مقيمة Resident Diplomatic Missions.

ثم جاء مفهوم ونظرية الأمن الجماعي Principle of Collective Security والذى تبنته عصبة الأمم التى بدأت عملها عام ١٩٢٠. ثم كانت الخطوة المتقدمة للمؤتمر سان فرانسيسكو فى ٢٦يونيو ١٩٤٥ والذى أقر ميثاق الأمم المتحدة ودور مجلس الأمن والجمعية العامة فى حفظ وصيانة السلم والأمن الدولى.

رابعاً: أزمة سد النهضة وارتباطها بالدولة العميقة:

1- كتب رئيس الوزراء البريطانى بنيامين دزرائيلى (يهودى الديانة) فى القرن ١٩ إن العالم محكوم بأشخاص مختلفين عما يتخيله أو يعلمه الناس، وهذا يعنى أنهم ليسوا الملوك أو القياصرة أو الوزراء أو كبار المسئولين. وتساءل من هم هؤلاء الحكام؟

أجاب: هذا سر ينبغى معرفته حتى نستطيع أن نسيطر عليهم ونفرض السلام على العالم. ويسمى بعضهم هؤلاء حكومة الظل أو الحكومة الخفية أو الدولة الموازية أو حالياً الدولة العميقة. وهى تقرر ما يحدث غداً على المستوى المحلى أو الدولى. ويبدو أنها تدين بالولاء للدولة العميقة العظمى التى تتحكم بمصائر بقية الدول.

2- هذا الأمر ليس ضرباً من الخيال لكن عادة ما يحدث تحت السطح وهو يشبه ما يحدث تحت قاع البحر وباطن أرضه Seabed and the Subsoil ، فيما يبدو سطحه هادئاً ورومانسياً بينما تدور فى الأعماق رحى حياة زاخرة بالصراع والعنف والجريمة.

3- وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حذر المستشار الألمانى العظيم أوتو فون بسمارك Bismarck الذى وحد ألمانيا عام ١٨٧٠، وظل مستشاراً حتى عام ١٨٩٠ وأدار سياسة أوروبا ومؤتمر برلين ١٨٨٤/ ١٨٨٥ لاستعمار العالم وتخاطف القارة الإفريقية Scramble for Africa عن وجود قوى غير مرئية تدير دفة العالم.

4- ويقال إن أول من تحدث عن الحكومة الخفية فى القرن العشرين هو الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت حين حذر من هيمنة شبكات مالية على سياسة بلاده.

5-وتشير كافة التقديرات إلى أن الدولة العميقة نشأت فى تركيا خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر مع تأسيس حزب تركيا الفتاة وجماعة الاتحاد والترقى فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى والتى أخذت على عاتقها حماية علمانية الدولة التركية فى ضوء هزيمة حرب القرم ١٨٥٣/ ١٨٥٦ أمام روسيا القيصرية، ثم نعتها برجل أوروبا المريض ما شكل أساس المسألة الشرقية Eastern Question وظهور كمال أتاتورك مع مطلع القرن العشرين فى محاولة جادة للتقارب مع الغرب المسيحى الأوروبى.

6- ثم تلى ذلك ظهور المصطلح بتعريفات مشابهة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مع إنشاء وكالة المخابرات الأمريكية عام ١٩٤٧فى عهد الرئيس هارى ترومان والأخوين جون فوستر دالاس وزير الخارجية، وآلان دالاس أول مدير لوكالة الاستخبارات الأمريكية Central Intelligence Agency ، ثم تبع ذلك إقامة حلف شمال الأطلسى عام 1949 North Atlantic Treaty Organisation كشبكات سياسية وأمنية فى مواجهة الشرق والاتحاد السوفيتى وجوزيف ستالين، ثم تبع ذلك سلطات اقتصادية فى مؤسسات بريتون وودز كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى، أعقبها مؤسسات مالية أخرى فى وول ستريت Wool Street لحماية شبكات المصالح المختلفة.

خامساً: محاور سياسة مصر تجاه الصعود الإثيوبى:

1- ضرورة عدم استبعاد مصر من «مبادرة القرن الإفريقى» باعتبارها دولة بحر أحمر وقناة السويس معبر التجارة الدولية لشرق إفريقيا والخليج وشرق وجنوب آسيا إلى عالم البحر المتوسط وأوروبا الغربية، فضلاً عن أنها عضو مؤسس فى مجلس الدول المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن council of Arab and African coastal states of the Red Sea and the Gulf of Aden والذى تكون فى ٦ يناير ٢٠٢٠ (مصر - السودان - السعودية - الأردن - اليمن - جيبوتي - إريتريا - الصومال) .

2-إن مبادرة القرن الإفريقى التى تمثل ٥ دول هى إثيوبيا - كينيا - جيبوتي - إريتريا - الصومال، تسعى إلى ضم جنوب السودان والسودان الشمالى وأوغندا ورواندا باستثمارات صينية وعربية خليجية وأوروبية وتركية فى محاولة لاستبعاد وتهميش دور مصر الإفريقى، عن طريق مشروعات بنية تحتية وتكامل تجارى واقتصادى وبناء قدرات، مع الوضع فى الاعتبار أن جيبوتى بموقعها المهم على مدخل مضيق باب المندب مفتاح دخول البحر الأحمر مع نقل علاقات الدولتين من مرتبة الشراكة إلى التكامل، فضلاً عن وعد إثيوبيا لجيبوتى بنقل ١٠٠ ألف متر مكعب من المياه العذبة يومياً فى إطار إحياء مشروع خط السكة الحديد أديس أبابا - جيبوتى برعاية صينية وهو الخط الذى كانت فرنسا قد شيدته فى مطلع القرن العشرين فترة احتلال جيبوتى، وأيضاً تطوير أربع مرافئ جيبوتية.

3- تحتاج مصر إلى تصعيد المواجهة الخشنة مع الخصم الإثيوبى فى عدة محاور، فضلاً عن أهمية تعديل المنهج السياسى والدبلوماسى فى التعامل مع الكيان الإثيوبى حتى لا تخسر مصر مكانتها ونفوذها وتاريخها إقليميا وإفريقيا gradual loss of power and influence، مع وقف التصعيد الإعلامى، وتحقيق الغايات بهدوء ودون انفعال، مع أهمية استعمال سياسة حافة الهاوية Brink manship policy حيث لن تخسر مصر مع إثيوبيا أكثر مما خسرت خلال السنوات الماضية، والوصول مع إثيوبيا خلال المرحلة القادمة إلى أقصى حد من الصراع الدبلوماسى والسياسى والقانونى بما يشكل رسالة لها وللأطراف الأخرى من دول حوض النيل.

4- إن أفكار إثيوبيا التى تسعى إليها فى سياسات القرن الإفريقى حالياً هى بناء أسطول عسكرى وإيواؤه فى ميناء تاجوراء فى جيبوتى على مدخل مضيق باب المندب والبحر الأحمر ما سيفتح أمام إثيوبيا مياه غرب المحيط الهندى والقرن الإفريقى وباب المندب وخليج عدن، الأمر الذى يعنى تطويق مصر فى هذه المنطقة الإستراتيجية.

5- تحتاج مصر دائماً مع إريتريا وجيبوتى والصومال إلى احتواء ابتلاع إثيوبيا لهذه الدول الثلاث، مع اتخاذ إجراءات بناء ثقة حفاظاً على منطقة باب المندب ومياه هضبة البحيرات العظمى الاستوائية، مع زيادة التصاق مصر بهذه الكيانات الثلاث من دول القرن الإفريقى، وضعاً فى الاعتبار عقدة إثيوبيا مع الصومال وضم الإمبراطور السابق هيلا سيلاسى عام

الخديوى اسماعيل

١٩٥٠ وبموافقة بريطانيا لإقليم الأوجادين، ثم دخول نظام منجستو عام 1977 لحرب مع سياد برى أدت إلى هزيمة الصومال نتيجة مساعدة الاتحاد السوفيتى، ولاتنسى إثيوبيا أن حدودها مع الصومال تبلغ 1700 كيلومتر، فضلاً عن المعاناة من عقدة الدولة الحبيسة Land locked State بسبب انفصال إريتريا وأسياس أفورقى بالساحل عام 1993، فى نفس الوقت الذى تنظر فيه بحسرة وألم نفسى إلى الصومال التى تملك 3900 كيلومتر على المحيط الهندى.

6- تسعى إثيوبيا دائماً إلى لعب دور القطب Pole فى بنية النظام الإقليمى لشرق إفريقيا والقرن الإفريقى وباب المندب خاصة بعد نجاح إتمام المصالحة مع إريتريا عام 2018، والمحاولات المتكررة لاحتواء جنوب السودان والصومال، والارتباط بعلاقات وثيقة مع ولاية أرض الصومال الانفصالية، وولاية بونت لاند شرق الصومال، ومحاولات ربط جيبوتى بمشروعات اقتصادية ونقل مياه عذبة تمثل لجيبوتى عصب الحياة السياسية والاقتصادية والبشرية (يرجى التكرم بالرجوع لدراستى فى مجلة الدبلوماسى عدد إبريل 2020 «مصر فى ميزان التاريخ والجغرافيا والقانون والسياسة وسد النهضة» تقدير الموقف السياسى والقانونى والإستراتيجى البنود 7، 8، 9 حول أهمية عدم إبعاد مصر عن مجريات الأحداث اليومية فى القارة الإفريقية، وخاصة إقليم شرق إفريقيا والقرن الإفريقى ومضيق باب المندب وكلها ذات علاقة وثيقة بأمنها المائى والأمن القومى بصفة عامة، وهو ما يجعل مصر ملتصقة على الدوام مع سياسات المنطقة فى جوانبها الاقتصادية والتجارية والسياسية والعسكرية والأمنية، فمنطقة شرق إفريقيا والقرن الإفريقى تشهد منذ فترة مرحلة تحول وإعادة تشكيل Reshaping لسياسات المنطقة بالكامل Statecraft policies بسبب تزايد وتنامى القواعد العسكرية، واحتمالات المواجهة

بين الشرق والغرب، أى الصين وروسيا وإيران فى مواجهة الولايات المتحدة وحلف الناتو NATO، وأن هذا المتغير ستفرضه ضرورات تحولات القرن الحادى والعشرين، الأمر الذى سيفرض على مصر بسبب أزمة سد النهضة والحاجة الدائمة لتأمين الموارد المائية فى ظل زيادة السكان، ما سيكون عليه عبء متابعة ما يجرى على أرض القارة الإفريقية يومياً فى ظل ارتباط مصالحها وأمنها المائى والذى يحتل المجال الحيوى والطبيعى Lebensraum لسياستها مع دول القارة والتى سوف تزداد وتتصاعد.

7- ضرورة متابعة نتائج زيارة آبى أحمد للصومال فى عام 2018 والتى اتفق فيها مع الرئيس فرماجو على الاستثمار فى أربعة موانىء صومالية، بالرغم من حالة العداء والتوتر التى تتسم بها العلاقات دائماً، واعتبار إثيوبيا أن الصومال تمثل لها مصدراً للتهديدات الأمنية والوجودية، ولا ننسى ما قاله الجنرال منجستو هايلى مريام حاكم إثيوبيا الشيوعى عشية سقوطه عام 1991 بأنه ساهم فى إسقاط نظام سياد برى وتفكيك الدولة الصومالية، مع الأخذ فى الاعتبار تهديدات إثيوبيا المستمرة للصومال بتحويل مجرى نهرى جوبا وشبيلى شريانى الحياة فى الصومال واللذين ينبعان من مرتفعات إثيوبيا، وهما وبالرغم من أنهما يعتبران نهران دوليان إلا أنهما يمثلان ورقة ضغط إثيوبية دائمة على القبائل الصومالية.

8- حاصل الأمر أن حكومات الصومال المتعددة بعد تفكك الدولة الصومالية عام 1991على عهد سياد برى، أصبحت فى حالة ضعف مستمر أمام حكام إثيوبيا منذ عهود هيلا سيلاسى ومنجستو وزيناوى، بل وحتى فى ظل تحالف الأمهرة والتيجراى ضد القبائل الصومالية، وأن الدول العربية ومنها مصر لم تبذل جهوداً كبيرة لاحتواء الصراعات ونفوذ حركات الشباب والإرهاب والتدخلات الأجنبية خاصة الإثيوبية والكينية فى الشئون الصومالية ودفع الدولتين عن دورهما المزعزع للاستقرار فى الصومال، فيما اتخذت مصر موقفاً محايداً بشأن النزاع الحدودى البحرى الكينى الصومالى، كما لم تقف الجامعة العربية بالمثل بجانب الصومال حيث كانت الصومال تتطلع إلى رفض الجامعة للادعاءات الكينية على أجزاء من المياه الإقليمية الصومالية.

سادساً: تقدير الموقف السياسى والقانونى والإستراتيجى:

1- تظل الشخصية المصرية وملامحها عبر التاريخ والعصور تشغل المؤرخين والباحثين والعلماء، فقد تعددت وتنوعت الكتابات التى تبحث فى هوية مصر وتقتفى أثر ملامحها عبر الزمن، حيث أصبح السؤال وجودياً فيما يتعلق بهوية مصر، فكتب محمد شفيق غربال «تكوين مصر» عام 1953، ثم تناول صبحى وحيدة «فى أصول المسألة المصرية»، وصبرى السوربونى «نشأة الروح القومية المصرية»، وحسين مؤنس «مصر ورسالتها»، وجمال حمدان ونعمات أحمد فؤاد «شخصية مصر»، وغيرهم الكثير فى القرنين التاسع عشر والعشرين. وقد اتفق الجميع على أن لمصر بتاريخها العريق وموقعها الجغرافى المتميز فى قلب ثلاث قارات شكلت حضارات العالم فى العصور القديمة والوسطى والحديثة، ما جعلها حالة نادرة، وكانت أصابع الطبيعة تشير إلى مصر، فيما هى تتمتع بمكانة عظمى رتبتها العناية الإلهية، لتجعل منها قطباً جغرافياً أعظم، وفى كلمة واحدة فإن شخصية وموضع وموقع مصر هو «التفرد».

وقد تأكد ذلك ابتداء من العصور القديمة، فعندما زارها المؤرخ الرومانى عضو مجلس الشيوخ تاسيتوس 55 - 120 ميلادية، وقد زارها فى عصر الإمبراطور تراجان 98 - 117 ميلادية، حيث نوه هذا المؤرخ والسياسى الرومانى بمركز مصر الجغرافى فى قول مأثور حيث وصفها باللاتينية: «مصر مفتاح البر والبحر» Aegyptium Claustra Terrae et Maris ، كما أنه أدرك أهمية موقع مصر بالنسبة لآسيا الصغرى أى هضبة الأناضول وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين وساحل فينيقيا وبلاد اليونان وبحر إيجه والبحر الأحمر حتى مضيق باب المندب.

2- وأشار محمد العزب موسى فى كتابه «وحدة تاريخ مصر» إلى حديث الزعيم جمال عبدالناصر للصحفى الأمريكى جيمس روستون رئيس تحرير صحيفة النيويورك تايمز يوم ١٣ فبراير ١٩٧٠ ونشرته جريدة الأهرام بعد ذلك بيومين، حيث قال ناصر رداً على أحد الأسئلة: «إن شعبنا هنا له خبراته، ولدينا حضارتنا، الحضارة المصرية القديمة، التى استطاعت أن تواجه الغزاة.... إن هذا الشعب عريق وعظيم، ومهما كانت الصعاب التى يواجهها فإن ذلك يتم بإصرار».

وفى هذا السياق، فإن ما أعطى مصر هذه الشخصية ليس مجرد اعتناقها الإسلام أو تحدثها بالعربية، وإنما ذلك الدور التاريخى الهائل الذى ساهمت به فى الحضارة الإسلامية فكرياً وسياسياً وعسكرياً دفاعاً عن مكونات هذه الحضارة والمدنية فى السراء والضراء، وهى مساهمة تعاون وشارك فيها مسلمو مصر وأقباطها على السواء.

3- إن الإدارة الأمريكية الحالية من الرئيس بايدنBiden ووزير الخارجية Blinken ومستشار الأمن القومى Sulivan حائرة حول احتمالات السعى نحو تطبيق مبدأ التدخل الإنسانى Humanitarian Intervention بسبب نزاع مياه النيل Nile Water Dispute بين إثيوبيا ومصر والسودان، كما أنها من ناحية أخرى فى حيرة من أمرها كانت قد وثقت علاقاتها مع الراحل ميليس زيناوى زعيم إثيوبيا من 1991 حتى وفاته فى 2012 وهو من عرقية التيجرايTigray ، وأن الموقف الآن أمامها أصبح صعباً ومائعاً fluid حيال الوقوف مع إثيوبيا أو مصر والسودان، أخذاً فى الاعتبار أن إدارة بايدن لم تستطع خلال فترة الـ100يوم الأولى اعتباراً من 20 يناير 2021 وحتى الآن تطبيق مبدأ التدخل الإنسانى أو مبدأ المسئولية فى الحمايةResponsibility to Protect ، واستصدار قرار من مجلس الأمن الدولى ضد حملات التطهير العرقى التى قامت بها قوات آبى أحمد ضد شعب وعرقية وإقليم التيجراى منذ 3 نوفمبر 2020 وحتى الآن، وأن شعب التيجراى تحول إلى قومية تعيش فى الشتات Tigreans in the diaspora، وهم من كانوا بالأمس أى منذ 1991 وحتى 2018 حكام وسادة إثيوبيا مع الأمهرة Amhara وبعض قادة الأورومو Oromo التى ينتمى إليها آبى أحمد، وخاصة دورهم أيام ميليس زيناوى الذى ينحدر من عرقية التيجراى وهى ذاتها نفس العرقية التى ينحدر منها الإمبراطور السابق يوحنا الرابع من مقره فى جوندر Gonder والذى دخل فى حرب مع مصر عهد الخديو إسماعيل عامى 1875/ 1876 وكانت نهايته مصرعه على أيدى جماعة المهدى فى القلابات عام 1889، وهو نفس عام تولى الإمبراطور منليك الثانى الذى كان حاكماً لمقاطعة شوا Shoa، الأمر الذى يجعل الفترة الحالية بالنسبة للتيجراى يطلق عليها .Post Miles Zenawi Erosion

4- تسعى إثيوبيا مع إريتريا وجيبوتى لإقامة شكل من أشكال الاتحاد بالتعاون مع فرنسا لبناء أسطول إثيوبى فى جنوب البحر الأحمر Red Sea Navy يتركز فى غرب المحيط الهندى وجزر دهلك وعصب الأمر الذى يجعل لها إطلالة ونفوذ على مضيق باب المندب مدخل ومفتاح البحر الأحمر، ويخرجها من وضعية الدولة الحبيسةland locked State ، كما تقوم فى نفس الوقت وبواسطة الصين بالضغط على جيبوتى عن طريق إمدادها بخط سكة حديد بالمياه العذبة، مع ضمان إمدادات المياه لها بصفة دائمة، فيما يؤمن المشروع فى نفس الوقت إمدادات المياه العذبة لقاعدة الصين العملاقة فى جيبوتى والتى تعتبر نقطة ارتكاز للصين فى غرب المحيط الهندى وشرق وجنوب القارة الإفريقية حيث مستقبل وموضع الصراع مع الولايات المتحدة الأمريكية. ولا ننسى ما فعلته إثيوبيا مع كينيا وليس ببعيد من قيامها ببناء سد على نهر أومو Omo River ما أدى إلى حجز المياه عن بحيرة توركانا Turcana Lake بشمال كينيا، ما أدى إلى جفاف ونفوق الملايين من قطعان الأغنام والماشية، فضلاً عن تشريد وهجرة الملايين من ذوى الأصول الصومالية،

وتعرض المنطقة إلى حالة تصحر وجفاف Drought وتآكل لنظام البيئة. وهو ذات ما تفعله وتلوح به من آن لآخر للصومال، من إمكانية تجفيف نهرى جوبا وشبيلى اللذين ينبعان من الهضبة الإثيوبية ويصبان فى مياه المحيط الهندى، ويشكلان عصب ومصدر الحياة للصومال.

5- إن حقوق مصر فى مياه النيل أبعد من مبدأ ونظرية التدخل الإنسانى Responsibility to Protect، وهى فكرة العقوبات الدولية استناداً إلى قرار من مجلس الأمن الدولى تحت الفصل السابع، والذى بدأت صياغته فترة أمناء الأمم المتحدة بيريز دى كويار من البيرو، ثم كوفى عنان من غانا، واستعمال إدارة الرئيس كلينتون فى تسعينيات القرن العشرين فى كوسوفو وصربيا ويوغوسلافيا السابقة، وتم تمرير القرارات فى عصر ضعف روسيا بعد انحلال الاتحاد السوفيتى فى 25 ديسمبر 1991. أما بالنسبة لمصر فالأمر يمثل لها الأمن الإنسانى Humanitarian Security وهو أبعد بكثير من نظريات التدخل الإنسانى والأمن القومى التقليدى، فاحتمال التدخل مع احتمالات الحرب Casus Belli هى المتغير الأقرب والصحيح لتصويب الحقوق التاريخية الثابتة المشروعة عبر آلاف السنين للدولة المصرية صانعة التاريخ والحضارة الإنسانية فى هذا الموضع والموقع منذ أكثر من خمسة آلاف عام من الاستمرار واستعمال المياه لخدمة الحضارات والشعوب القديمة فى عالم البحر المتوسط والشرق الأدنى، وعالم البحر الأحمر وشرق إفريقيا وشعوب هضبة البحيرات العظمى الاستوائية، فمصر هى مفتاح البر والبحر فى ظل تصاعد سياسات شرق البحر المتوسط Rise of East Mediterranean Policies ، بالتوازى مع أزمات Suez Red Sea Horn of Africa Region. فالرفض الإثيوبى لما يسمى احتمالات الملء والتشغيل هى الصك الدولى الفنى والقانونى الأخير للتخلص نهائياً من مشروع السد وغيره على حوض النيل الأزرق، أخذاً فى الاعتبار أن انهيار السد وهو أمر حتمى سيكون كارثة على مصر والسودان، وربما يحول النيل مجراه فى حالة حدوث زلزال كبير نتيجة ضغط المياه على صفائح القشرة الأرضية، بالإضافة إلى أوزان ملايين الأطنان من الطمى المفتت وكلها مؤثرات سلبية على تربة بازلتية هشة تقع فى منطقة الفوالق والزلازل والدوائر البركانية لا تصلح لبناء سدود عملاقة، الأمر الذى يؤدى قطعاً إلى انهيار السد.

6- لقد كانت هناك فرصة ذهبية للتخلص من جسم سد النهضة وغيره من السدود فى أعالى النيل الأزرق، عندما صرح الرئيس الأمريكى السابق ترامب فى أكتوبر ٢٠٢٠ بالتفويض لمصر وإعطائها Clearance عبر تصريح إعلامى صريح getting rid of the Dam ، وهو تفويض من رئيس أعظم قوة دولية فى العالم بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة فى ضوء فشل المفاوضات التى كانت ترعاها واشنطن والبنك الدولى واستمرت منذ أكتوبر 2019 حتى 28 فبراير 2020، وتهربت إثيوبيا فى الجلسة الأخيرة الخاصة بالتوقيع الذى قامت به مصر بالأحرف الأولى ما أثبت مصداقيتها فى التوصل إلى اتفاق ينهى جوانب الأزمة، فى نفس الوقت الذى خسرت فيه إثيوبيا مصداقيتها الدولية أمام الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى وحتى أعضاء مجلس الأمن، والمجتمع الدولى برمته الذى أصبح شاهداً على عدم الوضوح والمراوغة وأفكار اكتساب الوقت عبثاً، ما أكد عدم احترامها لقواعد ومبادىء القانون الدولى للأنهار الدولية.

7- أيضاً يرجى ضرورة عدم الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية فى ظل إدارة الرئيس Biden حيث تتضح من سياسات الإدارة عدم الوضوح والميوعة fluid من خلال عدم الحسم فى بعض القضايا التى تتعلق بالعلاقات الدولية، بل والتراجع أحياناً والتخبط فى موضوعات مع روسيا والصين وإيران وكوريا الشمالية وغيرها، بل إنه من الصعب على الولايات المتحدة فى ظل هذا الوقت الضيق القيام بخطوات جادة Genuine ودور حيوى من خلال المبعوث الأمريكى السفير جيفرى فيلتمان لاحتواء الصراع الوشيك بين أطراف النزاع الثلاث مصر والسودان وإثيوبيا، وأن الوقت أصبح متأخراً، فيما دول المنطقة فى حالة سباق مع الزمن من أجل البقاء.

8- سياسياً وإستراتيجياً، ليس أمام صانع ومتخذ القرار السياسى المصرى إلا القيام بشن حرب وقائية Preventive War تحفظ لمصر وجودها واستمراريتها استناداً لحق الدفاع الشرعى طبقاً للمادة 51 من الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة «فيما يتخذ من الأعمال فى حالة تهديد السلم أو الإخلال به..... »، والقيام بعمل عسكرى تاريخى قوى يحفظ لمصر سمعتها ومكانتها عبر العصور والأزمنة حافظة للحضارة الإنسانية فى مواجهة جحافل التتار والمغول والهون غير المتحضرين الذين أرادوا القضاء على المشرق العربى Levant مهبط الديانات السماوية والتوحيد والإيمان، وقد وقفت مصر شامخة قبل أن يصل التدمير والخراب والهلاك إلى القارة الأوروبية شرقاً وغرباً.

8- إن القيام برد الاعتبار التاريخى لمصر، من خلال رفض محاولات فرض الأمر الواقع de facto سوف يلقى استحساناً لدى جماعات عرقية عديدة تعانى عبر عشرات الأعوام داخل الكيان الإثيوبى الهش مثل التيجراى والحركات المناهضة من الأورومو Oromo والقبائل العربية من بنى شنقول قماز وصومالى الأوجادين وغيرها، وعلى أن يكون الهدف ليس سد النهضة فقط المقام على أرض وملكية مصرية منذ القرن التاسع عشر، وإنما جميع السدود والمنشآت المقامة على النيل الأزرق وبحيرة تانا ونهر السوباط يكون من شأنها منع التدفق السلس لمياه النيل طبقاً لاتفاقية الإمبراطور منليك الثانى عام 1902 مع بريطانيا والتى تعهد فيها فى مقابل حصوله على منطقة بنى شنقول عدم السماح بإقامة أية منشآت على النيل الأزرق وبحيرة تانا ونهر السوباط، وضرورة احترام إثيوبيا لهذه المعاهدة، فيما تحترم مصر المعاهدات والمواثيق الدولية، ومنها ما أقره ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية فى 25 مايو 1963 من ضرورة الحفاظ على المعاهدات والمواثيق الاستعمارية، وهو ذات ما أقرته اتفاقية فيينا للأمم المتحدة عام 1978 المعروفة باتفاقية التوارث الدولى للمعاهدات الدولية. فالأمر بالنسبة لمصر يمثل حق بقاء إنسانى وأى عبث به يهدد السلم والأمن الإقليمى من جانب إثيوبيا تجاه شعوب وادى النيل فى مصر والسودان، وتقدر خطورته وعواقبه وتداعياته دول العالم، حيث إن عدم سرعة تدارك ذلك يفتح المجال واسعاً أمام فوضى قانونية تؤدى إلى العبث بقواعد وأحكام القانون الدولى للأنهار الدولية عابرة الحدود.

أهم المراجع:

- محمد شفيق غربال: تكوين مصر، طبعة 1953.
- هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة د. محمد صقر خفاجة عن الإغريقية الكلاسيكية، مراجعة د. أحمد بدوى، دار القلم، القاهرة 1966.
- محمد حسنى أمين: النيل يتحول، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة مايو 1964، سلسلة كتب قومية.
- محمد العزب موسى: وحدة تاريخ مصر، وزارة الثقافة، القاهرة 1970.
- السفير الدكتور عادل السالوسى: سد النهضة الإثيوبى وتأثيره السلبى على مصر والسودان، مجلة الدبلوماسى، العدد 285، نوفمبر 2019.
- السفير الدكتور عادل السالوسى: مصر فى ميزان التاريخ والجغرافيا والقانون والسياسة وسد النهضة، مجلة الدبلوماسى، العدد 290، إبريل 2020.
- السفير الدكتور عادل السالوسى: الدولة عبر التاريخ فى السياسة والجغرافيا والقانون والجيوإستراتيجى، مجلة الدبلوماسى، العدد 291، مايو 2020.
- Melcolm Shaw: International Law، Cambridge، London 2011
- George Sabine: A History of Political Theory، London، 1937

أسباب عزوف الشباب عن الالتحاق بوزارة الخارجية

رداً على تساؤل بعض السادة نواب الشعب الكرام عن أسباب عزوف الشباب عن الالتحاق بوزارة الخارجية، أسمح لنفسى بالرد على هذا التساؤل بصفتى عملت فترتين من أجمل فترات حياتى مديراً لمعهد الدراسات الدبلوماسية وكان عملى هو تدريب الشباب حديث الالتحاق بالوزارة فأجد نفسى قادراً على تقدير أسباب عزوف الشباب عن الالتحاق بها فى عدة نقاط هى:

سفير أسامة توفيق بدر
osama56@hotmail.com

أولاً: عوامل تكوينه وهى العوامل التى تدخل فى تكوين حديث التخرج وجعله عاجزاً عن اجتياز امتحانات القبول للتعيين كملحق دبلوماسى وأهمها:

- الضعف الشديد فى اللغات الأجنبية حيث لابد من إجادة لغتين أجنبيتين على الأقل.
- الضعف الشديد فى اللغة العربية وهى لغة التخاطب الوحيدة بين الوزارة وبعثاتها فى الخارج.
- عدم الإلمام بتاريخ وجغرافية بلادهم وبلاد المنطقة وهو أساسى فى امتحانات القبول بالإضافة إلى ضرورة إجادة علمى الاقتصاد والقانون الدولى.
- أهمية التعامل مع الحاسب الآلى بتمكن.

وكثير ممن تقدموا للامتحان من خريجى المدارس الأجنبية ينجحون فى امتحانات اللغات ويرسبون فى اللغة العربية أو القانون الدولى.

ثانياً: ظروف العمل وعوامل المنافسة:

- ضعف مرتبات وزارة الخارجية وخصوصاً فى الداخل وكثيراً ما وجدت بعض مَن تم تعيينهم فى الوزارة وكانت لهم وظائف أخرى قبلها قد استقالوا بحجة أن مرتباتهم أقل بكثير من مرتباتهم فى الوظائف السابقه وأهم تلك الوظائف كانت النيابة والجامعات وشركات البترول والبنوك والشركات الدولية.

ويضاف لهذا البند أن الدبلوماسى مطالب بالبحث عن مسكن مشرف فى مكان متميز ويجهزه بشكل لا يقل عن أمثاله من دبلوماسى الدول الأخرى ويشترى سيارة مشرفة وتقدم له الوزارة بدل سكن يكفى فى بعض الدول الصغيرة ولا يكفى فى الدول الكبرى كلندن وباريس ويطالب أهله فى مصر بالمعاونة إذا كانوا مقتدرين وخصوصاً شباب الدبلوماسيين.

- الواعز الدينى فبعض الذين يتقدمون يظنون أن تناول الكحوليات هو شرط أساسى وهذا غير صحيح ولكن إذا حضر حفل استقبال لدولة أجنبية يقدم كحوليات فلا يجب عليه أن يعظهم ولكن يكفيه أن يطلب عصيراً أو مشروباً غازياً.
- واعز الأسرة وخصوصاً بالنسبة للسيدات فهن سيواجهن تشتتاً أسرياً فهل ستترك زوجها وتسافر لأربع سنوات وهل تصطحب أولادها أم تتركهم للزوج رغم أن نسبة السيدات فى الخارجية من أعلى النسب فى الوظائف فى مصر.
- عامل الأبناء فعند التحاق الدبلوماسى بسفارة فى الخارج يحاول إلحاق الأبناء بمدارس بنفس نوع مدارسهم فى مصر وقد يجد أو لا يجد فكثير من الدول وخصوصاً الإفريقية والآسيوية قد لا تتوافر فيها اللغات المطلوبة وبالتالى إما أن يدرسوا من المنزل أو يحاولوا أن يتأقلموا مع لغة أخرى ومنهج آخر وهكذا لمدة ٤ سنوات أو تبقى الزوجة والأولاد للدراسة فى مصر ثم تعاد الكرة كل فترة مرة أخرى، وعند الوصول للتعليم الجامعى يصعب جداً وجود جامعات فى أغلب الدول التى سيعمل بها الدبلوماسى إلا فى دول محدودة ككندا وأستراليا وفرنسا وبريطانيا، وبعض الجامعات لاتكون فى متناول الدبلوماسى لارتفاع مصاريفها الدراسية التى لا تساهم فيها الوزارة بأكثر من ٥٠٪ وبحد أقصى مبلغ معين يكون غالباً أقل من الحقيقة ودون مصاريف إضافية كالأوتوبيس وخلافه.
- عامل طبيعة العمل والمخاطر فالدبلوماسى بخلاف أى موظف فى الدولة ليست له ساعات عمل محددة ولا طبيعة خاصة لعمله فعليه أن يحاول أن يجمع أكبر قدر من المعلومات عن الدولة التى يعمل فيها ويكتب بها تقريراً للوزارة إذا وافقه سفيره على ما جاء فى التقرير وعليه أن يسرع لتغيير ثيابه وحضور حفل عيد قومى ثم يذهب إلى المطار لاستقبال ضيف رسمى زائر.

وفى الصباح عليه مقابلة نظيره فى خارجية الدولة المضيفة أو فى إحدى السفارات وإذا توفى مصرى فى الخارج فعليه أن يشرف على تشييع التابوت وشحنه لمصر إلا إذا رغب أهله فى غير ذلك وطبعاً قبل ذلك يكون استخراج تصريح الدفن بعد موافقة سلطات الدولة وتأكدها من أسباب الوفاة، وفى يوم أجازته الأسبوعية السبت والأحد على الدبلوماسى أن يسرع مبكراً جداً إلى السفارة للإشراف على امتحانات أبناء المصريين فى الخارج التى تستمر خمسة أيام ثم على ملاحق الامتحانات، وفى سبت آخر فعليه الإشراف على صناديق انتخابات مجالس النواب والشيوخ والمحلية إذا وجدت ثم انتخابات الإعادة وكل مرحله تمتد ليومين أو ثلاثة من التاسعة صباحاً إلى التاسعة مساء دون راحة وتتكرر نفس العملية كلما توفى عضو من أعضاء هذه المجالس وبنفس أوقات العمل بخلاف الأعمال القنصلية من تصديقات وتأشيرات واستخراج جوازات سفر والتوكيلات والتصديقات والزواج والطلاق والرقم القومى وهى المبالغ التى تدر عائداً كبيراً يحول إلى وزارة المالية ولا تستفيد به السفارة ولا الدبلوماسيين.

وفى سبيل أداء عمله يجب أن يرتدى ثياباً جميلة ومتنوعة تليق بوظيفته وهو ما يكلفه هو وزوجته مبالغ طائلة من جيبه الخاص، وأيضاً مطلوب منهم إقامة حفلات غذاء أو عشاء وعلى السفير إقامة الأعياد القومية وكلها على نفقتهم الخاصة.

ولا يتقاضى الدبلوماسى أى بدل أو أجر إضافى عن كل هذه الأعمال الشاقة بينما تدفع نفس الوزارة للمحليين الأجانب أجراً إضافياً عن أية ساعة عمل إضافية وأجراً مضاعفاً عن العمل فى العطلات حيث تلزم قوانين بعض الدول السفارات بذلك.

وبالنسبه للمخاطر فإن الدبلوماسى الذى يعمل فى بعض الدول يصاب أكيد بالملاريا وبالإضافة إلى أمراض خبيثة أخرى ولا يتوافر له علاج مناسب فى هذه الدول.

ونتيجة لسياسات التقشف وضغط الإنفاق فإن أغلب السفارات عدد الدبلوماسيين فيها سفير + عضو دبلوماسى وهو ما يؤدى إلى ضغط شديد عليهم.

وأخيراً فإن الدبلوماسى الذى قضى حوالى ٤٠ عاماً من عمره فى هذه الوظيفة الشاقة يتقاضى معاشاً حوالى ثلاثة آلاف جنيه أى أقل من معاشات فئات متعددة فى مصر.

وعلاج هذه الصعوبات ليس فى متناول وزارة الخارجية التى تعف عن المطالبة بحقوق دبلوماسييها ولكنه فى متناول وزارة المالية التى يجب عليها أن تولى وزارة الخارجية رعاية خاصة بعد العرض على مجلس النواب ويكون هناك كادر خاص حقيقى وليس شكلياً للمرتبات وساعات العمل الإضافى والمعاشات أيضاً.

فى الذكرى المئوية للحزب الشيوعى الصينى

النشأة والسمات:

يمثل شهر يوليو من كل عام شهر الصيف الشديد، وهو أيضاً شهر العديد من الثورات، وقد انطلق الحزب الشيوعى الصينى فى شهر يوليو / تموز واستطاع خلال تسعين عاماً من نشأته أن ينقل الصين من دولة متخلفة إلى القوة الثانية الاقتصادية فى العالم، أو «دولة نامية كبرى» كما يحب الصينيون أن يطلقوا عليها.

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

ولكنها من دون أدنى شك هى دولة كبرى على المستوى العالمى، وهى فى مرحلة صعود بسرعة غير مسبوقة فى تاريخ الشعوب فى العالم قاطبة بهذه السرعة والاستمرارية وبالعملية التراكمية.

النموذج الصينى قام على أربع ركائز مهمة، وهى: القيادة، والأيديولوجية، والحزب، والجيش. وبالطبع الإطار الذى يغلف ذلك كله هو الشعب الصينى الذى يتسم بالجدية فى العمل والإخلاص للوطن والانضباط الشديد والطموحات المعتدلة. وفى هذه الأيام تصادف الذكرى المئوية للحزب الشيوعى فإننا نركز عليه دون الركائز الأخرى، ونقدم عرضاً سريعاً لنشأته وتطوره عبر العقود التسعة الماضية، والتحديات التى يواجهها فى الفترة المقبلة.

مراحل التطور

المرحلة الأولى فى العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين وهو عقد التحدى الأكبر أمام الحزب الشيوعى الصينى الذى نشأ عام 1921 عندما أعلن ذلك المفكر الصينى سكرتير أول الحزب آنذاك تشين شياو دو، ولعل ذلك يرجع إلى عدة اعتبارات:

الأول: إنه العقد الذى يكمل المئة الأولى للحزب، وهى فترة زمنية ليست قصيرة مقارنة بالكثير من الأحزاب فى العالم.

الثانى: إنه عقد يتسم بالتغيرات السريعة والمتلاحقة، وهذا يخلق العديد من التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

الثالث: إن الصين ذاتها تطورت خلال المائة عام عبر ثلاث مراحل جد مختلفة، مرحلة النضال ضد العدوين الخارجى (الاستعمار اليابانى بوجه خاص) والداخلى (الكومنتانج ممثلاً للإقطاع والسيطرة على مقدرات البلاد وحرمان الأغلبية)، وظلت تلك المرحلة ما يقرب من ثلاثين عاماً (1621 - 1949).

والمرحلة الثانية ثلاثون عاماً أخرى (1949 - 1978) أصبح الحزب هو محور نشاط الدولة ومهندس خططها التنموية وأساس قاعدة الحكم.

والمرحلة الثالثة من 1978 حتى الآن وهى أكثر قليلاً من ثلاثة عقود، حيث دخل الحزب مرحلة تحديات أكثر صعوبة فى سعيه لتحقيق أهدافه.

ويمكن القول بأن المرحلة الأولى كانت واضحة فى أهدافها وهى مواجهة العدوين الخارجى والداخلى، وواجه الحزب تحديات عاتية خصوصاً وأن معظم عمله اتسم بثلاث سمات هى:

الأولى: إنه عمل سرى باعتباره قوة ناشئة تتحدى قوى موجودة على الساحة السياسية، ولديها السلطة السياسية والأدوات القانونية والأدوات القمعية فضلاً عن الأداة الاقتصادية. هذا الحزب الشيوعى الناشئ كان مثله مثل طفل يتحدى عملاقاً، ومن ثم لجأ للعمل السرى والانضباط الشديد والاختيار الدقيق لأعضائه.

الثانية: إنه سعى للبحث عن البوصلة الحقيقية لعمله هل هى الأيديولوجية الشيوعية التقليدية، كما عبر عنها ماركس وانجلز وكما طبقها لينين؟ وهل القوة الفاعلة لتحقيق الهدف هى البروليتاريا؟ وهل الهدف هو الوصول إلى الجنة الموعودة بإزالة الطبقات وتحقيق المساواة التامة فى إشباع الحاجات حسب المبدأ الشيوعى التقليدى «من كل قدر

طاقته ولكل وفق حاجته»؟

الثالثة: إنه عمل فى ظل الظروف الصعبة ومن ثم واجه عملية التغير المستمر أو بالأحرى عملية تطهير صفوفه بصورة مستمرة.

السمات الثلاث (السرية فى العمل، البحث عن البوصلة/ الأيديولوجية الصحيحة، الحرص على النقاء الأيديولوجي)، وهذه السمات فى عمل الحزب أدت للصراع الداخلى المستمر وفقاً لمبدأ التطهير التقليدى من خلال النار التى تعبر عن ثلاث صفات: أداة إنارة واسترشاد، وأداة تطهير وتنقية، وأداة طاقة وقوة دفع للتقدم.

تقييم طبيعة ونتائج مراحل تطور الحزب الشيوعى الصينى هذه السمات الثلاثة السابق ذكرها ظلت تعمل بقوة خلال العقود الثلاثة الأولى لحياة الحزب، ونعرض بإيجاز لكل مرحلة:

المرحلة الأولى عبر فيها قادة الحزب عن نخبة من المثقفين والمفكرين الذين تأثروا بالفكر الشيوعى التقليدى، ومع التطور والانصهار فى الصراع برز من بين جماهير الحزب نخبة جديدة عبرت عن امتزاج الفكر التقليدى الشيوعى مع الفكر التقليدى الصينى، مع الظروف المتغيرة للصين. ولهذا تحول الحزب من فلسفة الماركسية اللينينية القائمة على البروليتاريا إلى فلسفة الماركسية اللينينية التى أضيف إليها فى الثلاثينيات بصورة أكثر وضوحاً حيث طرح القيادى فى الحزب ماوتسى تونج آنذاك المفهوم القائم على الفلاحين بعد أن قدم تقريره المشهور عام 1927 وأحدث ذلك انقلاباً داخلياً فى فلسفة الحزب وبرز نجم ماوتسى تونج كقائد صاعد، ثم انطلق فى حرب العصابات والمسيرة الكبرى فى عام 1935 ليصبح بعدها زعيم الحزب بلا منازع. ثم أطلق فلسفته فى الثقافة الجديدة وغيرها من المبادرات وقاد عدة حملات لتطهير الحزب من حين لآخر، وفقاً لظروف الصراع الداخلى من ناحية، والصراع على الساحة السياسية والعسكرية فى مواجهة الكومنتانج واليابان من ناحية أخرى. وقد تنوع موقف الحزب الشيوعى تجاه الكومنتانج من الصراع ضده حيناً، والتحالف معه حيناً آخر، حتى أمكنه حسم الصراع النهائى لصالحه بعد الحرب الأهلية الأخيرة من 1945 - 1949 وهروب الكومنتانج إلى جزيرة تايوان.

والمرحلة الثانية من التطور يمكن القول إنها امتدت إلى ثلاثة عقود تقريباً سادتها نفس الروح النضالية الثورية بمفهوم العقود الثلاثة الأولى، وهى البحث عن النقاء الأيديولوجى، والقيام بأعمال تطهير متعددة، بلغت ذروتها فى الثورة الثقافية البروليتارية العظمى على مدى عقد كامل (1966 - 1976). وأدت إلى إنهاك صفوف الحزب، وتفكك عراه، وتدهور اقتصاد الدولة، وتراجع سمعتها الدولية.

ورغم أن الفكر الماركسى وخصوصاً الصينى تحدّث عما أسماه المراهقة الفكرية اليسارية حيناً، واليمينية حيناً آخر، إلا أنه مارس هو نفسه مثل هذه المراهقة، وهو فى السلطة بأكثر مما مارسها وهو فى مرحلة النضال. ولعل دوافع ذلك أن مرحلة السلطة وتحقيق أهدافها والحفاظ عليها كان أكثر صعوبة وتعقيداً من مرحلة النضال فى العقود الثلاثة الأولى.

فكان الهدف الأول (1) هو استعادة وحدة الصين فى ظل هدف مراوغ بعد هروب الكومنتانج لتايوان، واستمرار سيطرة بريطانيا العظمى على هونج كونج، وسيطرة البرتغال على مكاو.

والهدف الثانى (2) هو تحديث الدولة وقد واجه صعوبات فى اختلاف رؤية دولة ثورية ناشئة (الصين) مع دولة ثورية اتجهت نحو الاستقرار (الاتحاد السوفيتي)، الأولى لاتزال تفكر بالمغامرة الخارجية دون دراسة متمعنة للعلاقات الدولية ومخاطرها الناشئة عن تنوع القوة والمصالح بين الدول، والثانية تعطى أولوية لميزان القوى الدولى، ومخاطر المغامرات غير المحسوبة، وخصوصاً عندما تعتمد القوة على السلاح النووى.

والهدف الثالث (3) هو الوفاء بالاحتياجات الأساسية للشعب وهو الأمن والنظام، الاستقرار السياسى، والمطالب الجوهرية من سكن ومأكل وملبس وتعليم وثقافة ونحو ذلك.

وكانت هذه المرحلة التى يعيشها الاتحاد السوفيتى فى عقد الخمسينيات وخصوصاً بعد موت ستالين ومرحلة تأسيس الدولة، فى حين كانت الصين تدخل مرحلة تأسيس دولتها الشيوعية، ومن ثم اختلفت أولويات الدولتين مما أدى إلى الانشقاق فى صفوف الحزبين الشيوعيين الصينى والسوفيتى، ودخلا فى مساجلات أيديولوجية تغذيها أساساً عقد الزعامة وطموحاتها من ناحية، وطبيعة النظرة للبيئة الدولية من ناحية ثانية، واختلاف أولويات الدولتين والحزبين من ناحية ثالثة، وتأثير الجغرافيا السياسية أو الجيوبوليتكس فى كل حالة (الاتحاد السوفيتى بيئة أوروبية بتاريخ وفكر وسلوكيات مختلفة عن بيئة الصين الشعبية الشرقية وقيمها وأولوياتها ومصالحها وإطارها الأمني).

الاتحاد السوفيتى كانت أولوياته الأمنية فى أوروبا وفى مواجهة الولايات المتحدة بأسلحتها النووية وصواريخها عابرة القارات.

فى حين الصين كانت أولوياتها الأمنية مواجهة اليابان، وتزعم حركة الثورة العالمية، بمنطق نظرية تطويق الريف العالمى للمدينة العالمية. وهذا دون إغفال الصين أهمية التطور التكنولوجى وخصوصاً المجال النووى، ولذلك فجّرت أول قنبلة نووية لها عام 1964.

المرحلة الثالثة، وهى العقود الثلاثة الأخيرة (1978 - 2011)، وهى مرحلة بناء ركائز الدولة الوطنية (أو ما أطلق عليه الشيوعيون السوفيت بناء الاشتراكية فى وطن واحد) إثر الصراع بين لينين وتروتسكى. مرحلة بناء الاشتراكية فى الصين قبل التفكير فى الثورة فى العالم الثالث (كما حدث فى محاولة الانقلاب الفاشل فى إندونيسيا عام 1965)، وفى مواقع أخرى، وإن كانت أقل بروزاً عبر انقسام الأحزاب الشيوعية ما بين الفكر الماوى والفكر السوفيتى. هذا الانقسام عمل لمصلحة السوفيت باعتبارهم قوة دولية، ودولةً أكثر تأثيراً ونضجاً فى العمل السياسى الحزبى والإقليمى والدولى، ومن ثم أكثر قدرة فى التأثير على الساحة الدولية المفتوحة للصراع والتنافس، وهى الساحة العربية والإفريقية والآسيوية وإلى حد ما أمريكا اللاتينية والكاريبى.

السوفيت والاتجاه الواقعى للسياسة

اتجه الاتحاد السوفيتى نحو الواقعية فى السياسة الدولية، بعد أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962 وبعد إقامة سور برلين عام 1961 فى حين اتجهت الصين للواقعية فى السياسة الدولية بعد عام 1978، وإن بدت إرهاصاتها منذ أوائل السبعينات بالانفتاح على الولايات المتحدة بزيارة كيسنجر السرية للصين، ما أدى إلى حصولها على مقعدها فى الأمم المتحدة عام 1971.

واتسمت المرحلة الثالثة هذه بالنسبة للحزب الشيوعى الصينى بخمس سمات أساسية هى:

1 - التغير الجذرى فى فلسفة الحزب وسياسة الدولة بإطلاق سياسة الانفتاح والإصلاح التى دعا إليها الزعيم دنج سياو بنج عام 1978.

2 - تغير الشعار العملى للحزب إلى شعار «الاشتراكية بخصائص صينية»، كما تغير منهج العمل والإدارة والإنتاج إلى شعار «لا يهم لون القطعة أحمر أو أسود طالما تصطاد الفئران». بعبارة أخرى المهم النتيجة وليس الأداة والوسيلة. وفى السياسة الخارجية انتهجت الصين سياسة خارجية تركز على مفهوم «التنمية والسلام والتعاون»، وليس على مفاهيم نشر الثورة الشيوعية أو دعم الدول النامية من خلال المعونات والمساعدات المجانية. وقام التعاون الدولى فى مرحلة اتجاه الصين نحو الإصلاح والانفتاح على أساس مبدأ آخر وهو «دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروعات فى الدول النامية أو بالأحرى المبدأ الصينى التقليدى

فى الذكرى المئوية للحزب الشيوعى الصينى

«علمنى الصيد بدلاً من أن تعطينى سمكة».

3 - تغير القوى العاملة والمكونة للحزب عبر العقود الثلاثة من التركيز على البروليتاريا والفلاحين، إلى إدخال المثقفين ثم الرأسمالية الوطنية أو بالأحرى رجال الأعمال.

4 - تغير التركيز من الاقتصاد الزراعى والصناعة التقليدية إلى الاهتمام بالصناعات التكنولوجية وصناعة المعرفة.

5 - تحولت الصين من دولة فقيرة إلى دولة نامية كبرى - كما تطلق على نفسها - ولكنها من الناحية العملية أصبحت مصنعاً للعالم ومركزاً للإنتاج العالمى. ومن ناحية أخرى تركزت دبلوماسيتها الخارجية على السعى للحصول من مختلف الدول على المواد الخام الأولية اللازمة للصناعة مثل الحديد والرخام والمعادن المختلفة، إلى موارد الطاقة من النفط والغاز. وأصبحت الصين منافساً رئيساً فى السوق الدولية عبر القارات ومع مختلف الدول وفى مختلف المناطق الجغرافية.

وترتب على ما سبق خمس ظواهر مهمة:

الأولى: تراجع المفهوم الأيديولوجى لمصلحة مفهوم المنفعة المتبادلة.

الثانية: الحرص الشديد على عدم التورط فى أى صراعات خارج أرض الوطن ونشر مفهوم التناغم داخلياً وخارجياً.

الثالثة: الانطلاق فى الاستثمار فى الخارج لتنويع محافظها الاستثمارية ما بين الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة وأوروبا والدول النامية.

الرابعة: ارتفاع مستوى المواطن الصينى اقتصادياً وتحقيق حاجاته الأساسية بعد أن كانت الصين تعيش مرحلة حد الكفاف الاقتصادى منذ وصول الحزب للسلطة حتى عام 1978، وكانت تواجه المجاعات وخصوصاً فى الخمسينات والستينات حتى أوائل السبعينات.

الخامسة: تحقيق إصلاح اقتصادى واجتماعى وإلى حد ما ثقافى مع الحفاظ على الدور القيادى للحزب فى القرار السياسى.

ولقد أدى تطور فلسفة الحزب وإدخال عناصر جديدة فكرياً واجتماعياً فى دستوره إلى بروز نوع ما من التعددية الفكرية والمنهجية والسلوكية فى الحزب ما بين الجناح المحافظ والجناح الليبرالى الداعى لمزيد من الانفتاح. ولكن بقيت الأسس النظامية والدور المحورى للحزب فى الدولة وإن تراجع ذكر اسمه كثيراً، وخفت شعاراته التقليدية.

وهذا طرح التساؤل عن دور الحزب فى المستقبل، بل التساؤل الأعمق ماذا بقى من الفلسفة والفكر الشيوعى فى الصين الجديدة؟ ولعل ذلك ما دفع قيادات الحزب إلى القيام بحملات من حين لآخر للترويج للحزب ودوره المحورى. وهو فى الحقيقة تحول إلى حزب حاكم يقود شتى مجالات الإدارة، ويسيطر على مفاصل القرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى، ولكن من خلال المنهج المرن الذى يضع القواعد الرئيسية ويعين كبار المسئولين فى مواقع الإدارة ويترك للقوى الجديدة الصاعدة حرية الحركة والتنافس والإنجاز.

التحديات الكبرى وآفاق المستقبل أمام الحزب الشيوعى الصينى والنظام الصينى

يمكن أن نطرح التحديات التى يواجهها الحزب الشيوعى الصينى فى العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين، فى عدة محاور وهى: تحدى التجديد الفكرى، تحدى الأقليات القومية، تحدى الشباب، تحدى النمو الاقتصادى، والدور الدولى للصين فى القرن الحادى والعشرين.

التحدى الأول: هو تحدى التجديد الفكرى، لقد أشرت إلى إدخال الحزب عدة أفكار جديدة فى عهد قيادة دنج سياو بنج ثم فى عهد جيانج تزمين، وأخيراً فى عهد خوجنتاو. وأيضاً أدخل الحزب بقيادة الرئيس الحالى شى جين بينج تعديلات على دستور الحزب ودستور الدولة. وبعض الأفكار التى كانت ذات صبغة عملية تجاوبت مع متطلبات مرحلة النمو الاقتصادى. ولكن التجديد الذى يمثل تحدياً هو ضرورة إعادة النظر فى فلسفة الحزب الشيوعى وأسسها. وفى تقديرى أن هذا حدث إلى حد كبير، ولكن بأسلوب عملى وليس بأسلوب فلسفى، فعلى سبيل المثال، إن طرح مفهوم «الاشتراكية بخصائص صينية» ويمكن القول عملياً بأن مثل طرح مفهوم «الرأسمالية بخصائص صينية»، أو ما أطلق عليه دعاة الرأسمالية الجديدة فى منتصف القرن العشرين بأنه «الرأسمالية الذكية». ويبقى السؤال هل المنهج العملى هو الذى يقود التطور أم المنهج الفلسفى الأيديولوجى الذى عبر عنه كارل ماركس وانجلز بل وحتى ذلك الذى عبر عنه هيجل فى مفهوم الديالكتيك فى الفلسفة الألمانية، والتى أدت إلى نشأة الوطنية الألمانية. والسؤال هل نحن أمام صورة جديدة من الوطنية الصينية؟ وما هى خصائصها؟ وما هو دور الحزب الشيوعى فى هذا المجال؟

التحدى الثانى: هو تحدى الأقليات القومية وخاصة فى التبت وسينكيانج ومنغوليا الداخلية، باعتبارها أكبر الأقليات فى الصين ومناطقها حدودية فى البر الصينى Mainland وتتفاعل مع دول مجاورة لها، وما مدى تجاوب الحزب مع مطالب هذه الأقليات المشروعة بما يحقق لها طموحاتها دون أن يؤثر فى الوحدة الإقليمية للصين؟ بعبارة أخرى هل يمكن للحزب الشيوعى الصينى أن يطرح فى القرن الحادى والعشرين نظرية جديدة للتعامل مع الأقليات القومية على غرار نظرية دنج سياو بنج فى التعامل مع هونغ كونغ ومكاو؟ هل يمكن أن يعطى تلك الأقليات القومية مزيداً من الحكم الذاتى الحقيقى فى إطار الدولة الواحدة؟

التحدى الثالث: هو تحدى الشباب الذين يمثلون الأغلبية فى المجتمع الصينى المعاصر، وهم أغلبية حققت تقدماً علمياً، وبعضاً من الرفاهية الاقتصادية والمعيشية ولم يعيشوا مرحلة النضال وقسوة الحياة، ولم يعاصروا حملات الحزب عبر العقود الستة السابقة. السؤال ما هو دور هذا الشباب فى فلسفة الحزب فى المرحلة القادمة؟ إننى أدرك بأن إحدى ركائز التقدم الاقتصادى الذى أطلقه دنج سياو بنج، كان تغيير القيادات، وإعطاء الشباب دوراً أكبر فى الإدارة، ولكن السؤال الآن فى ظل ثورات الشباب فى العالم وخاصة فى الشرق الأوسط، وكان لذلك إرهاصاته فى الصين عام 1989، هل يعيد الحزب النظرة نحو الشباب وتطلعاته السياسية نحو مزيد من الليبرالية السياسية؟ لقد استفسر منى كثير من الباحثين الصينيين فى بعض المؤتمرات التى حضرتها مؤخراً عن ثورات العالم العربى أو انتفاضاته بما يوحى بوجود قلق صينى من احتمالات امتداد ذلك لمناطق أخرى من العالم ربما تشمل الصين.

التحدى الرابع: تحدى النمو الاقتصادى هذا التحدى يمكن أن نطلق عليه التحدى المراوغ Evasive بمعنى أن النمو الاقتصادى حقق تقدماً كبيراً، وزيادة فى الإنتاج، ولكنه خلق مشاكل جديدة بظهور طبقة من الأغنياء بل المليونيرات فى الصين مما أوجد فوارق ضخمة بين الطبقات، وهو ما يتعارض تماماً مع الفلسفة الشيوعية، بل إن هذه الفوارق برزت أيضاً بين أقاليم الصين بعضها بعضاً. وهناك ظواهر اجتماعية جديدة ليست بالضخامة، ولكنها تشوه صورة الصين والحزب الشيوعى، ومن تلك الظواهر انتشار الفساد، والمخدرات، والدعارة والتسول فى الطرقات، وبالقرب من محطات المترو والقطارات والسيارات والفنادق. لقد قضت الصين الشيوعية على تلك الظواهر الاجتماعية السيئة، ولكنها عادت مجدداً رغم محدوديتها فهى تشوه صورة الإنجاز والمعجزة الصينية العظيمة.

حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى

سفير يسرى القويضى
ykouedi@yahoo.com

حكايات اذا لم تسجل ستضيع ..... قد تبدو غير مهمة لكنها تحمل معلومة ربما تنطوى على عبرة، أو حكمة، أو حتى مجرد فكاهة.

فى أحد أيام خدمتى بواشنطن بسبعينيات القرن العشرين..... ذهبت للسوبر ماركت أتبضع بعض احتياجاتى اليومية، فالتقيت مصادفة زميلاً دبلوماسياً عربياً صديقاً، فذكرنى بموعد اجتماع المجموعة العربية بالغد.

صارحنى بأنه يستشعر تعقد وتشعب الموضوع المطروح للمناقشة فى اجتماع الغد، وأنه متحير كيف يمكن التعامل معه؟

قلت له «لا تحير نفسك، كل شئ قابل للحل»..... سأطرح عليك سؤالاً، أرجوك لا تستغربه، فكر فى رمزيته ومغزاه، فقد يساعدنا ذلك فى الاهتداء لأسلوب يسهل علينا تحقيق نتيجة نرضاها.

السؤال هو: هل يمكنك وضع قضيب معدنى طوله كيلومتر فى قاعة صغيرة؟

ابتسم الصديق قائلاً: سؤال هذا أم فزورة .....! أجبته، أياً كان الأمر فذلك حدث بالفعل، قام به فنان أمريكى اسمه والتر دى ماريا عام 1979.... لقد قطع القضيب المعدنى إلى 400 جزء، طول كل منها متران ونصف، وَصَفَّ القضبان متجاورة فى قاعة العرض، فحقق بذلك فكرة وضع الشئ الكبير فى حيز محدود. تأمل يا صديقى هذا المنطق الفكرى، الذى يمكن تطبيقه فى مواجهة أشياء كثيرة فى حياتنا..... أليس كذلك؟

إذا صادفنا شيئاً يصعب التعامل معه لضخامته ..... الحل يكون فى تجزئته، فيمكن استيعابه فى الحيز (الزمنى أو المكانى) المحدود المتاح أمامنا.

يا صديقى العزيز ..... إنها فكرة فلسفية عميقة رغم بساطتها، استطاع الفنان والتر دى ماريا تقريبها لنا فى منظور بصرى. إنه عمل فنى مفاهيمى من طراز لم نألفه من قبل، طراز يتطلب منا أن نقف أمامه نفكر فيه لاستيعابه.

علت ملامح الدهشة وجه الصديق الزميل الدبلوماسى العربى، وبدا أن حيرته لم تنقشع، بل زادت عمّا كانت عليه... رجوته أن يفكر مليّا فى الأمر، وتمنيت له وقتاً سعيداً وحظاً وفيراً، حتى نلتقى فى الاجتماع الذى أشار إليه.

للأسف كان موقفه فى الاجتماع معارضاً لفكرة تجزئة المطلوب تحقيقه..... مَنْطِقُه الخيالى، الرومانتيكى، المثالى لا يسمح له سوى بقبول الحل الكامل.

مرت عشرات السنوات.... ظل صديقى غير مقتنع بالحلول الجزئية على مراحل، متمسكاً بالحل الشامل دفعة واحدة وهو ما لم يتحقق. وعندما تَقَبّل أخيرا فكرة الوصول لأهدافه على مراحل، كان قد فقد الكثير من الجهد والوقت والفرص.

والتر دى ماريا

إمبراطورية القندس

القندس هو حيوان من القوارض من أسرة تضم السناجب والفئران يتراوح وزنه عند البلوغ بين 25 و30 كجم. ويمكن إطلاق عليه لقب مهندس سدود الغابة فهو يقرض بثناياه الحادة جذوع الأشجار حتى تسقط ويضعها فوق بعضها عبر مجرى الأنهار ليكون سداً يحجز المياه ويكون بحيرة يقيم بها بيته ويحتمى فيه.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

حبا اللـــه القندس بفراء ناعم كثيف يحميه من الـــبرد ومن البلل فكان نعمة عليه إلا أنه كان أيضاً نقمة عليه جعلته هدفاً ومطمعـــاً للصيادين، فانخفضت أعداده التى كانت تربو على 200 مليون حتى قارب على الانقراض فى الثمانينات من القرن الماضى. وبعد جهود حثيثة من قبل الحكومـــات ومنظمات البيئة وصل تعداده الآن إلى حوالى 10 ملايين أى 5٪ من تعداده عنـــد وصول الرجل الأبيض إلى أمريكا. كانت فرنســـا الســـباقة إلى إمبراطورية القندس بوصول المستكشف Jaque gortier إلى مـــا هى اليوم كندا فى عام 1534، واكتشـــف ثـــراء المكان بالغابات وتعرف عـــلى القندس وفرائه والإمكانات التجارية والاقتصادية التى يتيحها فأعلن استيلاءه على الأرض باسم فرانسيس الأول ملك فرنسا.

وفى عـــام 1627 منـــح الكاردينال ريشليو باســـم الملك لويس الثالث عشر امتيازاً لشركـــة La nouvell France لاستغلال ممتلكات فرنســـا فى أمريكا الشمالية والتى تمتد من المنطقة الواقعة بين خليج هدســـون وخليج المكســـيك والبحيرات العظمـــى وبين جبال روكى وجبال الأبـــلاش. وسرعان ما أطلق على هذه المنطقة من أمريكا الشـــمالية اسم فرنسا الجديدة.

سرعـــان مـــا أدرك المســـتوطنون الفرنسيون قيمة فراء القندس الكثيفة الجميلة العازلة للمـــاء الجالبة للدفء وعقدوا اتفاقات مع السكان الأصليين من الهنود الحمر ليصيدوا القندة فى أراضيهم أو لشراء الفراء التـــى صادوها مقابل مصنوعات أوروبية من فؤوس وخناجر وأســـلحة نارية وأقمشـــة ومصنوعات جلدية وأوعيـــة معدنية للطهى، وكانت العلاقات بين الفرنسيين والهنود الحمر علاقات صداقة ومودة وعاشـــوا معاً فى وئام وحدث تزاوج بينهم ونشـــأ جيل من الأطفال المهجنـــين عن هذا التزاوج وتعلم الفرنسيون اللغات المحلية للقبائل

الهندية وتعلم الهنود الفرنسية واعتنق بعضهم الكاثوليكية عن الفرنسين.

وحقق الفرنسيون ثروات طائلة من بيع فراء القندس فى أوروبا لصناعة المعاطف والقبعات، وكان هناك أيضاً طلب كبير على فراء القندس فى الصين لصناعة الأزياء الفاخرة للأثرياء، وسرعان ما اجتذبت فراء القندس القوة الإمبريالية البحرية الكبرى المنافسة لفرنسا، بريطانيا فتشكلت شركة خليج هدسون Hudson Boy company التى تأسست فى عام 1670 فى المنطقة التى سيطرت عليها بريطانيا والتى تقع بين جبال روكى وخليج هدسون والتى أطلق عليهاprince Rupert country نسبة إلى ابن عم الملك شارل الثانى.

وكان التنافس بين الشركة الفرنسية والشركة البريطانية من أسباب اندلاع حرب السنوات السبع التى نشبت بين بريطانيا وفرنسا فى الفترة من 1756 إلى 1763 والتى استعان خلالها الطرفان بحلفاء من الهنود الحمر. ولقد صور الكاتب الأمريكى James Fenimore cooper فى كتابه The last of the Mohicons أحداث هذه الحرب ومشاركة الهنود الحمر فيها.

واستمرت جاذبية القندس فى استقطاب الدول الكبرى فتشكلت فى عام 1799 الشركة الروسية الأمريكيةthe Russian American company فى عهد القيصر بولس الأول فى وقت كانت روسيا لاتزال تملك ألاسكا قبل أن تبيعها إلى الولايات المتحدة فى عام 1867 مقابل 7.2 مليون دولار أى حوالى 2 سنت للفدان!

ولقد تبنى إنشاء الشركة الروسية الأمريكية الكونت Romyantser وهو وزير التجارة ووزير الخارجية ومن الشخصيات الروسية المتفتحة المستنيرة الذى شجع رحلات الاستكشاف البحرية ومول رحلتين لسفن روسية حول العالم.

وكان الصيادون الروس العمود الفقرى للشركة الروسية الأمريكية فهم يعرفون القندس معرفة وثيقة وكانوا يصطادون الفصيلة الأوراسية منه التى تعيش على سواحل البحر الأسود وبحر البلطيق منذ القرن الرابع عشر. إلا أن الضغوط الاقتصادية بسبب حرب القرم والاضطرابات الداخلية فى روسيا دفعتها إلى بيع ألاسكا.

وفى عام 1808 أسس المستثمر الأمريكى john Jacob Astor الذى كون ثروته بتهريب الأفيون إلى الصين الشركة الأمريكية للفراء The american Fur company وصار عن طريق فراء القندس أغنى أغنياء الولايات المتحدة.

وفى عام 1789 تأسست شركة الجنوب الغربى The North West Company على يد الأخوين Joseph Frobisher وBenjamin وهما من سلالة القائد البحرى الإنجليزى الشهير Martin Frobisher الذى شارك فى قيادة الأسطول البريطانى الذى تصدى لأسطول إسبانيا الشهير Armada وحال دون احتلال إنجلترا فى زمن الملكة إليزابيث الأولى. وقد هاجر الشقيقان واستقرا فى كويبك بعد أن آلت كندا إلى حكم بريطانيا بعد هزيمة فرنسا فى حرب السنوات السبع.

وعملت كل شركة إلى استقطاب قبائل من السكان الأصليين وتسليحهم فتفرقت قبائل الهنود الحمر فى ولاءات للشركات وسادت العداوة بينهم وتحاربوا واقتتلوا، الأمر الذى سهل هزيمتهم والقضاء عليهم لاحقاً على يد المستوطنين البيض.

ونشبت العداوة بين الشركات المتنافسة وكانت فى البداية بين شركة خليج هدسون الإنجليزية وشركة فرنسا الجديدة، وبلغت أوجها زمن حرب السنوات السبع فتعرضت مراكز الصيد والتبادل التجارى للهجمات ولكن شهوة المال جعلت الحرب تنشب بين الشركتين الإنجليزيتين وتبادلوا الهجمات وكانت أشهرها مذبحة Seven Oaks Mossacare فى عام 1816 عندما هاجمت مجموعة مسلحة من شركة شمال الغرب مركزاً تجارياً لشركة خليج هدسون وقتلت كل من فى المركز وأحرقت منشأته مما أدى إلى هجوم مقابل فى العام التالى سقط فيه العديد من القتلى، الأمر الذى أدى إلى تدخل الحكومة البريطانية لدمج الشركتين.

وكان لصيادى الفراء دور فعال فى توسع الولايات المتحدة غرباً الذى تم عن طريق الممر المعروف باسم Oregon Trail الذى سلكه المستوطنون فى طريقهم للغرب، وهو الممر الذى مهده تجار الفراء الذين كانوا أدلاء للمستوطنين فى رحلتهم غرباً، كما كان تجار الفراء أول من أبحر على مياه نهر المسيسيبى الذى كان منطقة مجهولة غير مكتشفة حتى عبرها فى عام 1806 المستكشف William Clark وMeriwether Louis بتكليف من الرئيس توماس جيفرسون وفتح هذا الطريق الذى كان تجار الفراء أول من سلكه بوابة كبيرة إلى الغرب الأمريكى.

من الصعب أن نتصور أن حيواناً صغيراً مثل القندس يمكن أن يكون أساساً لقيام إمبراطوريات مالية وتجارية كبرى وأن يكون سبباً فى الحرب بين قوى كبرى وأن يكون محل تجارة هائلة تعبر الأطلنطى إلى أوروبا وتعبر الباسيفيك إلى الصين. لكن العجب يزول إذا عرفنا أن كائناً أصغر بكثير من القندس وهو دودة الحرير التى لا يتجاوز طولها بضع سنتيمترات قامت عليها تجارة الحرير وطريق الحرير الذى عبر قارات وامتد من الصين إلى أوروبا من خلال ممالك وإمبراطوريات وقامت حوله صراعات دامية وتكونت من خلاله ثروات هائلة.

بعد موكب المومياوات المصرية فى ابريل 2021:

متى يتحقق حلم وأمل المصريين عبر العصور، باستكمال بناء حضارتهم كما قضت حكمة الحياة -قراءة فى فكر د. طه حسين(2/1)

بعد كل حدث جليل أو أمر عظيم تمر به بلدنا نشعر بأننا قادمون على «عهد ووعد جديد» أو كما ذكر رئيسنا «جمهورية جديدة». والجدة هنا لابد أن ترتبط باكتساب مصرنا لحقوق جديدة وكذلك واجبها أن تنهض بواجبات خطيرة وتبعات ثقال تتوازى مع المسئولية «الجديدة». والفرق بين الإنسان وأى مخلوقات أخرى أن الإنسان هو فقط من لديه حضارة.

السفيرة د.عبير بسيونى
abassiouny@hotmail.com

ولا حضارة بدون ثقافة لها سمات مميزة، وتسعى للتزكية والسمو فى المستقبل، وتعى دروس الماضى وتبنى عليها.

وأهم ما غفل عنه الكثيرون مع مسئوليات الحياة العصرية الجسام هو واجب مصر الثقافى والحضارى فى المرحلة القادمة. ومدى ارتباط الثقافة والعلم كأساس الحضارة والاستقلال الوطنى والفكرى. ومغزى القوة التى تنشأ عن الثقافة والعلم، والثروة التى تنتجها الثقافة والعلم. ومنهاج أى بناء حضارى متين هو العمل الصادق النافع.

أولاً: ما هى الثقافة المصرية ومكوناتها:

من وحى موسوعة «مستقبل الثقافة فى مصر» لوزير المعارف الأسبق الأديب العلامة د. طه حسين، إصدار 1938 سنطالع كيف السبيل إلى تحقيق «حلم وأمل الثقافة المصرية». وسأبدأ من الخاتمة التى تؤكد على أن الثقافة المصرية مهما تكن ضعيفة ومهما تكن ناقصة ومهما تكن محتاجة إلى التقوية والتنمية والإصلاح، فهى موجودة ما فى ذلك وما ينبغى أن يكون فى ذلك شك، هى موجودة متميزة بخصالها وأوصافها التى تنفرد بها عن غيرها من الثقافات وأول هذه الصفات المميزة لثقافتنا المصرية أنها تقوم على وحدتنا الوطنية وتتصل اتصالا قويًا عميقًا بنفوسنا المصرية الحديثة كما تتصل اتصالا قويًا عميقًا بنفوسنا المصرية القديمة أيضاً، تتصل بوجودنا المصرى فى حاضره وماضيه، ومن حيث إنها تُصور آمالنا ومثلنا العليا فى الحياة فهى تتصل بمستقبلنا أيضاً بل هى تدفعنا إلى هذا المستقبل دفعاً، ولك أن تنظر فى أى لون من ألوان العلم والأدب والفن التى تدرس فى مصر والتى ينتج فيها العلماء والأدباء والفنانون المصريون، فسترى أنها مطبوعة بالطابع المصرى القوى الذى لم يستطع الزمان أن يمحوه أو يعفى آثاره، سترى فيها هذا الذوق المصرى الذى ليس هو ابتساماً خالصاً ولا عبوساً خالصاً ولكنه شيء بين ذلك فيه كثير من الابتهاج وفيه قليل من الابتئاس، وسترى فيه هذه النفس المصرية التى تجمع بين الجدة والقدم والتى تثب إلى أمام ولكنها تستأنى وقد تقف من حيث تستأنى، وقد تقف من حين إلى حين لتنظر إلى وراء، سترى فيها الاعتدال المصرى الذى يُشتق من اعتدال الجو المصرى والذى يأبى على الحياة المصرية أن تسرف فى التجديد، ثم سترها قد اتخذت اللغة العربية المصرية لها أداة مرنة أنيقة رشيقة لا تنبو عن الذوق ولا تتجافى عن الطابع ولا تكلف قارئها مشقة وجهداً.

وإذا أردت أن تحلل الثقافة المصرية إلى عناصرها الأولى فهذه العناصر بينة واضحة: هى التراث المصرى (الفرعونى) الفنى القديم، وهى التراث العربى الإسلامى، وهى ما كسبته مصر وتكسبه كل يوم من خير ما أثمرت الحياة الأوروبية الحديثة، هى هذه العناصر المختلفة المتناقضة فيما بينها أشد الاختلاف والتناقض، تلتقى فى مصر فيصفى بعضها بعضاً، ويهذب بعضها بعضاً وينفى بعضها من بعض ما لا بد من نفيه من الشوائب التى لا تلائم النفس المصرية، ثم يتكون منها هذا المزاج النقى الرائق الذى يورثه الآباء للأبناء وينقله المعلمون إلى المتعلمين. ففى مصر ثقافة مصرية إنسانية فيها شخصية مصر القديمة الهادئة، وفيها شخصية مصر الباقية الخالدة، وهى فى الوقت نفسه إنسانية قادرة على أن تغذو قلوب الناس وعقولهم وتخرجهم من الظلمة إلى النور، وقادرة على أن تتيح لهم من اللذة والمتاع مما يجدونه أو لا يجدونه فى ثقافتهم الخاصة، وآية ذلك أن هذه الثقافة تعلّم كثيراً من العرب غير المصريين وتلذهم، وأن القليل الذى تُرجم إلى اللغات الأوروبية قد أعجب الأوروبيين وأرضاهم. إن لنا شخصية قوية خصبة تنتج للناس ما يفيدهم ويمتعهم كما تنتج لنا ما يفيدنا ويمتعنا، وكل ما يجب علينا هو ألا نهمل هذه الثقافة فتضعف أو يدركها الجمود، وأن نمنحها ما نملك من قوة وجهد لتنمو وتذكو؛ فإن فى نمائها وذكائها نماء لنا وذكاء، بل نماء لغيرنا من الناس وذكاء أيضا....

ويحق لى – والحديث ما زال للأديب طه حسين- أن أخلى بين نفسى وبين هذا الأمل الواسع الحلو، أخلى بينها وبين هذا الحلم الرائع الجميل لأرى شجرة الثقافة المصرية باسقة، قد ثبتت أصولها فى أرض مصر، وارتفعت فروعها فى سماء مصر، وامتدت أغصانها فى كل وجه، فأظلت ما حول مصر من البلاد وحملت إلى أهلها ثمرات حلوة، فيها ذكاء للقلوب وغذاء للعقول وقوة للأرواح، وهم يسعون فى هدوءٍ واطمئنان وثقة إلى هذه الغصون النضرة الوارفة، فيستمتعون بمنظرها، ويأوون إلى ظلها ويستمتعون بثمراتها المتشابهة؛ لأنها تصدر عن شجرة واحدة هى ثقافة مصر المختلفة، ولأنها تحمل إليهم ألوان العلم وضروب المعرفة وصنوف اللذة الفنية على تنوعها».

وهكذا، ومنذ ما يزيد عن ثمانين عاماً أطلق الدكتور طه حسين صاحب المقولة الشهيرة «التعليم كالماء والهواء» صرخته المدوية فى كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر» منذراً بتدهور المستوى الثقافى فى مصر ومناديا بإصلاح تعليمى واسع لمعالجة هذا الوضع، ولم يحدث أى جديد فى حال ثقافتنا وحضارتنا مع أن المنهاج الذى رسمه العبقرى البصير – بما عجز عن رؤيته المبصرون- واضح وسليم فى كل زمان ومكان.

ثانياً: إحياء الثقافة واجب وطنى:

يرى الأستاذ د. طه حسين إن الواجب الوطنى الصحيح ...هو أن نبذل ما نملك وما لا نملك من القوة والجهد أفراداً وجماعات لتحقيق أن الله قد خلقنا للعزة لا للذلة، وللقوة لا للضعف، وللسيادة لا للاستكانة، وللنباهة لا للخمول... إنما خلق الناس جميعاً ليكونوا سواء فى الحقوق والواجبات واستقبال هذه الحياة، وما أتيح لنا فيها من خير وما كتب علينا فيها من مكروه، ولكن الناس يطغى بعضهم على بعض، ويجب أن يُهدم هذا الطغيان وأن نكون نحن هادميه، ولكن الناس يبغى بعضهم على بعض، ويجب أن يزول هذا البغى وأن نكون نحن من يزيله.... إن الله قد خلقنا جميعاً لنستوفى حظنا من هذه الحياة سعداء بها ما وجدنا إلى السعادة سبيلاً، أشقياء بأثقالها ما عجزنا عن

دفع هذا الشـــقاء.... يجب أن نمحو من أنفسنا أن فى الأرض أمماً قد خلقت لتسودنا، ويجب أن نمحو من أنفســـنا أن فى الأرض شعوباً جُعلت لنســـودها، ويجب أن نقر فى أنفسنا أن نظام المساواة فى الحقوق والواجبات، هو وحده الذى نريد أن نقره فى حياتنـــا الداخلية، وهو بعينه النظام الذى يجب أن نقره فى حياتنا الخارجية وفيما بيننا وبين أوروبا مـــن الصلات». وأول تحقيق لغاية المســـاواة وأول وسيلة من وسائل الكسب التى يجب على الديمقراطية أن تضعها فى أيدى الأفراد إنما هو التعليم الذى يُمكن الفرد من أن يعرف نفسه، وبيئته الطبيعية والوطنية والإنســـانية، وأن يتزيد من هذه المعرفة، وأن يلائـــم بين حاجته وطاقته ومـــا يحيط به من البيئات والظروف.

فالشـــعب صاحب الحق، وصاحب الحق المطلق المقدس فى أن تشيع المساواة والعدل بين أبنائه جميعاً، وإذا كانـــت الظروف التاريخية لحياة الناس قد فرقت بينهم فى الغنى والفقر، وإذا كانت الظـــروف الطبيعية قد فرقت بينهم فى المقدرة والكفاية فهم مشـــتركون فى مقدار لا يختلفون فيـــه، وهو أنهم ناس قد خلقوا من تراب وســـيردون إلى التراب كما يقول الحديث الشريف.

إن اللـــه قد هيأ لمصر من أســـباب القدرة على إحياء الثقافـــة ونشرها ما لم يهيئ لغيرها من الأمـــم العربية، فمما لا يليق بالمصريين وقد تسامع الناس بأنهم كرام، وزعموا هم لأنفسهم أنهـــم كرام أيضاً، مما لا يليـــق بهم أن يؤثروا أنفسهم بما أتيح لهم من الخير ويختصوها بما أتيح لها من النعمـــة، وإنما الذى يلائم كرمها وكرامتهـــا وما تطمح إليه مـــن المثل الأعلى أن يكون حديثها ملائماً لقديمها وأن تكون مشرق النور لما حولها من الأقطار وأن تكون البلد الذى تهوى إليه أفئدة الطالبين للعلم والراغبين فيه. وأن يتم التعاون على تنظيـــم الثقافة وتوحيد برامجها بالقياس إلى الأقطار العربية كافة.

يضيف أستاذنا د. طه حسين إن مستقبل الثقافة بمصر مرتبـــط بماضيها البعيد. وقيام أية حضارة هو بالاتصـــال العقلى والثقافى بما حولها مـــن أمم. فالمثقفـــون الممتازون أجدر بالنجاح فى الحياة من الخاملين الجاهلين.

ومن أراد الغاية فقد أراد الوســـيلة، ومن أراد القـــوة فقد أراد أســـباب القوة، ونحن فى حاجة إلى اســـتقلال اقتصادى ما يشك فى ذلك شاك ولا يجادل فى ذلك مجادل، بل نحن ندعو إليه، ونلح فيه، ونثقل عـــلى الحكومة بالدعاء والإلحاح، نطالبها بما تستطيع وما لا تستطيع، ونتعجلها إلى ما تملك وما لا تملك. ونحن لا نريد الاستقلال الاقتصادى لنتمتع بمشاهدته والنظر إليه، وإنما نريده لنحمى بـــه ثروتنا وأقواتنا كما نريد الجيش لنحمى به أرض الوطن، فهذا الاستقلال الاقتصادى يجب أن يكون استقلالاً اقتصادياً من الطراز الأوروبى. فوســـائلنا إلى حماية الاقتصاد القومى هى نفس الوسائل إذن فلا بد من أن نهيئ الوســـائل التى يصطنعها الأوروبيون والأمريكيون لحماية ثروتهم، وأن نهيىء شـــبابنا للجهاد الاقتصادى على نفس النحو الـــذى يهيئ الأوروبيـــون والأمريكيون عليه شبابهم لهذا الجهاد، ولا بد من أن ننشئ المدارس والمعاهد التـــى تهيئ لهذا الجهاد على النحو الذى أنشأ الأوروبيون والأمريكيون عليه مدارســـهم ومعاهدهم؛ لأن من أراد الغاية فقد أراد الوسيلة، وليس يكفى ولا يستقيم فى العقل أن نريد الاستقلال ونسرى سرية العبيد. ونحن نريد الاســـتقلال العلمى والفنى والأدبى، هذا الذى يمكننا من أن نهيئ شـــبابًا قادرين على حماية الوطن؛ أرضه وثروتـــه. فإذا كنا نريد هذا الاستقلال العقلى والنفسى الذى لا يكون إلا بالاستقلال العلمى والأدبى والفنى، فنحن نريد وسائله بالطبع. وحياة الحرية والعزة لها سبيل واحد لا ثانى له، وهو بناء التعليم على أســـاس متين. ومن هنـــا كان الإيمـــان بمهمة التعليم والشعور بخطره وقدسيته.

ثالثاً: الثقافة والعلم أساس الحضارة:

مهمة التعليم الأولى أخطر من محو الأمية. التعليم الأولى أهم وأعمق وأقوم من تعليم القراءة والكتابة والحساب. إن التعليم الأولى والإلزامى ركن أســـاسى من أركان الحيـــاة الديمقراطية الصحيحة، بل هو ركن أساسى من أركان الحياة الاجتماعية مهما يكن نظام الحكم الذى تخضع له. والتعليم الأولى تقوم عليه أغراض عدة؛ أولها: أن هذا التعليم الأولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الفرد ليستطيع أن يعيش، والثانى: أن هذا التعليم الأولى أيسر وسيلة يجب أن تكون فى يد الدولة نفسها لتكوين الوحدة الوطنية، وإشعار الأمة حقها فى الوجود المســـتقل الحر، وواجبها للدفاع عن هذا الوجود. والثالث: أن هذا التعليم الأولى هو الوســـيلة الوحيدة فى يد الدولة لتمكن الأمة من البقاء والاســـتمرار؛ لأنها بهذا التعليم الأولى تضمن وحدة التراث الوطنى اليسير الذى ينبغى أن تنقله الأجيال إلى الأجيال، وأن يشترك فى تلقيه ونقله الأفراد جميعاً فى كل جيل. ولابد من أن يكون فى التعليم الأولى مكان ممتاز للتربية البدنية يضمن للأمة تكويـــن أجيال صحيحة الأجسام والعقول معاً. فالأسرة المصرية فى هذا الجيل والجيل الذى يليـــه بعيدة كل البعد عن أن تســـتطيع النهوض بأعباء التربية الصالحة للجسم والخلق، ولابد من مرور زمن طويل قبل أن تستطيع الدولة الاعتماد على الأسرة فى شئون التربية، وانتظـــار معونتها على تكوين الأحداث والشباب.. فإذا أرادت الدولة أن تُعنَى بالتعليم الأولى فلابد لها مـــن العناية بالمعلم الأولى، وكل تعليم مهما يكن فرعه وطبقته لا يستقيم أمره إلا إذا نهض به المعلم الكفء، ولكن الكفاية فى المعلم الأولى لها خطر آخر ليس لكفاية غيره من المعلمين؛ فالمعلم الأولى أمين على أبناء الشـــعب، وهو مســـئول عن هذه الأمانة أمام الشعب من جهة، وأمام الدولة من جهة أخرى. إن الشعب الذى يريد أن ينشئ جيلاً صالحاً خليق قبل كل شيء بأن يفكر فى المعلمين الذين ينشئون له هذا الجيل.. إن الدولة هى المسئول الأول، والمسئول الأخير، والمسئول قبل الأفراد والجماعات، وبعد الأفراد والجماعات، عن تكوين العقلية المصرية

د. طه حسين

بما يلائم الحاجة الوطنية الجديدة والمتجددة. والدولـــة وحدها هى التى تســـتطيع أن تضع المناهج والبرامج لهـــذا التعليم، وأن تقوم على تنفيذ هذه المناهـــج والبرامج، وأن تلاحظ ذلك ملاحظة متصلة دقيقة، حتى لا ينحرف التعليم عن الطريق التى رسمت له، وحتى لا ينتهى إلى غرض مباين للغرض الـــذى من أجله. خاصة وأن القلة المتعلمة مـــن المصريين قد خضعت لألوان مختلفـــة من التعليم، ونظـــم متباينة ومناهج وبرامج ينكر بعضها بعضاً، ويصدم بعضها بعضاً، ونشأ عن ذلك اضطراب له آثاره الخطيرة فى حياتنا المصرية على اختلاف فروعها وألوانها. ولا ســـبيل إلى إزالة آثار الاختلاف فى التعليم الخطـــيرة إلا بأمرين الأول هو النهضة الوطنية القوية التى تتحدى أســـباب الاختلاف فتقرب بين المصريين وتوحـــد غايتهم، وتلائم بين آمالهم وأعمالهم، وترفع من شـــأن الثقافة المصرية المتميزة ومتابعة الشأن العام. والثانى هو أن تكفل الدولة لأبناء الشعب تعلم مفردات الثقافة المصرية من اللغة العربية، لغة الشعب، وإتقانهـــا؛ لأن هذه اللغة من أهـــم المقومات للشـــخصية الوطنية من جهة، ولأن هذه اللغة هى وســـيلة التعامل والحياة بين أبناء الوطن الواحد. وتشمل مفردات الثقافة المصرية أيضاً التاريخ والجغرافيا المصريـــة والدين القومى، فهى ليســـت فقط من مواد الثقافة العامة التى لا يكون الشـــاب متحضراً ولا مستنيرًا بدونها، ولأنه يصل بين قديم وطنه وقديم الإنســـانية التـــى اتصلت بوطنه فأثرت فيـــه وتأثرت به، ومادام وطنه متصلاً فى الحاضر وســـيتصل فى المستقبل بالإنسانية متأثراً بها مؤثراً فيها فلابد من أن توصل حياة الحاضر والمستقبل فى نفس الشاب بحياة الماضى كما هى متصلة فى الواقع؛ ليستطيع الشاب أن يلائم بين نفسه وبين الحياة الواقعة حتى يتصـــور الصلة بينه وبين الناس وحين يحكم عليهـــا ويتصرف فيها.. وجميعها أساساً من أسس التعليم. والتعليم هنا لا يجب أن يكون نظامياً فقط وإنما مفتوح بما تتيحه آليات التطوير والتكنولوجيا الحديثة.

الثروة الزرقاء:

الملاذ الآمن لسكان كوكب الأرض

الاقتصاد الأزرق تعبير جديد بات يتردد كثيراً فى جداول أعمال المؤتمرات الدولية للتنمية المستدامة، والذى يعنى فى الأساس بالإدارة الجيدة للموارد المائية والاعتماد على البحار والمحيطات فى التنمية بهدف القضاء على الفقر وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء وتحسين سبل العيش وخلق فرص جديدة للعمل، مع ضمان احترام البيئة والقيم الثقافية والتنوع البيولوجى.

هادية الشربيني
sherfayez@yahoo.com

ومن ثم فإن تطوير الاقتصاد الأزرق أو ما يعرف بالثروة الزرقاء يعتبر بمثابة الملاذ الآمن لسكان كوكب الأرض، وذلك فى ظل التوقعات بالزيادة المطردة فى الاحتياجات المتصاعدة للبشرية وعلى وجه الخصوص الاحتياجات الغذائية لشعوب دول العالم.

من الجدير بالذكر فإن البحار والمحيطات تغطى أكثر من ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية وتوفر أكثر من نصف الأوكسجين لدول العالم، كما تحتضن نسبة ما بين 50 إلى 80٪ من جميع أشكال الحياة على الأرض. ويشمل الاقتصاد الأزرق عدة أنشطة مهمة من بينها توليد الكهرباء من طاقة المياه وأنشطة التعدين فى البحار والمحيطات والسياحة البحرية وصيد الأسماك والكائنات البحرية وغير ذلك من أشكال النشاط الاقتصادى المرتبط أساساً بالمياه، وذلك بخلاف أن البحار والمحيطات تمتص نحو 50٪ من الانبعاثات الضارة التى تخرج من اليابسة.

وانطلاقاً من الأهمية البالغة لأنشطة الاقتصاد الأزرق اعتمدت الأمم المتحدة ضمن خطة التنمية المستدامة لعام 2030 هدفاً مستقلاً يسعى إلى الاستخدام المستدام والحفاظ على الحياة تحت سطح الماء، وهو الهدف الرابع عشر فى إطار هذه الخطة والذى يدعو إلى صون المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها بصورة كبيرة لأغراض التنمية المستدامة.

ميلاد الفكرة

ظهرت فكرة الاقتصاد الأزرق فى مؤتمر الأمم المتحدة «ريو+ 20» للتنمية المستدامة الذى عقد فى ريو دى جانيرو فى يونيو 2012، حيث انبثقت أصول الاقتصاد الأزرق من مفهوم الاقتصاد الأخضر. حيث تميل إستراتيجيات الاقتصاد الأخضر إلى التركيز على قطاعات الطاقة والنقل والاهتمام بالزراعة والغابات، بينما يركز الاقتصاد الأزرق على قطاعات مصايد الأسماك والموارد البحرية والساحلية.

وبشكل أكثر تحديداً فإن الاقتصاد الأزرق وفقاً لتعريف البنك الدولى هو الاستخدام المستدام لموارد المحيطات والبحار من أجل تحقيق النمو الاقتصادى وتحسين سبل المعيشة وتوفير الوظائف مع الحفاظ على صحة النظام البيئى للمحيطات، أى أنه تتشعب منه جميع الأنشطة الاقتصادية المتعلقة بالمحيطات والبحار والسواحل مثل الشحن البحرى والموانئ ومصايد الأسماك وتربية الأحياء المائية والسياحة الساحلية وتوليد الطاقة واستخراج المعادن وغيرها.

وتعد المحيطات والبحار من وجهة نظر العلماء هى الرئة الحقيقية لكوكب الأرض لما توفره الأعشاب البحرية من إنتاج الأوكسجين فى العالم، وما تقوم به البحار من تنظيم المناخ لكوكب الأرض، فضلاً عن أنها تحتوى على ما يقدر بنحو 80٪ من التنوع البيولوجى على الكوكب.

تجنب المخاطر

وانطلاقاً من الأهمية المتزايدة لما يعرف بالاقتصاد الأزرق فقد وجهت المنظمات الدولية المعنية بهذا المجال النداء لكل من يهمه الأمر بتوجيه التحويل نحو الاستثمارات والمشاريع المتوافقة مع الأطر القانونية والإقليمية والوطنية، والتى تتخذ جميع التدابير الممكنة لحماية التنوع البيولوجى وزيادة الإنتاجية والحفاظ على المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام، وتوفير فرص عمل أساسية، على أن يتم ذلك فى إطار شراكة بين القطاعين العام والخاص لتعجيل التقدم نحو اقتصاد أزرق مستدام.

إلا أن القائمين على تنمية هذا المجال قد أكدوا فى نفس الوقت على أنه يجب الأخذ فى الاعتبار أن النمو السريع غير المستدام للاستثمارات الزرقاء يمكن أن يؤدى إلى مخاطر بيئية وخسائر فى رأس المال الطبيعى، مما يؤدى إلى تآكل قاعدة موارد المحيطات والبحار وخلق مخاطر تنظيمية وسوقية ومادية، حيث يتأثر

نحو 66٪ من البيئة البحرية بالأنشطة البشرية.

وبالتالى فإنه من الضرورى البدء فى معالجة القضايا التى تسبب المشكلات البيئية والتى تتضمن بعض العوامل الرئيسية التى تسبب تغيرات أيكولوجية فى المياه الساحلية والسطحية.

محرك اقتصادى فعال

على الجانب الاقتصادى فالهدف الأساسى من مبادرات الاقتصاد الأزرق أو ما يعرف بالثروة الزرقاء هو تحويل المجتمع من الندرة إلى الوفرة وإحداث تأثير عالمى وإقليمى، ووصلنا لزيادة مستوى الأمن الغذائى والحد من الفقر فى المجتمعات الساحلية ودعم الإدارة المستدامة للموارد المائية، نظراً لكونها توفر المصدر الرئيسى للغذاء لما يقرب من نصف سكان العالم خاصة وأن مسألة المدخلات الغذائية من تربية الأحياء المائية يعتبر مصدر مدخلات حيوية فى البلدان النامية، وذلك بالإضافة إلى اعتماد الصناعات الرئيسية مثل الشحن البحرى وصيد الأسماك وتربية الأحياء المائية والسياحة الساحلية على صحة المحيطات فمصايد الأسماك حول العالم توفر نحو 200 مليون فرصة عمل نصفها تقريباً من النساء.

وبالتالى فإن الاقتصاد الأزرق يمكن أن يكون محركاً اقتصادياً فعالاً شريطة أن تتم إدارته على نحو مستدام، ولاسيما وأن الاستثمار فى الاقتصاد الأزرق المستدام يمكنه أن يقلل من فقدان التنوع البيولوجى والتخفيف من آثار تغير المناخ وتعزيز التنمية المستدامة التى تشتد الحاجة إليها فى الوقت الحالى، فضلاً عن العوائد الاقتصادية الضخمة المتوقعة منه. ولن يتأتى ذلك إلا فى حالة اتباع الشفافية فى الآثار الاجتماعية والبيئية والاقتصادية الإيجابية والسلبية الناتجة عن تلك الاستثمارات.

ومن هنا فقد اجتذب الاقتصاد الأزرق بشكل متزايد خلال الآونة الأخيرة العديد من المستثمرين وشركات التأمين والبنوك وصناع السياسات كمصدر جديد للفرص والموارد والازدهار، بما يدفع العديد من دول العالم خلال الفترة المقبلة إلى جعل الاقتصاد الأزرق من أولوياتها لتحقيق الاستفادة الاقتصادية والاجتماعية المثلى من خلال إنشاء فرص وحوافز لدعم الاستثمارات الزرقاء، مثل التمويل المختلط والحوافز الضريبية والاستثمارية المشروطة والمرتبطة بالأنشطة التجارية، لما يمكن أن تمثله الثروة الزرقاء من دور حيوى فى سد الفجوة الغذائية والوظيفية فى العديد من بلدان العالم.

رؤية مصرية طموحة

أدركت مصر أهمية الاقتصاد الأزرق وارتباطه بأهداف التنمية المستدامة التى تعمل مصر على تنفيذها بخطة ورؤية طموحة، وهو ما يظهر جلياً من خلال المشاريع الجارية فى مجال إدارة الثروات البحرية ومشاريع تحديث محطات معالجة مياه الصرف الصحى فى الإسكندرية ومناطق أخرى بهدف تقليل حجم النفايات ولاسيما البلاستيكية التى يتم التخلص منها فى مياه البحر.

كما تحرص مصر على استضافة العديد من المؤتمرات المتعلقة بموضوع المياه والمناخ والبيئة، وذلك فى ضوء السعى لتوفير حياة أفضل للشعب المصرى من خلال الاستخدام الأقل لموارد الاقتصاد الأزرق.

وعلى مستوى التعاون الإقليمى عقدت مصر عدداً من اتفاقيات التعاون فى مجال الاقتصاد الأزرق مع عدد من دول القارة السمراء، وذلك فى إطار دعم مشروعات الاستزراع السمكى وتصنيع الأسماك وإنشاء أساطيل صيد متطورة لبعض الدول الإفريقية التى تعتمد على الأنشطة البحرية، كما توفر مصر برامج تدريبية فى مجال الملاحة البحرية لبعض الكوادر الإفريقية.

كما تلعب مصر دوراً مهماً فى مجال التعاون مع الدول الأعضاء فى الاتحاد من أجل المتوسط والذى يضم فى عضويته 42 دولة من حيث التزامها الوثيق بالتعاون فى مجال الاقتصاد الأزرق، وتحقيق أهداف المؤتمر الوزارى العام لدول الاتحاد عام 2015، والذى ينص بيانه على إنشاء حوار إقليمى حول موضوعات متعددة مثل مصايد الأسماك والمزارع السمكية والسياحة البحرية المستدامة وما يسمى بالشحن الأخضر وهو الشحن البحرى الذى يراعى عدم الإضرار بالبيئة والتخلص من القمامة البحرية وتنمية المهارات الوظيفية المرتبطة بالاقتصاد الأزرق.

وقد أكد السفير ناصر كامل الأمين العام للاتحاد من أجل المتوسط على أهمية الاقتصاد الأزرق لدول الاتحاد ومن بينها مصر، حيث أشار أنه يهدف إلى تحفيز النمو الاقتصادى وخلق مصادر جديدة للدخل والوظائف مع الحرص فى الوقت ذاته على الحفاظ على قيمنا الثقافية ورأسمالنا الطبيعى من خلال الاستخدام المستدام للمحيطات ومصادرها.

وخلال اجتماع افتراضى عقد يوم الثانى من فبراير 2012 أكد الأمين العام للاتحاد من أجل المتوسط على أن الاقتصاد الأزرق هو نظام متعدد القطاعات يعتمد على أسلوب متكامل وشامل فى التعامل، وبأنه قد تحقق تطور كبير على مستوى الحوكمة وإدارة الاقتصاد الأزرق فى منطقة المتوسط، فضلاً عن التقدم الذى تم إحرازه فى مجالات مكافحة التلوث البحرى والشحن الأخضر وإدارة الموانئ الحديثة أو ما بات يعرف بالموانئ الذكية. ولكن يظل المجال مفتوحاً لتحقيق المزيد على المستوى الإقليمى فهناك حاجة واضحة لتغييرات هيكلية تجاه نظم أكثر استدامة وأكثر صلابة اجتماعياً بالاعتماد على عناصر القوة المحلية وتحقيقاً لمزيد من العوائد الإيجابية لشعوب منطقة المتوسط.

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

وتستمر لقاءات عضوات الرابطة الأسبوعية على تطبيق «زووم» ويستمر التعاون المستمر الكبير بين عضواتنا لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من خبرات سيدات الرابطة المتنوعة ثقافياً ومهنياً، والاستفادة من نقل خبرات الأجيال لأجيال أحدث حتى تستمر الرابطة فى أداء دورها المهم حتى فى هذه الظروف الدقيقة، والتى تقف حائلاً دون الاجتماع وعقد لقاءات ثقافية ورحلات تعريفية وجولات تدريبية لعضوات الرابطة.

أتت هذه اللقاءات بعد تعاون كبير بين جميع العضوات فى الخارج والداخل وأثمرت عن نتائج رائعة من العمل الجماعى الناجح بين العضوات، كان أحد هذه اللقاءات من التعاون المثمر الناجح استضافة الزميلة الدكتورة نهاد سيف اليزل حرم السفير/ محمود عبدالجواد ومحاضرة عن «الإتيكيت أسلوب حياة».

ولوجود بعض الصعوبات الفنية استضافت اللقاء الزميلة «مها زاهر حرم السفير/ أحمد رياض وبالتعاون الفنى من الزميلة هبة ماميش حرم السفير/ عمرو رمضان.

إن تعريف كلمة اتيكيت هو من الخصال الحميدة فهو سلوك اجتماعى تنظمه مجموعة من القواعد والتقاليد متمثلة فى اللياقة واللباقة والأناقة. وهى صفات تدل على حسن الخلق والخلق الكريم القويم جامعاً الجودة والرقة والبساطة والجمال واللياقة.

ولكن لاحظت من خلال تجاربى أن أغلب الأشخاص يختصرون كلمة الإتيكيت فى استعمال أدوات المائدة وبعض الأشياء الهامشية مثل إدخال بعض الكلمات الأجنبية.

من أهم قواعد الإتيكيت هى احترام المواعيد لأن ببساطة شديدة عدم احترام المواعيد دليل عدم احترامك للآخرين ومدى مكانتهم لديك واحترامك لنفسك أولاً وأخيراً.

الوقت من أثمن الأشياء فى الحياة لكننا دائماً نسمع عبارة: إن الوقت غير كاف، وكل منا يشعر بأن الأيام تجرى دون تحقيق معظم أهدافه لذلك فلابد من أن نهتم بالوقت ونستغله أفضل استغلال ولكن للأسف معظمنا لا يعرف من أين يبدأ فالبداية هى الأصعب ولكن مع التعود والممارسة ستصبح أسلوب حياة.

وأيضاً أسلوب ترتيب المائدة وترتيب الموائد فى المناسبات المهمة والجلوس حسب الأسبقيات وأنواع الملابس فى المناسبات المختلفة والأطعمة المتنوعة.

وأهم مبدأ من مبادئ الإتيكيت هو فن إرضاء الآخرين.

الهدية: هى تعبير عن الحب والود والاحترام ولابد أن نراعى أنها تبادلية. ولابد أن نشكر حتى لو كانت غير مرضية بالنسبة لنا.

الكلمة الطيبة: لابد أن نراعى شعور الآخرين وأن نبتعد عن النقد كل الانتقاد سلبى لا يوجد نقد إيجابى وأن أثر الكلمة السيئة يبقى فى القلب مهما مر الزمن.

علينا أن نعيش بمبدأ أن لا أتدخل فى ما لا يعنينى وأن أكون ضيفاً خفيفاً.

وروشتة النجاح والسعادة وأسلوب مقاومة الضغط.. فى الحياة الحديثة الابتسامة وهى من أهم الوسائل لحياة سعيدة وطاقة إيجابية فهى تعتبر لغة مشتركة يفهمها الجميع دون الحاجة لشرح أو مترجم فهى تكسر الجسور سريعاً وتقيم جسراً معنوياً فهى أيضاً تجذب الآخرين للتحدث معك وبالنسبة لاستعمال الهاتف الجوال فلابد أن تكونى مسيطرة عليه ففى الاجتماعات العائلية لابد أن يكون مغلقاً، وأيضاً صوته يكون هادئاً وليس مزعجًا. وهو لا يعتبر إكسسواراً ولا داعى أن نتباهى به.

وحين يفوتك اتصال لابد أن تعاودى

هبة ماميش حرم السفيرعمرو رمضان

د . نهاد سيف اليزل
حرم السفير محمود عبد الجواد

مها زاهر

الاتصال وليس الإجابة من خلال الواتس آب فقط.

الإتيكيت فى القرآن والسنة:

أستطيع أن أجزم أن أكثر من 90٪ من قواعد الإتيكيت ذكرت فى القرآن والسنة ولو اتبعنا ما ورد بهما، لسنا فى حاجة إلى تعلم أو قراءة كتب الإتيكيت على سبيل المثال وسوف يكون كتابى القادم ـ إن شاء الله ـ فى هذا الموضوع بالتفصيل.

– «لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» وهو ما نطلق عليه بالإنجليزية good manners.

– من الإتيكيت عدم شرب الماء مرة واحدة، وقد أمرنا الرسول عليه السلام بهذا أيضاً وثبت علمياً إنه مضر بالصحة.

– يرشدنا الإتيكيت لفن الحديث ونبرة الصوت ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام ـ «إن أنكر الأصوات لصوت الحمير».

بالنسبة لقواعد تنظيم المؤتمرات بدءًا من اسم المؤتمر ومكان إقامته وعدد الوفود واللجان المختلفة مثل لجنة الاستقبال والتوديع ولجنة المواصلات ولجنة التسكين ولجنة الاتصالات ولجنة المشتريات واللجنة المالية واللجنة الأمنية واللجنة الصحية واختيار الرئيس وهيئة المكتب ويعود الفضل لزوجى السفير محمود عبدالجواد لأن كل خبرتى فى هذا المجال نتاج لخبرته الواسعة فى تنظيم المؤتمرات الدولية داخل وخارج جمهورية مصر العربية.

كلمات ومعان

فيمـــا يلى مقال عن البيئة يتضمن بعض المعلومـــات المهمة، وهو يتزامن مع احتفال مصر والأمم المتحدة والعالم بيوم البيئة العالمى الذى يصادف ٥ يونيو من كل عام، والذى تم إقراره فى ديســـمبر عام ١٩٧٢م وهو العام الذى بدأت فيه فى الخامـــس من يونيو فعاليات المؤتمر الدولى الأول للبيئة والمعروف بمؤتمر اســـتكهولم الذى أقيم تحت رعاية الأمم المتحدة بهدف صياغة رؤية أساسية مشتركة حول كيفية مواجهة تحدى الحفاظ على البيئة البشرية.

سفير أشرف عقل

تعريف البيئة:

البيئة لغة هى المنزل والحال، وتضمّ البيئة العديد مـــن الأنواع: فهناك البيئة الطبيعيّة، والبيئـــة الاجتماعيَّة، والبيئة السياسيَّة.

وفى المجال العلمـــى يُطلق مصطلح البيئـــة Environment على مجموعة العنـــاصر الحيويّـــة، والكيميائيّـــة، والفيزيائيّة التى تحيط بالكائن الحى أو بمجموعة من الكائنات الحيّة وتؤثّر على وجودها وبقائها .

* وعلم البيئـــة Ecology هو علم شامل يختّص بدراسة العلاقات المتبادلة بـــين الكائنـــات الحيّة نفســـها، وبين الكائنـــات الحيّة والعوامـــل والكائنات غير الحيّة التى تُحيـــط بها وتؤثّر على وجودها وتوزيعها، ويرتبط علم البيئة بالعديد من العلوم، مثل: علوم الأرض، والكيمياء، والأرصاد، والتربة، والفيزياء، والأحياء، والجغرافيا.

وفيما يلى بعض التعريفات المهمة الأخرى للبيئة :

- تعريف بورينغ: الذى يرى أن بيئة الإنســـان هى المجموع الكلى للمحفزَات التى يســـتقبلها منذ لحظة ولادته حتى وفاته، وبالتـــالى يتضمن تعريف البيئة جميع أنواع القـــوى المختلفة، بما فيها: القوى المادية، والفكرية، والاقتصادية، والسياســـية، والثقافية، والاجتماعية، والأخلاقية، والعاطفية، وتؤثر جميعها على سلوكه وطبيعته، ونموه وتطوره.

- تعريـــف دوغلاس وهولاند للبيئة، ويتضمـــن أنها الوصـــف الكلى لجميع القوى الخارجية، والمؤثرات، والظروف التى تؤثر على حياة وطبيعة وســـلوك ونمو وتطور ونضج الكائنات الحيّة.

* مكونات البيئة :

يُمكِن تقسيم مكونات البيئة إلى:

الغلاف الصّخريّ:

وهو الغلاف الخارجيّ الذى يحيط بالكـــرة الأرضيّة من جبـــال وصخور وتربة، ويُـــزوّد الكائنات الحيّة بالتّربة، والمعادن، وغيرها من العناصر.

الغلاف المائيّ :

وهو الجزء من الكرة الأرضيّة الذى يحتوى على مياه، ويشـــمل: البحيرات والأنهـــار والمحيطات والميـــاه الجوفية والأمطار والجليد.

الغلاف الجويّ :

وهو طبقة من الهواء والغازات تمتد من ســـطح الأرض إلى عدة كيلومترات فوقه.

الغلاف الحيويّ :

ويُقصد به جميـــع الكائنات الحيّة الموجـــودة فى كلّ من الغلاف الصّخريّ، والمائيّ والجويّ .

* وتتأثّـــر البيئـــة بمجموعة من العوامـــل أو المكونات، منهـــا العوامل الحيويّة والعوامل غير الحيويّة .

* العوامل غير الحيويّة :

وتشـــمل العوامـــل الفيزيائيّـــة والكيميائيّـــة، مثـــل: درجـــة الحرارة والملوحـــة ودرجـــة الحموضة وتركيب التّربة وأشعة الشمس، والمناخ، وغيرها .

* العوامل الحيويّة:

وتشمل الكائنات الحيّة التى تتفاعل فيمـــا بينهـــا، وتُقســـم إلى: المُنتجات، والمُستهلِكات. والمُحلِّلات.

عناصر البيئة ومكوناتها:

تتكون البيئة مـــن تفاعل الأنظمة الفيزيائية والبيولوجيـــة بالإضافة إلى العناصر الثقافية، وترتبط هذه العناصر فيما بينها بطرق مختلفة على نحو فردى وجماعى، وتوضح النقـــاط الآتية هذه العناصر على نحو مختصر .

العناصر الفيزيائية:

هـــى العناصر التى تُحـــدد الطابع المُتغيّر للموطن البشرى، وفرصه وقيوده، ومن الأمثلة عليها: الفضاء، والتضاريس، والمســـطحات المائية، والتربة، والمناخ، والصخور، والمعادن .

العناصر البيولوجية:

هى العناصر التى تُشـــكل المحيط الحيـــوى، كالنباتـــات، والحيوانات، والكائنات الحية الدقيقة، والبشر.

العناصر الثقافية:

هى الســـمات التى صنعها الإنسان وتُشكّل البيئة الثقافية له مثل: العناصر الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية .

* أنواع البيئة من حيث تأثيرها على الفرد: تتمثـــل البيئة فى ثلاثة أنواع تؤثر على شخصية الفرد، وفقاً للعالم كورت ليفين وهى:

البيئة المادية:

هى الظروف التى يعيش فيها الفرد، كالمناخ الجغرافى، والطقس، أو الظروف المادية، ويتأثر الإنســـان بشـــكل كبير بالمناخ .

* وفيما يأتى بعض الأمثلة التى توضّح هذا التأثر :

- تتميز البلدان الأوروبية بالمناخ البارد، ويتميز سكانها الأصليون بالبشرة الفاتحة اللون، بينما يتميز السكان الأصليون فى البلدان الآسيوية والإفريقية التى تتصف بمناخها الحار بالبشرة الداكنة. تتأثر البنية الجسدية للإنسان بالظروف المناخية المحيطة به، ويحاول الأفراد تعديلها وفقاً لما يتناسب مع البيئة. تعتمد كفاءة عمل الإنسان أيضاً على الظروف المناخية المحيطة.

البيئة الاجتماعية :

وتشمل الظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية للشخص فى المجتمع الذى يعيش فيه، حيث تؤثر العوامل الأخلاقية، والثقافية، والعاطفية على سلوك الأفراد، ويُمكن تصنيف المجتمع إلى فئتين هما: المجتمع المنفتح : ويسهم فى عملية نمو وتطوير الفرد بشكل كبير.

المجتمع المنغلق :

وهو لا يسهم فى نمو وتطور الفرد.

البيئة النفسية :

على عكس كل من البيئة المادية والبيئة الاجتماعية من حيث اعتبارهما عاملاً مشتركاً بين الأفراد فى حالات معينة، فإنّ البيئة النفسية تختلف من شخص إلى آخر، وقد وصفها العالم كورت ليفين بمصطلح الحيز الحياتى لأنّه يُمثل الفرد وهدفه، ويُمكن من خلاله فهم شخصيته، ومثال ذلك: حين يواجه الشخص عثرات فى حياته، قد يواجهها بحالتين، إمّا أن يصاب بالإحباط، أو يتغلب على تلك العثرات، ويكمل حياته مغيّراً هدفه للحصول على بيئة نفسية أفضل، إذ تسهم هذه الآلية فى تغيير طريقة تكيف الفرد مع بيئته .

مشاكل البيئة:

من أهمّ المشاكل التى تواجهها البيئة:

التّلوث :

يوجد العديد من أنواع الملوثات التى تزيد من خطر التلوث فى البيئة، منها: المعادن الثقيلة، والبلاستيك، والنترات، ويسهم تسرب البقع النفطية، والمطر الحمضى بشكل كبير فى تلوث الماء، أمّا الغازات والمواد السامة الناتجة من الصناعات المختلفة واحتراق الوقود الأحفورى فتسبب تلوث الهواء، كما تتلوث التربة بسبب المخلفات الناتجة من العمليات الصناعية، وتقل كمية المغذيات فيها، وبشكل أساسى تساهم كل من المخلفات الصناعية واحتراق الوقود الأحفورى فى تلوث الماء، والهواء والتّربة.

الاحتباس الحرارىّ:

يؤدّى الاحتباس الحرارىّ إلى زيادة نسبة الغازات الدفيئة فى الغلاف الجوى، مما يؤدى إلى تغيير المناخ، وارتفاع درجة حرارة المحيطات، وذوبان الجبال الجليديّة عند الأقطاب؛ وارتفاع مستوى سطح البحر، ويُعدّ الإنسان المُسبب الرئيس لهذه الظاهرة.

*** الاكتظاظ أو التضخم السّكانىّ:**

يؤدّى زيادة عدد السّكان إلى نقص الموارد الطّبيعيّة، مثل: الطعام والماء والطاقة، لذا يتمّ اللجوء إلى الاستخدام المُفرط للأسمدة الكيماويّة، والمبيدات الحشريّة فى العمليات الزّراعيّة لتعويض هذا النقص.

استنفاذ الموارد الطّبيعية :

منها مصادر الوقود الأحفورىّ، لذا يتمّ التوجه إلى استخدام مصادر الطاقة المتجددة، مثل: طاقة المياه، والطاقة الشمسية، والطاقة الحرارية الجوفية، والغاز الحيوى.

زيادة حجم النّفايات:

منها النّفايات النّووية، والمخلفات الإلكترونيّة، بالإضافة إلى البلاستيك، وغيرها من النّفايات التى يجب التخلّص منها بطرق آمنة .

فقدان التّنوع الحيوىّ:

تؤدى الأنشطة البشريّة إلى تدمير الموائل الطّبيعيّة لكثير من أنواع الكائنات الحيّة؛ ممّا يؤدى إلى انقراضها.

إزالة الغابات :

يؤدى الطّلب المتزايد على الغذاء، والمأوى إلى قطع الأشجار، ويؤثر ذلك بالتّالى فى مستوى الأوكسجين فى الجو.

تحمُّض المحيطات :

تزداد حموضة المحيطات نتيجة الإنتاج المُفرِط لغاز ثانى أكسيد الكربون، ويؤثّر ذلك فى العوالق البحرية والمحار، فتصبح صدفاتها هشّة .

نضوب طبقة الأوزون:

يُسبِّب الاستخدام المفرط لمركبات كلوروفلوروكربون إلى استنزاف غاز الأوزون الذى يعمل كطبقة عازلة تمنع وصول الأشعة فوق البنفسجيّة الضّارة لسطح الأرض، وتلجأ الدول حالياً إلى منع استخدام مثل هذه المركبات فى الصناعة.

* المرجع: مصادر متعددة .

سفير فخرى عثمان

الفنانة أزميرالدا

اقامت الفنانة المتميزة الرائدة أزميرالدا معرضا شخصيا فى قاعة الباب بساحة دار الأوبرا بالقاهرة ، والفنانة تتولى قيادةالنشاط الثقافى التشكيلى فى نادى هيليوبوليس بمصر الجديدة ،والتى تقيم معرضا جماعيا سنويا منذ عدة سنوات سابقة والى الأن ، وقد سبق لى الاشتراك فى هذا المعرض الجماعى خلال 3 سنوات سابقة .

والفنانة اراها تؤمن بالمذاهب كل من التعبيرية والرمزية والواقعية ، ويتسم ابداعها بالبساطه والوضوح من خلال ضربات فرشاتها التى تحمل الألوان لتسجل خطوطها وتكويناتها التى تناسب الحدث أو الانجاز أو المرحلة الزمنية أو الآمال والأمنيات الوطنية الأمر الذى يحدث صداه لدى المتلقى بالفخر والسعادة والبهجة لتلقى المدلول الموضوعى ، وهو أمر يستوقف المتلقى عادة لاشباع إحتياج حواسة الانسانية الطبيعية.

قال عنهاالفنان حسين بيكار (مثل فينوس التى ولدت من زبد البحر فعشقته.. هكذا أزميرالدا موهبه فطريه وثقافية ..طاقة وحشية متمردة تنطلق دون رسميات) .

وقال كمال الجويلى (غواصة فى بحر التشكيل ..البحر هو اطار بلا حدود ..متدفقة التعبير الوجدانى ..فى صعود مستمر ..حققت السهل الممتنع).

وقال سمير غريب (هى الحياة المتنوعة والثرية وليست جدران المدارس الاكاديمية ،والهجرة هى موضوع لوحاتها ، هجرة الطيور من سماء الى سماء ،وهجرة الانسان من أرض الى أرض ، وهجرة العقل أو الروح من مناخ الى مناخ) .

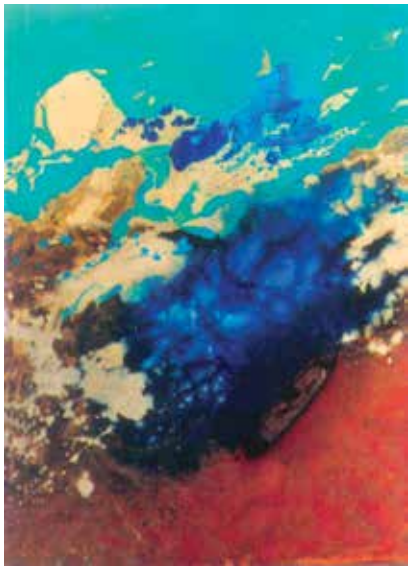

وقال محمد الناصر (رأت مراكب الشمس فطارت الى القمر ، عاشقة اللونين الأحمر والأزرق ، جمعت بين النحت والتصوير ليصبح حوارا يثير المتلقى) .

وأقول أن أزميرالد التى درست الفن فى باريس عام 1978 ، وأقامت العديد من المعرض فى كثير من الدول والمدن فيينا – بيروت – أبو ظبى – روما بالاضافة الى غالبية قاعات العرض المصرية ، وتولت عضوية مجلس إدارة

الفنانة سارة السمان

الفنانة سارة السمّان مواليد عام 1983، حاصلة على بكالوريوس الفنون الجميلة من الجامعة الأمريكية بالقاهرة. وعملت فى مجال التصميم الداخلى لعدة سنوات قبل دراستها المتخصصة فى الفن التشكيلى على يد الفنان المصرى محمد السجينى حتى عام 2015. وقد سبق لها الاشتراك فى العديد من المعارض الجماعية بمصر منها فى قاعة أوبونتو بالزمالك. وقد أقامت الفنانة المتميزة معرضها الشخصى الأول فى هذه القاعة بعنوان «متوازيات»، ولقد رأيت فى إبداع الفنانة سارة الكثير الذى استوقفنى بالإعجاب والانبهار والتحرر من المذاهب والمدارس الكلاسيكية والعمق فى التقاط البديل الواقعى للمشهد والتعبير عن صداه، فقد قدمت بريشتها ما تستقبله حاسة إبصارها مما يحتويه واقع الحياة من مشاهد تحيط بالإنسان وما يناسبه من تحركات على أرض الواقع، باستخدام لغة جاذبة ونغمة ولحن إنسانى طبيعى، باستخدام خطوط قليلة معبرة بألوان محدودة، وفى إطار التكوين للمشهد المقصود بدقة وواقعية، مع التقاط المواقع الخفية بدقة ونسب واقعية وما تفرزه من صدى.

نادى هيليوبوليس، ورئاسة لجنة المعرض الفنية حتى عام 2014 .

واخيرا تقول الفنانة أزميرالدا (احببت فن الباليه ..وكتابة الشعر..لكن الرسم هو الذى ضمنى اليه ..ولم يتركنى اغادرة .

الضوابط هى التى تصنع الإنسان

سفير د. فتحى مرعي

الإنســـان الذى ليس لديه ضابط ولا رابط، وتسير أموره كيفما اتفق، ولا يضع لنفســـه حدوداً ولا قيوداً، هو إنســـان منفلت، وعادة لا يعرف ماذا يريد أن يصنع بنفسه.. لا هدف له ولا خطة لحياته.. هل تستطيع أن تأمن إنساناً كهذا على شئ؟ هل تأمن أن تزوجه ابنتك؟ هل تأمن أن تشركه معك فى مشروع ما؟ أشك.. وإن فعلت فسوف تندم..

الله خالقنا.. وهـــو أعلم بمن خلق وضع لنا ضوابط أساســـية نسير على هديها ونسترشد بها فى سلوكياتنا، كى ينصلح حالنا فى الدنيا ونفوز فى آخرتنا - حيث الحياة الأبدية- بالجنة ونعيمها..

ومن الضوابط التى أرشدنا إليها ربنا ألا نكون مـــن المقترين كما لا نكون من المسرفين فى إنفاق أموالنا «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» «الإسراء 29».

كما وجهنا ربنـــا أن نفى بوعودنا وعهودنا «وأوفـــوا بالعهد إن العهد كان مســـئولاً» «الإسراء 34».. وألا نسرف فى الطعام والشراب «وكلـــوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين» «الأعراف 31».

هذه بعض الضوابط.. ويوجد غيرها فى كتاب الله وسنة رســـوله.. وعلى كل واحد منا أن يضع لنفسه من الضوابط ما يجعل منه إنســـاناً صالحاً فى دنياه وأخراه، فالصلاح فى الدنيا يقابله الصلاح فى الآخرة، مثلما قال المولى عز وجل عن إبراهيم عليه الســـلام «ولقد اصطفيناه فى الدنيـــا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين» (البقرة 130).

والصلاح فى الدنيا كيف؟ الإنســـان الصالح هـــو من يأتى ما أمـــر الله به ورســـوله وينتهى عما نهـــى الله عنه ورسوله «وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» (آل عمران -132 133).

وإلى جانـــب الضوابط التى وضعها الله ورســـوله لنا، فـــإن علينا أن نضع لأنفسنا ضوابط أخرى تكمل لنا مسيرتنا، وتهـــذب من طباعنـــا، وتحملنا على أن نكون مؤمنين أقوياء.. فلا نترك أنفسنا لما تهواه.. والضوابط التى نختارها لأنفسنا عن قناعة بجدواهـــا وأهميتها، تصلح لنا نظام حياتنا، وكل منا يســـتطيع أن يختار لنفسه ما يصلحها.

فالذى تعود الكســـل مثلاً، وتأجيل أداء الواجبات إلى آخر وقتها، يســـتطيع أن يغير هذه العادة بالإرادة أولاً، ثم بعد التعود تصير شيئاً لا يستدعى الإرادة، بل نأتيها كعادة جديدة، منقحة أو معدلة، حسبما تريدون.

والذى تعود أن ينام أكثر من حاجته إلى النوم، ويســـتمرئ النوم أكثر من أى شئ آخر، يستطيع أن يغير هذه العادة - كما قلنا- بالإرادة فى بداية الأمر، ثم بعد التعود ينتهى دور الإرادة.

والذى تعود رفع صوتـــه بلا داع، يســـتطيع أن يتعود على خفض صوته حين يتحدث إلى ســـامعه، فيكون هذا أقرب إلى الوقار والتحضر.

والذى تعود الكذب خير له أن ينتهى عنـــه، فالكذب يقلل مـــن قدر صاحبه حتى بينه وبين نفسه، فالكاذب إنسان ضعيف أو مراوغ أو مخادع أو جبان.. قل ما شـــئت من الصفـــات الذميمة، والصادق إنســـان قوى، معتد بنفسه، وهو مؤتمن على وعوده وعهوده، مؤتمن على ما يرويه من أخبار.. ســـوف يجد الإنســـان الكذوب صعوبة فى تغيير هذه العـــادة فى البداية، وقد يخونه لســـانه بين حين وحين فيكـــذب بحكم التعود على الكذب، ولكن مع الإصرار والعزيمة لابد أن ينجـــح، وينتقـــل إلى صفوف الصادقين، ضمن الذين يمتدحهم ربهم ويدخلهم جناته «للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهـــرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد. الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنـــا ذنوبنا وقنا عذاب النار. الصابريـــن والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار» (آل عمـــران -15 17) والحكمة تقول (من يخطو خطـــوة البدايـــة يقطع نصف الطريق إلى النهاية).

مع قرض الشركات الصغيرة والمتوسطة من CIB هنساعدك في تنمية حجم استثماراتك.

CIB بيقدملك إجراءات سريعة للموافقة على قروض الشركات الصغيرة والمتوسطة.

للتقديم، أرسل «شركة» على ٤٤٣٥.

CIB | BUSINESS BANKING

تُطبق الشروط والأحكام

/CIBEgypt

WWW.CIBEG.COM

بنك تثق فيه